

الموسيقى جعلتني أفعل ذلك

وضع الموسيقى في الإسلام

و دراسة علمية لتأثيراتها على الإنسان



المؤلف: د. جوهر مشتاق

(عالم و باحث طبي و اجتماعي معاصر)

الموسيقى جعلتني أفعل ذلك

وضع الموسيقى في الإسلام

و دراسة علمية لتأثيراتها على الإنسان

المؤلف: الدكتور جوهر مشتاق

(عالم و باحث طبي و اجتماعي معاصر)

ترجمة وإعداد

- د. بلال الضعيف
- د. محمد ديوان
- د. يمن دحنون
- د. عبدالقادر شرف الدين
- د. ضرار الطراف
- د. أحمد عساف
- د. محمد العبد الله
- د. جمعة عثمان
- د. طارق الأشقر
- د. سمى دعدوش
- د. عبدالفتاح عساف
- د. يارا الرفاعي
- د. علي الزيدان
- د. أحمد عبدالكريم
- د. مصطفى اليحيى
- د. ثائر الحسين
- د. علي العم
- د. وسام إسماعيل

تصحيح و تدقيق الترجمة: د. أحمد الصوفي

أ. صالح قره محمد

الفهرس

7	المقدمة
16	الفصل الأول
16	البحث العلمي في تأثيرات الموسيقى في الجسم
18	العلاقة العلمية بين الموسيقى والعواطف
22	التأثيرات الحيوية للموسيقى في الجسم
27	التأثيرات الحيوية للموسيقى في الدماغ
33	أثر الموسيقى و الغناء في إثارة المشاعر الجنسية
38	البحث عن السعادة و خداع النفس
41	إيقاع دقات القلب مع إيقاع النغمات الموسيقية
45	فساد القلب عن طريق الأذنين
53	الفصل الثاني
53	الجنس والمخدرات والموسيقى - ثلاث زوايا مثلث الشر
55	علاقة الغناء بالزنا
64	علاقة الغناء بالنفاق
66	علاقة الغناء بالكحول وتعاطي المخدرات
81	العناصر الأساسية في الإعلانات التي تشجع على استخدام الكحول
84	أهمية الموسيقى في الخداع الجماعي

92	أهمية الموسيقى في صناعة السينما
98	أهمية الموسيقى في صناعة الإعلان
103	الفصل الثالث
103	الموسيقا جعلتني أفعل ذلك
104	مقارنة بين الموسيقا البطيئة والناعمة والموسيقا السريعة والصاخبة
109	أثر الموسيقا في تمرد الشباب على الوالدين
117	أثر الموسيقا في الانتحار بين الشباب
128	أثر الموسيقا في الإغواء اللاشعوري
136	أثر الموسيقا في تصوير النساء لأغراض جنسية
147	زواج الموسيقا و التلفاز - ظلمات بعضها فوق بعض
153	الناس يحملون الموسيقا على رؤوسهم - نبوءة في الحديث
158	الفصل الرابع
158	الموسيقا من وجهة نظر الشريعة
158	تعريف المشكلة وتوضيح نقطة الخلاف
161	موقف القرآن من الموسيقا والغناء
169	أحاديث النبي ﷺ في الموسيقا والغناء
179	قصة من حياة رسول الله ﷺ
181	الفصل الخامس
181	موقف الصحابة و العلماء المسلمين
182	موقف صحابة النبي ﷺ:

186	موقف العلماء في الإسلام
199	الشروط التي يُسمح فيها بالغناء
204	الفصل السادس
204	تحليل نقدي للحجج المستخدمة لصالح الموسيقى "الإسلامية"
207	تحريم الموسيقى - هل هي موضوع خلاف أم مسألة إجماع في الإسلام؟
216	الاستماع إلى الموسيقى لا إرادياً
217	الأجوبة عن بعض الاعتراضات الشائعة
224	الحديث عن فتاتين كانتا تغنيان إلى أم المؤمنين السيدة عائشة
231	الثقافة الشعبية باسم الإسلام
238	الصوفية والموسيقى
239	الموسيقى والعبادة الإسلامية
242	جمع التبرعات في التجمعات الإسلامية من خلال الترفيه الموسيقي
246	الترفيه المباح في الإسلام
250	أمثلة على التجمعات الإسلامية بدون أي ترفيه موسيقي
253	منهج الإسلام - قضم الشر في مهده
261	الموسيقى تخلق الغفلة وتترك ثقباً في روح المرء
266	تؤثر الموسيقى في النفس الشهوانية في البشر وليس في أرواحهم الملائكية
270	علاج المرضى: سماع تلاوة القرآن
285	الفصل 7
285	الموسيقى والمجتمع

292	الموسيقا وتاريخ حياة الأمم
296	مناظرة في البلاط الملكي في مدينة دلهي - من هي أفضل راقصة؟
297	ولع الإمبراطور واجد علي شاه بالموسيقا
298	دروس من سير المطربين والموسيقيين الذين ماتوا دون توبة
302	الفصل 8
302	لا يزال باب التوبة مفتوحاً - قصص ملهمة من التاريخ
304	التوبة الحقيقية تحوّل المذنب إلى عالم قصة زازان التابعي
306	نقطة تحول في حياة النابغة الإمام المحدث مالك بن أنس
308	نصيحة عمر بن عبد العزيز لتعليم أبنائه
	الدكتور بلال فيليبس - رحلته من عازف الغيتار في ملهى ليلي في تورنتو إلى الدكتوراه في الفقه الإسلامي
311	المغنيات المصريات يلجأن إلى الدين في التوبة
314	جنيد جمشيد - نجم البوب السابق - يختار الطريق إلى الله
318	الشيخ يوسف إستس - من أعمال الموسيقا إلى الدعوة الإسلامية
323	الفصل 9
326	الخاتمة

المقدمة

البشر مخلوقات اجتماعية تتأثر بالبيئة المحيطة. للتربية أثر مهم في صياغة الشخصية ولا يقف ذلك على العوامل الطبيعية. لم يعتد كثيرٌ من الناس النظر إلى الأشياء بعمق. فاكتفوا بظواهر الأشياء دون جوهرها. ولا تتساءل عقولهم عمَّ إذا كانت الأشياء من حولهم صحيحة أم خاطئة. إنهم ببساطة يتخذون نهج "الرؤية هي الإيمان".

وفي العصر الحالي، مع التقدم غير المسبوق في الاختراعات العلمية، كانت الموسيقى إحدى الهواجس التي انتشرت في كلِّ مكان بسرعة هائلة، فأصبحت منتشرة جداً كون العديد من المسلمين يستمعون إليها دون التشكيك في حكم الإسلام لها. والغريب أن هؤلاء المسلمين يتجاهلون تماماً ما تقوله أحاديث رسول الله ﷺ في الموسيقى.

والمسلمون اليوم يسألون علماء الإسلام في كلِّ مؤتمر إسلامي أو مناظرة أو محاضرة أو اجتماع الأسئلة الآتية:

1. ما هي حدود الحجاب في الإسلام؟ (الحجاب الذي فرضه الله تعالى على

النساء؟) هل عليهن تغطية وجوههن أم لا؟

2. ما حكم الموسيقى في الإسلام؟ هل هي حلال أم حرام؟

3. هل يجب في الإسلام إطلاق اللحية؟

يجب أن نفهم أن كل هذه القضايا هي نتاج ثانوي للإيمان، لهذا قال جندب بن

عبدالله رضي الله عنه: " تعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن " (ابن ماجه)⁽¹⁾

إذا نشأ الإيمان في قلب المسلم، فلن يساوره أي شك بشأن هذه القضايا. فمن

يمتلئ بالإيمان قلبه؛ لن يستمع إلى الموسيقى، وستتقيد النساء بالحجاب،

ويطلق الرجال اللحية على هدي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

¹ صحيح ابن ماجه، الرقم: 52، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، المحدث: شيخ

المسلمون اليوم هم بحاجة للتركيز على تقوية إيمانهم، فقد أنعم الله سبحانه وتعالى علينا بإدراك الحق والباطل، قال تعالى:

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (سورة الشمس: 8)

إن المعصية هي التي تزعج القلب كما أشرنا سابقاً، فلا يزال المسلمون اليوم يطرحون الأسئلة نفسها على العلماء المسلمين حتى بعد حصولهم على الفتوى (قرار أو مرسوم ديني) التي يرغبون فيها من بعض علماء الحداثة والتبرير.

حقيقة هذه القضايا الثلاثة تزعج المسلمين كثيراً وهي ذاتها علامة على أن شيئاً ما ليس سويّاً في نفوس الناس، كما جاء في الحديث عن ابصّة بن مَعْبِدٍ قَالَ:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: اسْتَنْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ: مَا أَطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي

النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوَكَ» (رواه أحمد) (2)

وروى النَّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ:

² أخرجه أحمد (18028)، والدارمي (2533)، والمجموع للنووي (9/150)، خلاصة حكم المحدث النووي: [إسناده إسناده البخاري]. أيضاً حسنه الألباني في مشكاة المصابيح (ج 2 ص 845، حديث 2774)، وفي صحيح الجامع (حديث 984).

«الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»

(رواه مسلم)⁽³⁾

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن الحداثيين بين المسلمين عادة ما يتخذون موقفاً ضد موقف النبي محمد ﷺ وصحابته وأئمتنا العظام في هذه القضايا الثلاث. فهم يستخدمون هذه القضايا لجذب من كان في قلبه مرض من المسلمين. وتشهد على هذه الحقيقة كتبهم التي حاولوا فيها الدفاع عن الإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين.

لذلك من واجبنا أن نقدم للمسلمين الموقف الصحيح للنبي محمد ﷺ وأصحابه وأئمتنا العظام في هذه القضايا الثلاث، من واجبنا توضيح الادعاءات الكاذبة ضد الإسلام، إذا رأينا عملاً منحرفاً يُرتكب في المجتمع، يجب أن نرفع أصواتنا ضده. إذا نظرنا إلى حياة أنبياء الله عليهم السلام عبر التاريخ، فإنهم جميعاً رفعوا أصواتهم ضد الأعمال المنحرفة التي كانت سائدة في مجتمعاتهم.

³ صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2553، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]،

المحدث: الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري

وهذا من أسباب كره غالبية المجتمع لهم- لأنهم كانوا يتحدثون ضد الانحرافات التي ترتكبها تلك الجماعة.

على سبيل المثال، لو كان النبي شعيب عليه السلام قد حذر أهل مدين من الشذوذ الجنسي، لكان حظي بشعبية كبيرة بين قومه لأن الشذوذ الجنسي لم يكن المعصية السائدة بينهم، فالناس في مدين اعتادوا الكذب على عملائهم وخداعهم في المعاملات التجارية، والنبي شعيب عليه السلام رفع صوته ضد ذلك، لكن قومه لم يعجبهم ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا

قَالَ يَنْقُومِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءتَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ (سورة الاعراف 85)

وبالمثل، فلو نصح النبي لوط عليه السلام قومه بعدم شرب الخمر أو

المقامرة، فمن المحتمل أن يحظى بشعبية كبيرة بين قومه لأن هذه لم تكن أكثر

الذنوب انتشاراً بين أهل سدوم. وكان أكثرها انتشاراً هو اللواط، لذلك أُنذِرهم

النبي لوط عليه السلام من هذا الذنب؛ قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ

الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٢﴾ (سورة

الأعراف)

نتيجة لذلك كره سكان سدوم النبي لوط عليه السلام. إلا أنه لم يخف

من لوم المذنبين. وقد أدى بصدق واجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن معصية

الله سبحانه وتعالى، وفي النهاية غلب الحق وهلك الباطل، كما قال الله تعالى:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ (سورة الإسراء 81)

المسلمون هم حاملو رسالة الإسلام والرسالة الإلهية لأنبياء الله

جميعهم عليهم السلام. وقد اصطفاهم الله كخير أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن

المنكر كما جاء في القرآن: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ

خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٦٠﴾ (سورة آل عمران)

وبصفتنا أتباع النبي محمد ﷺ، يجب ألا ننسى أمر نبينا الحبيب ﷺ:

(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه،

وذلك أضعف الإيمان) (رواه مسلم) (4)

القلم سلاح اليد، والكتابة هي إحدى الطرق التي يمكن من خلالها

تغيير الأفعال المنحرفة. وهذا الكتاب هو جهد متواضع لتغيير هذه الأفعال

بيدي، وقلبي مفعم بالأمل. وفيما أعلم، هذا هو أول عمل إسلامي من نوعه

لتحليل تأثيرات الموسيقى في ضوء البحث العلمي الحديث.

قد يشكك بعض الناس في استخدام العلم لإثبات أضرار الموسيقى، لأن

العلم يتغير دائماً. وهم يجادلون بأن العلم يمكن أن يُظهر في المستقبل أيضاً أن

الموسيقا مفيدة لنا، حقيقة؛ لا شيء في هذا العالم يعتبر شراً بنسبة 100٪.

⁴ صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 49، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، المحدث:

الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري، (الراوي: أبو سعيد الخدري)

لكل شيء أضرار ومنافع مرتبطة به، لكن نهج الشريعة الإسلامية هو الموازنة بين فوائد كل شيء ومضاره. وقد جاء ذلك في القرآن صريحاً في حالات شرب الخمر والقمار، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ

﴿سورة البقرة 219﴾

ومن ثم في حالة الكحول والقمار، فإن القرآن يقر بأن هناك بعض الفوائد للناس، ولكن أضرارها على المجتمع تفوق فوائدها، ولهذا السبب حرمتها الشريعة الإسلامية، وبالمثل في حالة الموسيقى قد تكون هناك فوائد طفيفة في أنواع معينة من الموسيقى، مثل تهدئة سامعها مؤقتاً، لكن أضرار الاستماع إلى الموسيقى تفوق الفوائد، بالإضافة إلى ذلك، فإن التأثير المهدئ الناتج عن الموسيقى يختلف تماماً عن تأثير المهدئات الناتجة عن ذكر الله تعالى. فالأول مؤثر خارجي، بينما الثاني مؤثر داخلي وعميق.

والأهم من ذلك أن البحث المقدم في هذا الكتاب عن أضرار الموسيقى ليس من العلوم الفيزيائية وحدها (الطب والكيمياء والأحياء) - وهو أيضاً من العلوم الاجتماعية - إنها تتضمن استطلاعات وإحصاءات؛ وهي ساقطة.

قد يجد المرء بحثاً علمياً أو اثنين عن الموسيقى في المؤلفات العلمية، ولكن نأمل بعد قراءة هذا الكتاب أن يرى القارئ أن الدراسات العلمية الواردة في هذا الكتاب تدعم بعضها بعضاً، لتثبت أن ارتباط الموسيقى بالكحول والمخدرات والتدخين والجنس والانتحار هو ارتباط قطعي كما سنرى في الفصول القادمة.

الفصل الأول

البحث العلمي في تأثيرات الموسيقى في

الجسم

الموسيقا صوت معقد للغاية لأنه لا يحتوي فقط على خصائص الصوت البسيط ولكن يحتوي أيضاً على عنصر الإيقاع الإضافي، ويعرف الإيقاع بأنه الحركة أو الاختلاف الذي يتميز بالتكرار المنتظم للصوت المختلف، يعتمد الإيقاع في الموسيقا على الوقت. وله تأثيرات على جسم الإنسان يمكن قياسها وتسجيلها. وعندما يدمج الإيقاع مع الغناء تصبح تأثيرات الموسيقا على مستمعيها أكثر قوة، نظراً لأن الناس يميلون إلى تجاهل التجارب السمعية (الاستماع) بوعي، أو أنهم يعتبرونها غير مهمة، فليس هناك ما يشير إلى أنهم يدركون قوة الموسيقا أو انتشارها، وقد أجريت العديد من الدراسات

العلمية لإثبات أن الموسيقى والغناء يؤثران في أجسامنا وأدمغتنا. قد تكون استجابتنا لإيقاع الموسيقى بسبب إيقاعات أجسامنا. عادة ما تنبض قلوب البشر بإيقاع يتراوح من سبعين إلى ثمانين نبضة كل دقيقة، ومن المثير للاهتمام أن معظم الموسيقى الغربية تسير في نفس الإيقاع (tempo).⁽⁵⁾

وفقاً لكلام ملحن الموسيقى روجر سيشن (Roger Sessions)، يتم التحكم في حركة الصوت في الوقت المناسب.

توضح آن روزنفيلد (Anne H. Rosenfeld)، عالمة النفس والموسيقا، بيان هذا التعريف: "إن منظومة التحكم في الموسيقى مهمة. نادراً ما تكون الموسيقى هي التدفق التلقائي لكل الأصوات التي يصادفها شخص. إنه صوت مصوغ بدقة ويتم اختياره وتشكيله بوعي أو بغير وعي بطرق منطقية تماماً تتبع في الغالب إلى قواعد صارمة."⁽⁶⁾

⁵ Rosenfeld, Anne H. (Dec. 1985). "Music, The Beautiful Disturber." Psychology Today. 48-56.

⁶ المرجع نفسه.

ومن ثم، تملك الموسيقى تأثيرات عميقة على مستمعيها. وإنما ليست مجرد ترفيه بريء أو مزيج عشوائي من الأصوات، في الواقع تتكون الموسيقى من أصوات منظمة للغاية ومختارة بعناية، كما أشارت عالمة النفس روزنفيلد. ولذلك، فإن الاستماع إلى الموسيقى لا يتعلق بالبحث عن الترفيه فقط. بل إن الاستماع إلى الموسيقى له عواقب وخيمة على أجسامنا وسلوكنا، وذلك من الحكم التي حرمت الموسيقى لأجلها. وسناقش في هذا الفصل آثار الموسيقى على جسم الإنسان ودماغه في ضوء البحث العلمي الحديث.

العلاقة العلمية بين الموسيقى والعواطف

في الماضي، اعتقد العلماء أن العقل والعواطف منفصلان تماماً عن بعضهما، لكن هذا الرأي تغير مؤخراً. فقد ثبت أن عواطفنا أسرع بكثير من عملية التفكير، ويمكنها جذب أو إغواء التفكير الخطي للدماغ بسبب سرعتها.⁽⁷⁾ فقد

⁷ Cacioppo, J.T. & Gardner, W.L. (1999). "Emotion." Annual Review of Psychology **50**: 191-214.

ناقش أنطونيو داماسيو⁽⁸⁾ (Antonio Damasio) الفصل النفسي الذي يفصل العقل عن العاطفة في كتابه "خطأ ديكارت: العاطفة والعقل والدماغ البشري". يجادل بأن العواطف لها في الواقع أثرًا مهمًا في صنع القرار العقلي. يوضح داماسيو أن القرارات العقلانية ليست نتيجة المنطق وحده ولكنها تتأثر بالعاطفة والمشاعر بشدة.⁽⁹⁾

هناك دراسات علمية تقدم دليلاً على أن الناس يشعرون بالعواطف أثناء الاستماع إلى الموسيقى، على سبيل المثال، كان تحليل المحقق ألفريد بايك (Alferd Pike) لتجربة الموسيقا الذي نُشر في مجلة "الأبحاث في تعليم الموسيقا" عام 1972 يتعلق بتجربة أجريت على عدد من المشاركين طُلب منهم الاستماع إلى مقاطع موسيقية مختلفة. أظهرت نتائج تلك الدراسة أن 96% من المشاركين شعروا بالمتعة، و 83% شعروا بالوحدة مع الموسيقا

⁸ أنطونيو داماسيو هو رئيس علم الأعصاب و علم النفس والفلسفة بجامعة جنوب

كاليفورنيا (أمريكا) والباحث البارز في وظائف الدماغ البشري

⁹ Damasio, Antonio (1994). Descartes' Error: Emotion, Reason and the Human Brain. New York, Quill Publishers.

و72٪ شعروا بحالة مزاجية عابرة و65٪ لديهم شعور بالحركة. قدمت نتائج هذه الدراسة دليلاً على أن المستمعين يعانون من عواطف فيما يتعلق بالموسيقا. (10)

أظهر الباحثون أيضاً دليلاً على السلوك التعبيري في الاستجابات للموسيقا. في عام 1991، كان هناك دراستان منفصلتان، واحدة قام بها جون أ. سلوبودا (John A. Sloboda) من جامعة كيبي (University of Keele) من بريطانيا (11) والأخرى ألف جابريلسون (Alf Gabrielsson) (باحث من كندا) (12) والتي أظهرت أن الناس بكوا عند الاستماع إلى أنواع معينة من الموسيقا. بالإضافة إلى ذلك، أظهرت الدراسات التي أجريت باستخدام التخطيط الكهربائي (EMG) للعضلات أن تعابير الوجه تتغير عندما يستمع الناس إلى الموسيقا التعبيرية. وفي بعض الأحيان لا يكون المستمعين على دراية بهذا

¹⁰ Pike, Alferd (1972). "A phenomenological analysis of emotional experience in music." Journal of Research in Music Education **20**: 262-267.

¹¹ Gabrielsson, Alf (1991). "Experiencing music." Canadian Journal of Research in Music Education **33**: 21-26.

¹² Sloboda, John A. (1991). "Music structure and emotional response: Some empirical findings." Psychology of Music **19**: 110-120.

الأمر⁽¹³⁾ وعلى نفس المنوال، أفاد الباحثون نيكليتشك، وتاير، وفان دورنن (Nyklicek, Thayer and van Doornen) بوجود آثار قلبية تنفسية، اعتماداً على نوع الموسيقى (سعيدة، حزينة، مضطربة، أو مهدئة) مثل زيادة أو تباطؤ ضربات القلب أو التنفس أو معدل النبض) لدى الأفراد الذين يستمعون إلى الموسيقى.⁽¹⁴⁾

في مناقشة استجابة الإنسان للموسيقى يرى جوليان ثاير (Julian Thayer) (عالم النفس بجامعة ولاية بنسلفانيا، أمريكا) أن الموسيقى "قد يكون لها أسس فطرية عالمية مرتبطة مباشرة بعناصر معينة من الصوت عموماً والموسيقى خاصة".⁽¹⁵⁾ على سبيل المثال، يُفهم أن مزاج الموسيقى عالية النغمة (high-pitched music) يكون سعيداً وممتعاً، بينما يُعتبر مزاج الموسيقى

¹³ Witvliet & Vrana 1996 quoted in: Sloboda, John A. & Juslin, Patrik N. (2001). Psychological Perspectives on Music and Emotion. In: Music and Emotion: Theory and Research. Editors: Patrik N. & Sloboda Juslin, John A. New York, Oxford University Press: 71 -104.

¹⁴ Nyklicek, Ivan, Thayer, J.F. & van Doornen, L.J.P. (1997). "Cardiorespiratory differentiation of musically-induced emotions." Journal of Psychophysiology **11**: 304-321.

¹⁵ Rosenfeld, Anne H. (Dec. 1985). "Music, The Beautiful Disturber." Psychology Today. 48-56.

منخفضة النغمة حزيناً وخطيراً. ومما سبق نستنتج وجود علاقة عميقة بين الموسيقى والعواطف، وذلك بسبب تأثير الموسيقى على الجهاز الحوفي (limbic system) وهو منطقة من الدماغ تنظم عواطفنا (كما ستتم مناقشته لاحقاً).

التأثيرات الحيوية للموسيقا في الجسم

اكتشفت بعض الدراسات نوعاً خاضعاً للاستجابة الحيوية الشديدة للموسيقا على جسم الإنسان، والمعروفة باسم "الإثارة" (thrills) وفقاً لقاموس إكسفورد الإنجليزي، تُعرّف الإثارة بأنها رعشة عصبية خفيفة ناتجة عن عاطفة أو إثارة شديدة (مثل السرور والخوف... الخ)، وهذا يؤدي إلى ارتعاش خفيف أو تنميل بالجسم...

تشير هذه الدراسات إلى أن مثل هذه الاستجابات الجسدية للموسيقا تكون شائعة جداً، وقد أجريت إحدى هذه الدراسات في جامعة ستانفورد (كاليفورنيا) أجراها العالم أفرام غولدستاين (Dr. Avram Goldstein)، الذي درس ظاهرة القشعريرة في العمود الفقري والتي غالباً ما تؤدي إلى قشعريرة أو

تمزقات أو عُصّة في الحلق، نظراً لأن الموسيقى تؤثر على عواطفنا، فقد اختبر غولدستاين ما إذا كانت الموسيقى لديها القدرة على إحداث الإثارة في مستمعيها.⁽¹⁶⁾ وُجد كما هو موضح بالجدول (أنظر إلى جدول 1)، أن 96٪ من رعاياه شعروا بهذه "الإثارة" استجابة للموسيقى مقارنة بمعدلات أقل بكثير للتمرين البدني (36٪)، وحل المشكلات (57٪)، ومشاهدة الرياضات (52٪)، أو حتى النشاط الجنسي (70٪). علاوة على ذلك، تسببت الموسيقى في مزيد من الإثارة الجسدية مقارنة بالاستجابات العضوية للأشخاص الذين تسحرهم الرواية أو الذين يفتنون بالصور الجميلة. بعد تحليل 250 مشاركاً في دراسته، وجد غولدستاين أن الإثارة الأكثر تكراراً تحدّث استجابة للموسيقى. توصف الإثارة النموذجية بأنها إحساس بالوخز أو ارتجاف أو قشعريرة تنبع من مؤخرة العنق وتنتشر إلى مقدمة الوجه وفوق فروة الرأس، وكذلك إلى الأسفل على طول العمود الفقري وإلى الأمام على الصدر والفتحين والساقين. وقد تكون مصحوبة أيضاً بالخفقان وتقلصات عضلات الوجه والبكاء الأولي. وقد

¹⁶ Goldstein, Avram (1980). "Thrills in response to music and other stimuli." *Physiological Psychology* 8(1): 126-129.

لاحظ غولدستاين أنه لا فرق بين النساء والرجال فيما يتعلق بالإثارة التي تسببها

الموسيقا.

العنصر	٪ الأشخاص الذين تعرضوا للإثارة
المقاطع الموسيقية	96
مشهد في فيلم أو مسرحية أو باليه أو كتاب	92
مشهد جميل ورائع في الطبيعة أو الفن	87
الاتصال الجسدي مع شخص آخر	78
لحظات الذروة في الأوبرا	72
النشاط الجنسي	70
رؤية مفاجئة أو حل لمشكلة ما	57
لحظات معينة في حدث رياضي	52
عطور خاصة معينة	39
تمرين جسدي	36

الجدول 1: أنواع مختلفة من المحفزات التي تثير الناس

ملخص من:

"Thrills in response to music and other stimuli." *Physiological Psychology* 8(1) 126-129.

قام غولدستاين بتجربة أخرى لإثبات أن الإثارة التي تسببها الموسيقا ناتجة عن الإندروفين (وهي مسكنات الألم الطبيعية في أجسامنا)، كما هو الحال مع الاستجابات العاطفية الأخرى. تم حقن مجموعة من الأشخاص الذين يستمعون إلى الموسيقا بمادة النالكسون (مادة كيميائية تمنع حدوث الإثارة في أجسامنا) بينما تم حقن مجموعة أخرى بالماء المالح فقط، ولكن لم يتم إخبار المشاركين بما تلقَّوه. أظهرت النتائج أن الاستجابة ضعيفة جداً أو لم تحدث لدى المستمعين الذين تم حقنهم بالنالكسون (17).

تقدم هذه الدراسة دليلاً علمياً على أن شيئاً قوياً يحدث لكثير من الناس عاطفياً عندما يستمعون إلى الموسيقا. وأقوى محفز لإثارة الأحاسيس الشبيهة بالإثارة في جسم الإنسان هي الموسيقا، وهذا يعني أنها يمكن أن تزيد معدل ضربات القلب، وتغير معدل التنفس، وتزيد النبض وتوسع الحدقة.

تخطيط الدماغ الكهربائي (Electroencephalography) هو إجراء طبي يستخدم لقياس النشاط الكهربائي للدماغ. من أجل تقدير تأثيرات

¹⁷ المرجع نفسه.

الموسيقا على الدماغ البشري، استخدم العلماء مخطط كهربائية الدماغ ووضعوا أقطاباً كهربائية على فروة الرأس أثناء تشغيل الموسيقا لهم. وفي إحدى هذه الدراسات التي أجراها الطبيبان شميدت وترينور (Schmidt and Trainor) لوحظ أنه أثناء استماع الشخص للموسيقا تنشط مناطق مختلفة من الدماغ والتي قد تكون بسبب التغيرات في نمط تدفق الدم في مناطق الدماغ هذه. كما أشاروا إلى وجود نشاط أكبر نسبياً في النصف الأيسر (الأمامي) من الدماغ عندما تُعبّر الموسيقا عن فرح أو سعادة، بينما لوحظ نشاطاً أكبر في النصف الأيمن من الدماغ عندما تُعبّر الموسيقا عن الحزن والخوف (18). قد يكون السبب في ذلك هو أن النصفين الكرويين للمخ يتحكمان في المشاعر المختلفة.

وعندما يكون الغناء مصحوباً بالآلات الموسيقية فإنه يصبح قوياً للغاية من حيث التأثير على الاستجابات العاطفية بالجسم. وقد نُشرت دراسة في مجلة علم النفس الاجتماعي التطبيقي (*Journal of Applied Social Psychology*) في

¹⁸ Schmidt, L. & Trainor, L. (2001) quoted in: Peretz, Isabelle (2001). "Listen to the Brain: A Biological Perspective on Musical Emotions". In: Music and Emotion: Theory and Research. Patrik N. & Sloboda Juslin, John A. New York, Oxford University Press: 105 - 133.

عام 1972، نشرها الباحثان جاليزيو (Galizio) وهيندريك (Hendrick) وفوجدوا أن الأشخاص الذين استمعوا إلى أغنية أصبحوا أكثر إثارة وكان من السهل إقناعهم، وكانوا أكثر عرضة لقبول رسالة الأغنية عندما تكون مصحوبة بجيتار (guitar) مقارنة مع الأغنية بدون جيتار⁽¹⁹⁾.

التأثيرات الحيوية للموسيقا في الدماغ

عندما تعزف الموسيقا، فإن الشخص يصبح مثل السكران، حيث أنها تجعل الشخص ينسى ما يحيط به وتأخذ العقل إلى حالة الوهم. هناك عدة أدلة تثبت أن أنواعاً معينة من الموسيقا لها تأثيراً سلبياً على التفكير والتعلم، خاصة في الوقت الذي يستمع فيه الشخص للموسيقا. نُشرت دراسات في جامعتين منفصلتين أثبتت أن الفئران تواجه صعوبة كبيرة في تعلم المرور عبر المتاهة إذا تعرضت لموسيقا الروك (rock music)، وذلك في مقال نُشر في مجلة إنسايت

¹⁹ Galizio , Mark and Clyde Hendrick (1972). "Effect of musical accompaniment on attitude: The guitar as a prop for persuasion." Journal of Applied Social Psychology 2(October/December): 350-359.

(Insight magazine) في 27 أبريل عام 1987، ذكر أن قدرات التعلم لدى

الفئران قد ضعفت مؤقتاً بسبب تأثير الموسيقى.⁽²⁰⁾

تشوش الموسيقى قدرات الحكم الحاسمة للدماغ. و الدماغ البشري هو

عضو التفكير والكلام والعواطف الذي يتحكم في الجسم. يتكون الدماغ من

عدة أجزاء مثل جذع الدماغ (امتداد للحبل الشوكي) والمخ والمنطقة فوق جذع

الدماغ، القسم الأمامي من الدماغ يسمى المخيخ والذي يتألف من نصف كرة

مخيخية أيمن ونصف كرة مخيخية أيسر، وداخل الدماغ الأمامي يوجد الجهاز

الحوافي (limbic system) الذي يتضمن عدة وظائف

- التحكم بالعواطف
- الاستجابات العاطفية بما فيها الغريزة الجنسية
- إفراز الهرمونات (الكيميائية)
- التحكم بالمزاج
- الذاكرة طويلة الأمد

²⁰ April 27, 1987. Insight magazine, page 57.

• الإحساسات مثل الألم والسرور

العواطف والمشاعر مثل الخوف والعدوان والعاطفة والحب

والكراهية والفرح والحزن كلها تنشأ من الجهاز الحوفي. وهو الجهاز المسؤول

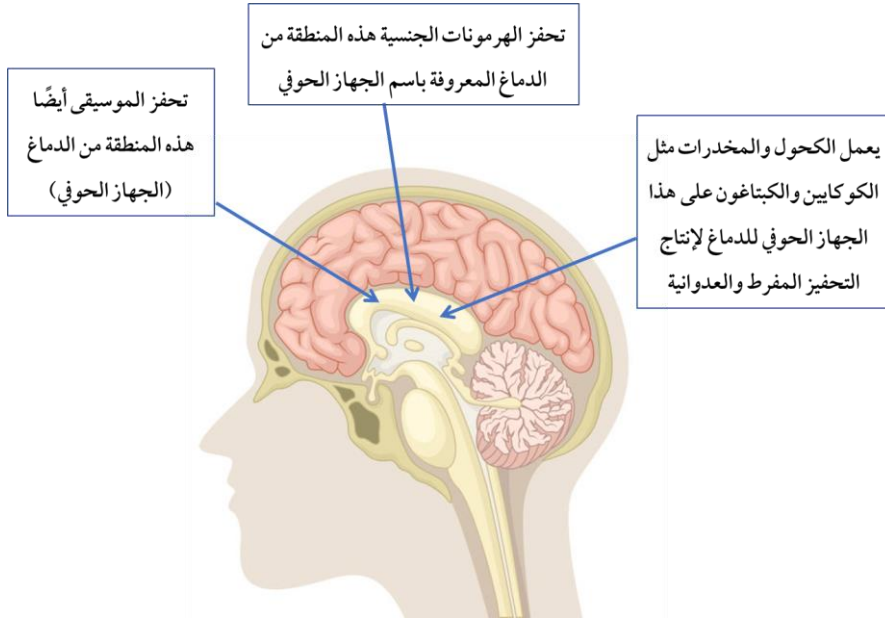
عن بعض جوانب الشخصية والوظائف المهمة المتعلقة بالذاكرة. في حال

حدوث أذية بالجهاز الحوفي في الدماغ بسبب مرض أو حادث ما، فإن الآثار

الأكثر شيوعاً هي التغيرات في الاستجابة العاطفية مثل البكاء أو الضحك غير

المناسبين، والغضب بسرعة، والقلق والاكتئاب وزيادة النشاط الجنسي.⁽²¹⁾

²¹ Clayman, Charles B., MD (Medical Editor) (1989). Home Medical Encyclopedia (The American Medical Association). New York, Random House. See also: Schacter, Daniel L. 2012. Psychology. sec. 3.20



الشكل 1: تؤثر الموسيقى على نفس المنطقة من الدماغ التي تتأثر بالهرمونات الجنسية والمخدرات والكحول

يبدو الجنس والمخدرات وموسيقى الروك وموسيقى الرول مرتبطة معاً

بقوة إذ يُحفِّز نفس المنطقة من الدماغ التي هي الجهاز الحوفي (كما هو موضح

في الشكل 1 أعلاه).

تعد مرحلة الشباب حرجة، ففي فترة المراهقة الذكورية يزداد الهرمون

الذكوري (التستوسترون) عشرين ضعفاً، ويزداد إنتاج الهرمونات الأنثوية

(الإستروجين) بشكل مماثل عند المراهقات عند البلوغ، يتم تحفيز الجهاز

الحوفي من خلال زيادة الهرمونات الجنسية، والتي قد تكون عاملاً مهماً في

الأعمال العدوانية في فترة الشباب.⁽²²⁾

يستمتع المراهقون بالإيقاعات الموسيقية العالية التي تحفز الجهاز

الحوفي بالدماغ، وهي نفس المنطقة من الدماغ التي تحفزها الهرمونات

الجنسية. ويعمل الكحول على تنشيط الجهاز الحوفي ويسبب العدوانية.⁽²³⁾

وتعمل المخدرات مثل الكوكائين والكراك على تنشيط الجهاز الحوفي (خاصة

المنطقة تحت المهاد) لخلق الاستجابة المفرطة والعدوانية والعصبية وفقدان

الشهية. في الواقع يتعاطى كثير من الأشخاص الكوكائين من أجل زيادة دوافعهم

الجنسية. وليس من الغريب أن تكون نسبة وقوع جرائم العنف عاليةً بين

الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و 24 سنة.⁽²⁴⁾

²² Geller, Barbara & Greydanus, D.E. (1981). "Aggression in adolescents: aspects of pathogenesis." Journal of Adolescent Health Care 1(3): 236-243.

²³ King, Paul M.D. (April 1988). "Heavy metal music and drug abuse in adolescents." Postgraduate Medicine 83(5): 295-304. See also: Olds, J.; Milner, P. (1954). "Positive reinforcement produced by electrical stimulation of septal area and other regions of rat brain". J. Comp. Physiol. Psychol. 47 (6): 419-427.

²⁴ Guze, Samuel B. (1976). Criminality and Psychiatric Disorders. New York, Oxford University Press. See also: Simpson, J. A. (November

و في دراسة أجريت في جامعة سان دييغو (San Diego University)،

دُرس 130 حالة انتحار و كان الكحول والعقاقير الأخرى هي العوامل الرئيسية

في 66٪ من تلك الحالات. (25)

أشار الطبيب بول كينغ (Dr. Paul King) إلى أن الموسيقى التي تتحدث

مباشرة إلى الشباب عن الجنس والعنف والانتحار قد تكون مشكلة صحية عامة

خطيرة. (26) بالإضافة إلى ذلك، إن الحُصَيْن (hippocampus) يشكل جزءاً من

الجهاز الحوفي للدماغ الذي يشارك في تكوين الذاكرة طويلة الأمد (وهي الذاكرة

التي تحفظ المعلومات لفترة طويلة) عندما يستمع الأشخاص إلى الموسيقى التي

تحفز الجهاز الحوفي في الدماغ فإن الرسائل الجنسية أو العدوانية للأغاني تصبح

جزءاً من شخصيتهم لبقية حياتهم.

1973). "The Limbic System". J Neurol Neurosurg Psychiatry. 39 (11): 1138.

²⁵ Charles L. Rich, Young, D., & Fowler, R.C. (1986). "San Diego suicide study. I. Young vs old subjects." Archives of General Psychiatry 43(6): 577-582.

²⁶ King, Paul M.D. "Heavy metal music and drug abuse in adolescents."

أثر الموسيقى و الغناء في إثارة المشاعر الجنسية

في 1871 لاحظ تشارلز داروين (Charles Darwin) أثر الموسيقى في

إثارة المشاعر الجنسية إذ كانت تعمل على جذب الشركاء الجنسيين.⁽²⁷⁾ ولا

يحتاج المرء إلى التأكيد أن الموضوع الأكثر انتشاراً للموسيقا والغناء هو الجنس

سواءً في الشرق أو في الغرب، لطالما كان العنصر الجنسي حاضراً في معظم

رَقصات العالم المصحوبة بالموسيقا. و في العديد من الثقافات السابقة كانت

الموسيقا بمنزلة مقدمة للتزاوج، وكانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باختيار الشريك

للزواج، وهذا مشابه للرقص الذي تُشهد في الحيوانات أثناء المغازلة والتودد.

مثلاً يرقص الطاووس الذكر مستعرضاً ريشه الجميل قبل التزاوج مع أنثاه⁽²⁸⁾،

ويصدر أصواتاً أثناء الرقص.

²⁷ Darwin, Charles (1871). The Descent of Man, and Selection in Relation to Sex. London, John Murray.

²⁸ Loyau, Adeline; Saint Jalme, Michel; Cagniant, Cécile; Sorci, Gabriele. (2005-05-03). "Multiple sexual advertisements honestly reflect health status in peacocks (*Pavo cristatus*)". Behavioral Ecology and Sociobiology **58** (6): 552-557.

إن سبب انتشار الموسيقى والغناء والرقص وإدماها على نطاق واسع هو جاذبيتها
للرغبات الحسية الفطرية لمعظم الأشخاص، حيث يمكن فهم عبارة أفلاطون
(Plato) حول الموسيقى بسهولة "الإيقاع والحن المصحوبان بالرقص هما
تعبير همجي للروح"⁽²⁹⁾. وفي الحقيقة طالب أفلاطون في كتابه الشهير
"الجمهورية" (Republic) برقابة صارمة على الموسيقى الشعبية وقال "إن
المواطنين سوف تغريهم وتفسدهم الأجواء الضعيفة والحسية وتقودهم إلى
الانغماس في المشاعر المحبطة". وقد لخص الفضيل بن عياض⁽³⁰⁾ أثر
الموسيقى تلخيصاً مجزياً فقال: "الغناء رقية الزنا"⁽³¹⁾

أي إنه سبيله والداعي إليه والمرغب فيه. وهذا كلام محكم سديد،
وليس معناه أنه لا يزني إلا من كان يستمع الغناء والموسيقى، ولكن معناه أنه إنما

²⁹ Bloom, Allan (1987). The Closing of the American Mind. New York, Simon & Schuster Inc.

³⁰ شيخ الفضيل بن عياض هو أحد أعلام أهل السنة في القرن الثاني الهجري، لقب بـ «عابد الحرمين» (107 هـ - 187 هـ)

³¹ الشيخ شهاب الدين السهروردي، عوارف المعارف (بيروت دار الكتاب العربي 1966).

يكثر الزنا في أهل هذا البلاء، لأنه يُهيج القلوب إليه، ويُرغب النفوس فيه. وهذا واقع مشاهد تدل عليه وقائع الناس.

ومن هنا قال يزيد بن الوليد لقومه بني أمية: "يا بني أمية، إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل المسكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء. فإن الغناء داعية الزنا".⁽³²⁾

وفقاً لذلك لا يمكننا المبالغة في التأكيد على أن المراهقين هم أكثر عرضة للآثار الضارة للموسيقا من الأشخاص في الفئات العمرية الأخرى. يمكن أيضاً فهم العلاقة بين الموسيقا والجنس من خلال ملاحظة أنه عندما يصل المراهقون إلى سن البلوغ فإنهم يميلون إلى تلقي الإلهام من موضوعات الموسيقا والغناء السائدة، كما لاحظ طبيبان أمريكيّان وهما إليزابيت براون (Dr. Elizabeth Brown) و دكتور ويليام هيندي (Dr. William Hende):

الغناء-وأثره-على-قلوب- / 143184 / article / www.islamweb.net / ar / 32

سامعيه

"الموسيقا مهمة للمراهقين من نواحٍ كثيرة، إذ لها أثرًا كبيرًا في النشأة الاجتماعية، وعندما يكتسب المراهقون الاستقلال يلجؤون إلى الموسيقا مصدرًا للمعلومات عن الحياة الجنسية وأنماط الحياة البديلة التي تعتبر من المحرمات في كل من المدرسة والبيت." (33)

في بحث نُشر في 1971 ذكر عالم الاجتماع ريتشارد كول (Richard Cole) أن ما يقارب ثلاثة أرباع كلمات الأغاني في الستينيات تستخدم الحب والجنس موضوعًا رئيسيًا لها. (34) وفي بحث نُشر في مجلة الاتصالات (Journal of Communication) عام 1986 وجد الباحثان شيرمان (Sherman) و دومينيك (Dominick) أن كلمات الأغاني لم تصبح أقل محتوى جنسي خلال السبعينيات والثمانيات (35). وكذلك أشار الباحثان كريستينسون (Christenson) وديبيني ديتس (Debeneditis) في دراستهما

³³ Brown, Elizabeth F. & Hendee, William R. (1989). "Adolescents and their music. Insights into the health of adolescents." The Journal of the American Medical Association **262**: 1659-1663.

³⁴ Cole, Richard (1971) "Top Songs in the sixties." in Kline, F.G. & Clarke, P. (Eds.). Mass Communication and youth: Some cultural perspectives. (pp. 87-98) Beverly Hills, CA, Sage.

³⁵ Sherman, Barry & Dominick, Joseph (1986). "Violence and sex in music videos: TV and rock 'n' roll." Journal of Communication **36**(1): 79-93.

المنشورة في 1986 إلى أن كلمات الموسيقى الشعبية تحتوي على إشارات صريحة ومجازية للنشاط الجنسي.⁽³⁶⁾ وتظهر هذه النتائج أن كثيراً من الموسيقى الشعبية تركز على الموضوعات الجنسية، يُظهر بحث أُجري في التأثيرات الحيوية للموسيقا على جسم الإنسان (والذي تم الاستشهاد به سابقاً) كيف أن للموسيقا تأثيراً عاطفياً جسدياً قوياً على المستمعين، إذ يمكن للمرء أن يفهم بسهولة ما هي العواقب التي تحصل عند الاستماع للموسيقا والغناء.

وتشير نتائج هذه الدراسات العلمية إلى أنه عندما يترافق الغناء مع الآلات الموسيقية فإنه يزيد من قوة وتأثير الموسيقى على إقناع المستمعين بطرق الفساد.

³⁶ Christenson, Peter G. & DeBenedittis, Peter (1986). "Eavesdropping on the FM band: Children's use of radio." Journal of Communication 36(2): 27-38.

البحث عن السعادة و خداع النفس

الإندورفينات (endorphins) عبارة عن مسكنات ألم طبيعية في أجسامنا، حيث يتم إطلاقها في أوقات الجهد الشديد أو الصدمات، وهذه الآلية تحدث طبيعياً في أجسادنا في وقت وقوع حادث أو إصابة، لتقليل شدة الألم. ولكننا نفقد اليقظة والانتباه، ومنتقل إلى حالة من خداع الذات حيث نفقد الإحساس بالألم.

ببساطة، للإندورفين خصائص مسكنة للألم شبيهة بالعقاقير مثل المورفين والكوديين، والتي تسبب كذلك فقدان الانتباه.

الموسيقا لها نفس التأثير في المجال النفسي. حيث يكون للجهاز الحوفي للدماغ أثر كبير في الاستجابة للموسيقا. ويحتوي هذا الجزء من الدماغ على مناطق تسمى مستقبلات المواد الأفيونية شديدة الحساسية لوجود الإندورفين، والتي تخفف من الشعور بالألم، إن حقيقة أن الموسيقا تؤثر في المشاعر بعمق قد تكون بسبب تورط الموسيقا في إطلاق الإندورفين، الذي يسبب الاستجابات العاطفية التي نشعر بها.

نظراً لتقليل الألم، قد يجعل الاستماع إلى الموسيقى الشخص يشعر
بالتحسن.⁽³⁷⁾ ومع ذلك، فإن هذا التأثير قصير الأمد للغاية، ويستمر أثناء تشغيل
الموسيقى فقط.

وقد يؤدي هذا للأسف إلى تشغيل الشخص للموسيقى طوال الوقت
للحصول على هذا الشعور، فيؤدي إلى الإدمان. وهذه هي الطريقة التي تعمل
بها المخدرات أيضاً.

يحاول الناس التخفيف من قلق الذات من خلال وسيطة تكون في
الواقع ضحلة. وهي مثل الطعام الذي يسكت الجوع مؤقتاً. وينطبق هذا أيضاً
على الجوع الروحي، فالموسيقى تشبع الروح مؤقتاً فقط. بالإضافة إلى أن
الموسيقى ليست حتى طعاماً نقياً. هذا ما يسميه البروفيسور آلان بلوم
"الوجبات السريعة للروح"⁽³⁸⁾. هذا الطعام أشبه بأملاح مياه البحر. فكلما زاد

³⁷ Jocelyn M. Powers, Gabriela Ioachim, & Patrick W. Stroman (2022).
"Music to My Senses: Functional Magnetic Resonance Imaging
Evidence of Music Analgesia Across Connectivity Networks Spanning
the Brain and Brainstem". Frontiers in Pain Research (Lausanne,
Switzerland), 3, 878258.

³⁸ Bloom, Allan. The Closing of the American Mind.

شرب الشخص له، زاد عطشه. مثل هذا الطعام يضر في الواقع بصحتنا الروحية

لأنه يطحن قوتنا الروحية ويضعنا في حالة من خداع الذات الروحي.

الغذاء الصحي هو البناء المادي لجسمنا. ومن ناحية أخرى، عندما

تدخل الوجبات السريعة إلى أجسامنا، فإنها تبدو لذيذة للسان، ولكنها غير

صحية لجسمنا. وبنفس الطريقة، فإن الاستماع إلى الموسيقى ليس مفيداً

روحانياً، ويسبب أمراضاً روحية في القلب لمستمعها.

تنقسم أمراض القلب حسب العلامة ابن القيم الجوزية إلى قسمين

رئيسيين: أمراض الشبهات وأمراض الشهوات⁽³⁹⁾، أمراض الشبهات تتسلل إلى

القلب حسب مستوى الإيمان. فتقوم بتقليله، يحدث هذا عندما يتغلغل النفاق

في القلب بسبب الاستماع إلى الموسيقى. هناك ارتباط عميق بين الاستماع إلى

الموسيقا ومرض النفاق، كما سيتضح بالتفصيل لاحقاً في هذا الكتاب.

³⁹ ابن رجب حنبلي وابن القيم والغزالي (1989). تركية النفس. المملكة المتحدة، Al-

تنشأ أمراض الشهوات عندما يستسلم القلب لشهوات الذات ويريد الدخول في حالة من خداع الذات. ومن ناحية أخرى الموسيقى تشعل المشاعر الجنسية لدى مستمعيها وتعمل كالمخدر، كما سيتضح بالتفصيل في الفصل القادم من هذا الكتاب. وذلك سوف يغضب الله سبحانه تعالى يوم القيامة وستنجو في ذلك اليوم القلوب الصافية الخالية من الأمراض الروحية، كما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى

اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ (سورة الشعراء 88-89)

إيقاع دقات القلب مع إيقاع النغمات الموسيقية

الإيقاع (rhythm) هو قوة حركية توجد في الطبيعة، في ضربات قلوبنا، ومشينا، وتنفسنا، على سبيل المثال: نستجيب بسهولة للمنبهات الإيقاعية الخارجية القوية من الطبول والدقات النبضية وتأثيرات الإضاءة المنومة وما شابه. ومن ناحية أخرى الموسيقى الأكثر هدوءاً تنبض عادةً حوالي سبعين إلى ثمانين نغمة في الدقيقة، وهو ما يشبه الإيقاع الطبيعي لضربات القلب.

فالسمة المميزة لموسيقا الجاز هي إيقاعها النابض، ودقات طبولها تشبه دقات القلب من حيث أن كليهما يشتمل على دقات تبلغ نحو اثنين وسبعين مرة في الدقيقة. بسبب إيقاعات الموسيقا المسكرة، يمكن أن تستحوذ الموسيقا على الناس ويسلموا أنفسهم للموسيقا في هذه العملية. حيث يمكن للموسيقا أن تنوم الناس وتأسر عقولهم. إن السمة الأساسية للتنويم المغناطيسي هي التكرار، تماماً كما أن التكرار هو المكون الرئيسي لأي موسيقا.

إن النبض المتكرر من الناحية المثالية في نطاق اثنتين وسبعين نبضة في الدقيقة (كما قلنا، بالقرب من ضربات قلب الإنسان) يكون منوماً للغاية، ويمكن أن يكون التعرض المطول لمثل هذا الإيقاع محفزاً. كما يمكن لقرع الطبل الثابت والمتكرر أن يولد حالة متغيرة في الوعي، ويمكن أن يضع عقل المستمع في حالة خطيرة من التنويم الإيحائي.

في مثل هذه الحالة التنويمية، تُطبع رسائل الأغاني في أذهان مستمعيها دون أي تحليل نقدي، حيث تمتص عقولهم ما تخبرهم به الأغاني امتصاصاً سليماً.

كتب المؤلف الموسيقي الأمريكي الشهير وعازف الغيتار الكهربائي

ومنتج التسجيلات فرانك فنسنت زابا (Frank Vincent Zappa) عن البحث

العلمي في تأثيرات الموسيقى على الجسم:

"إن الطرق التي يؤثر بها الصوت في الكائن البشري لا تُعدّ ولا تحصى

ودقيقة... حيث إن الأصوات العالية والأضواء الساطعة اليوم هي

أدوات تعذيب هائلة." (40)

وصف عالم الموسيقى ليونارد ماير (Leonard Meyer)، في كتابه

الشهير "العاطفة والمعنى في الموسيقى" (Emotion and Meaning in

Music) الجودة الإيقاعية للموسيقى. وفقاً لماير، يتم ترتيب الموسيقى عموماً

بطريقة يتم فيها تقديم ألحان أو موضوعات معينة للأغنية وتكرارها وتعديلها مع

موضوعات أخرى. ثم تعود الألحان أو الموضوعات الأصلية في النهاية إلى

الأغنية، وهذا يمنحنا شعوراً بالراحة والسكينة. لا يحدث هذا في الموسيقى

السيمفونية الكلاسيكية فقط بل أيضاً في الموسيقى الشعبية أو موسيقا البوب،

⁴⁰ June 28, 1968. *Life* magazine.

نظراً لأن الجوقة والمقاطع في الأغنية تتناوب، ولكن تنتهي الأغنية دائماً بعبارة
أو مقطوعة مألوفة⁽⁴¹⁾.

ولقد كان الإيقاع هو المكون الرئيسي في الفترات الطويلة من الغناء
والرقص والترديد وقرع الطبول لدى الشعوب البدائية. كان الغرض من مثل هذه
التمارين الإيقاعية هو إحداث حالات متغيرة من الوعي مثل الغيبوبة. ويرى
عالم الأجناس البشرية رالف جي لوك (Ralph G. Locke) وعالم النفس
التجريبي إدوارد إف كيلي (Edward F. Kelly) [من معهد سبرينغ كريك،
نورث كارولينا] قد تُنتج أنواعاً معينة من الطبول هذه الحالات الشبيهة بالنشوة
عن طريق دفع الإيقاعات الكهربائية للدماغ.

⁴¹ Leonard Meyer. *Emotion and Meaning in Music* quoted in: Rosenfeld, Anne H. (Dec. 1985). "Music, The Beautiful Disturber." Psychology Today.

فساد القلب عن طريق الأذنين

في كلية العلوم السلوكية في نيو ساوث ويلز، أوضح الباحث رودريك باور (Roderick Power) أن البصر والصوت هما الحواس الرئيسية في أجسامنا، في حين أن حواس التذوق واللمس والشم لها أهمية ثانوية وقد تعتمد على الإشارات التي توفرها تلك الحواس الرئيسية.⁽⁴²⁾ في حين أن كل الأصوات تؤثر علينا، ويمكن أن تزداد أو تضعف. ولهذا السبب فإن الأذنين هي الطريق الرئيسي لفساد القلب. حيث يعرف الشيطان كيف يستغل هذا الضعف في البشر، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ^ج وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا

﴿سورة الإسراء 64﴾

ويُضِلُّ الشيطان الإنسان بصوته - أي بالموسيقا والغناء. "فالموسيقا جزء من خطته الكبرى لقيادة البشر إلى طريق معصية الله؛ حيث يُفسد الشيطان

⁴² Power, Roderick (1981). "We believe what we see over other sensory input." BMB Vol.6 (Perception 10:29).

قلب الإنسان (وهو الجهاز الجسدي والروحي للإدراك في البشر) من خلال

الأذنين." (43)

صحيح حماية أذاننا أصعب من حماية أعيننا. لهذا السبب ذكر القرآن

حاسة السمع قبل حاسة البصر، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ

أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُورًا﴾ ﴿٣٦﴾ (سورة الإسراء: 36)

عند الولادة، تكون حاسة السمع عند الوليد مكتملة، بينما لا يستطيع

الطفل رؤية الأشياء أو التعرف عليها خارج مسافة معينة. يستغرق الرضع بضعة

أسابيع قبل أن يتمكنوا من التعرف على وجوه الأشخاص المختلفين. في القرآن

يخبرنا الله في مواضع مختلفة قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ (سورة النحل: 78)

⁴³ Mushtaq, Gohar (2006). The Intelligent Heart, The Pure Heart: An Insight into the Heart based on Qur'an, Sunnah and Modern Science. London, Ta-Ha Publishers.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ^ص

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ (سورة الملك: 23)

ومن هنا أشار القرآن إلى حاسة السمع أولاً ثم ذكر حاسة البصر. وذلك

لأن حاسة السمع هي الأولى في الطفل. ومن الملاحظات الشائعة أن الأطفال

يستمعون لفترة طويلة قبل أن يبدووا بالكلام. ثم إن النبي محمد ﷺ كان يدعو

الله سبحانه وتعالى الدعاء الآتي في الصباح والمساء، يذكر فيه حاسة السمع قبل

حاسة البصر:

« اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا

أَنْتَ » (44)

يمكن فهم أهمية حاسة السمع أيضاً من خلال ذكر هذا المعنى مع

العقل في القرآن الكريم عندما قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ

مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ (سورة الملك: 10)

44 الراوي : عبدالرحمن بن أبي بكره; المحدث : الألباني; المصدر: صحيح أبي داود ; الصفحة أو الرقم :

5090 ; خلاصة حكم المحدث : إسناده حسن

وفي مكان آخر من القرآن، ترتبط حاسة السمع بالفهم قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا

سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ (سورة عمران: 193)

كما أن علاقة القلب بالأذنين موصوفة في القرآن على النحو الآتي قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

(سورة ق: 37)

إذا نظرنا إلى حاسة السمع، فسنراها دائرية، على نقيض حاسة البصر

التي هي خطية. بعبارة أخرى، يمكننا أن نسمع من كل الاتجاهات، لكن يمكننا

أن نرى فقط ما هو أمامنا.

يرى عالم الصوتيات النفسي رينير بلومب (Reinier Plomp) أن

"الخاصية الأكثر أهمية في جهاز السمع هي قدرته على تحليل عالم الأصوات

المتراكبة وفصلها وفقاً لمصادرها المختلفة"⁽⁴⁵⁾. فإذا حدثت معصية لله أمانا،
 فيمكننا أن نغلق أعيننا أو نبعد وجوهنا بسهولة شديدة، ولكن لحماية آذاننا، علينا
 مغادرة هذا المكان جسدياً، وعلاوة على ذلك، يمكن أن تعمل حاسة السمع في
 الظلام كما في الضوء، بينما لا تستطيع العيون الرؤية في الظلام، حيث يمكن
 للعين أن ترى فقط في وجود الضوء. وبالمثل، فإن حاسة السمع تظل نشطة حتى
 عندما نكون نائمين، في حين أن حاسة الرؤية تتوقف عن العمل عندما ينام
 الشخص⁽⁴⁶⁾. فالصوت العالي يمكن أن يوقظ الشخص من النوم، لهذا السبب
 تُنتج أجهزة كشف الدخان صوتاً عالياً وليس ضوءاً ساطعاً، لأنه إذا نشبت نار
 أثناء نوم الناس، فيمكن إيقاظهم بسماع صوت عالٍ، وفي قصة أهل الكهف
 يخبرنا الله تعالى أنه غطى إحساسهم بالسمع حتى يناموا قال تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا

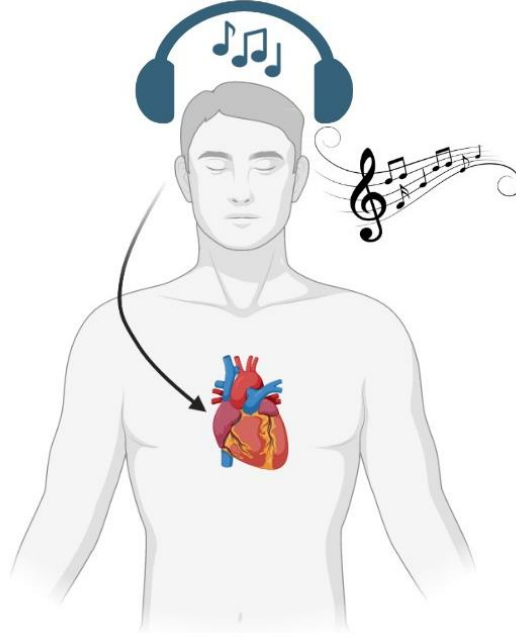
عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ﴾ (سورة الكهف: 11)

⁴⁵ Plomp, Reinier (2002). The Intelligent Ear: On the Nature of Sound Perception. Mahwah (New Jersey), Lawrence Erlbaum Associates, Inc.

⁴⁶ المرجع نفسه.

ومن ثم فإن حماية الأذنين من الذنوب أصعب من حماية العينين، حيث

إن الموسيقى تدمر قلبنا الروحي من خلال الأذنين كما هو مبين في الشكل 2.



الشكل 2: فساد القلب عن طريق الأذنين بالاستماع إلى الموسيقى

إن حقيقة أن آذاننا هي أسهل طريق لتلف القلب يمكن فهمها من خلال

النتائج العلمية التي تشير إلى أن الأعصاب السمعية هي بعض الأعصاب السائدة

في الجسم. هذا هو السبب في أن آذاننا حساسة للغاية، وهناك كثير من الأدلة على

ذلك، إذ تتألف أدمغتنا من نصفي الكرة المخية اليسرى واليمنى، واللذان تؤديان وظائف مختلفة. وبالتالي، فإنَّ أذنيننا اليمنى واليسرى لهما طرقاً مختلفةً لمعالجة المعلومات التي يتم الحصول عليها من الموسيقى والغناء. بمعنى آخر، تعالج أذن واحدة النغمة العاطفية للمغني والمحتوى الفعلي للأغنية معالجةً مختلفة عن الأذن الأخرى.

كان طبيب الأعصاب البريطاني جون هيغلينغز جاكسون (Dr. John Hughlings Jackson) أول من لاحظ هذا الاختلاف بين الأذنين.⁽⁴⁷⁾ وفي وقت لاحق، أُجريت تجارب "الاستماع الثنائي" في هذا المجال. وفي الدراسات الثنائية، تُقدَّم أصوات أو أنماط صوتية مختلفة (في هذه الحالة، الموسيقى والأغاني) إلى الأذنين من خلال سماعات الأذن. ومن خلال دراسة إشارات الأذن الأفضل يمكن للباحثين معرفة العمليات على الأذن من خلال نوع من الموسيقى. على سبيل المثال، في عام 1982، اكتشف الباحثان لاي و برايدن (Ley and Bryden)، من خلال إجراء دراسات ثنائية مع البالغين العاديين، أن الأذن

⁴⁷ Jackson, John H. (1878). "On affections of speech from disease of the brain." Brain 1: 304-330.

اليسرى أفضل في التعرف على النغمة العاطفية لصوت المغني من الأذن اليمنى،
بينما تقوم الأذن اليمنى بعمل أفضل في التعرف على المحتوى الفعلي للكلمات
في نفس جمل الأغنية.⁽⁴⁸⁾ يبدو أن آذاننا حساسة جداً لنوع المعلومات التي تم
إدخالها لأن هذه المعلومات ستؤثر في النهاية في أفعالنا. إنها حقيقة كما رأينا في
أدلة القرآن الكريم ومن أحاديث الرسول ﷺ وأصحابه ومن علماء الإسلام أن
الغناء والموسيقا يجتمعان.

لا عجب أنه من خلال الجمع بين الغناء والموسيقا يستغل الشيطان كلاً

من الأذن اليمنى والأذن اليسرى من أجل إماتة للقلب الروحي.

⁴⁸ Bryden, P., Ley, R., & Sugerman, J. (1982). "A left-ear advantage for identifying the emotional quality of tonal sequences." *Neuropsychologia* **20**: 83-87.

الفصل الثاني

الجنس والمخدرات والموسيقا - ثلاث زوايا

مثلث الشر

قال النبي ﷺ:

«ليكوننَّ من أمتي أقوام، يستحلُّون الحِرَّ والحريِر والخمر والمعازف»

(رواه البخاري) (49)

و قال أيضا: «ليشربنَّ ناسٌ من أمتي الخمر يُسمونها بغير اسمها، يُعرَّفُ على

رؤسهم بالمعازف، والمغنيات، يخسفُ اللهُ بهم الأرض، ويجعلُ منهم القردةَ

والخنزيرَ» (رواه ابن ماجه) (50)

⁴⁹ صحيح البخاري (كتاب الأشربة)، عن أبي مالك الأشعري، الصفحة أو الرقم: 5590،

حديث صحيح

⁵⁰ أخرجه ابن ماجه في السنن، رقم 4069، وابن أبي شيبة في المصنف 7 / 465، وصححه

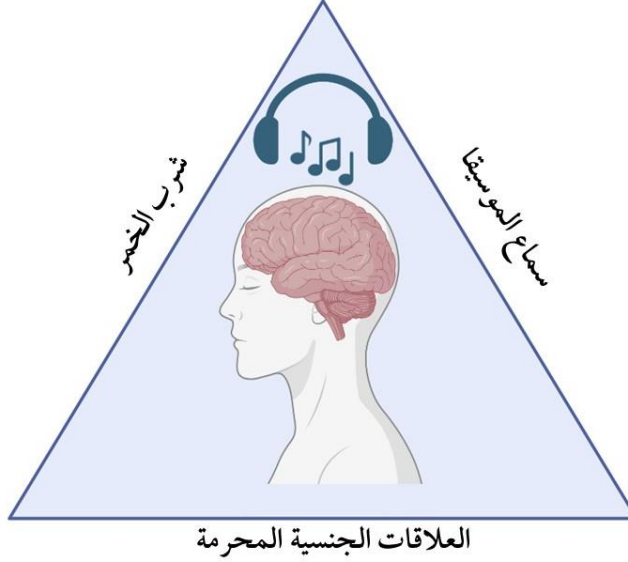
ابن تيمية في إقامة الدليل 6 / 37، وابن القيم في إغاثة اللهفان 1 / 278.

في هذه الأحاديث النبوية ثلاثة أشياء يمكن اعتبارها ثلاثة زوايا لمثلث الانحراف وهي: شرب الخمر، وسماع الموسيقى، والعلاقات الجنسية المحرمة. وإذا نظرنا إلى تاريخ الفنون الجميلة في أوروبا واللوحات التي أنتجها الفنانون الأوروبيون خلال فترات الرومانسية (Romanticism) والواقعية (Realism) والانطباعية (Impressionism) وما بعد الانطباعية (Post-Impressionism)، نرى أن ملذات النبيذ والنساء والآلات الموسيقية صُوِّرت معاً في كثير من تلك اللوحات. حتى اليوم في النوادي الليلية الأمريكية والأوروبية، هناك الكحول والموسيقى والرقص، والبغايا أحياناً.

فعبارة "موسيقى الروك أند رول" (rock 'n' roll music) نفسها لها دلالات جنسية قوية. تؤثر الموسيقى والكحول والجنس غير المشروع تأثيراً خطيراً في المجتمع، وهذه العناصر الثلاثة دائماً ما تكون معاً كما هو موضح في الشكل 3. وتجدر الإشارة إلى أن كل شكل من أشكال الموسيقى حرام في التعاليم الإسلامية، سواء كانت دينية أو كلاسيكية أو تقليدية أو ريفية أو بوب أو روك أند

رول أو جاز أو هيفي ميتال أو راب. في هذا البحث سيتم مناقشة علاقة الموسيقى

والغناء بالجنس والمخدرات بالتفصيل إن شاء الله.



الشكل 3: الجنس والمخدرات والموسيقا - زوايا مثلث الانحراف

علاقة الغناء بالزنا

هناك علاقة عميقة بين الموسيقى والفحشاء، كما أشار النبي محمد

ﷺ في الحديث أعلاه. وفي حديث مشابه رواه الصحابي عمران بن حصين

رضي الله عنه ما ذكر النبي محمد ﷺ عن فترة آخر الزمان:

« في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، فقال رجل من المسلمين : يارسول الله

ومتى ذلك ؟ قال : إذا ظهرت القينات والمعازف وشُربت الخمر. » (51)

كما سبق، لخص الفضيل بن عياض هذه العلاقة في هذا القول البليغ:

"الغناء رقية الزنا" يعني الغناء و الموسيقى هما سلم إلى الزنا.

الموسيقا والغناء يشعلان الرغبات الحسية للإنسان، ويمكن أن ينتهي

هذا في النهاية بعواقب وخيمة. تتحدث معظم الأغاني عن العلاقات قبل الزواج

كما ذكرنا سابقاً، وإذا مررنا بتاريخ الفنون الجميلة الغربية ونظرنا إلى لوحات

أي فترة فنية، فسرى الآلات الموسيقية والنساء والكحول مصورة معاً لأن

الموسيقا والفجور والمخدرات مرتبطة ببعضها البعض.

هنا يجب توضيح أن المسلمين لا يتوجهون إلى الرهبانية، حيث يكون

الإنجاب هو الهدف الأساسي للزواج، بل يشجع أشكال الجنس المسموح بها

⁵¹ الترمذي. أبواب الفتان المجلد. 1، ص. 808 - هذا حديث صحيح كما سبق بيانه في

وفق ضوابط الزواج كما تشمل الأغراض الأخرى للزواج؛ الرفقة وإشباع الرغبة الطبيعية والراحة للروح ومتعة الزوجين. يُعلمنا الإسلام أنه إذا كان المرء يعاشر زوجته، فهذا عمل من أعمال التقوى والإخلاص، ويستحق اللذة والأجر من الله، كما هو مذكور في الأحاديث. فقد أكد القرآن بوضوح أن الله تعالى خلق الناس أزواجاً ليمنحهم الحب والرحمة والطمأنينة: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الروم: 21)

في دراسة نشرت في مجلة الإذاعة والإعلام الإلكتروني عام 1985، حلل ريتشارد باكستر (Richard Baxter) وزملاؤه محتوى الفيديوها الموسيقية وخلصوا إلى أن 60٪ منها تُصور مشاعر ودوافع جنسية. ويعرض بعض هذه الفيديوها ملابس مغرية وحركات جسدية موحية جنسياً (52).

⁵² Baxter, Richard L., De Riemer, C., Landani, A., et al. (1985). "A content analysis of music videos." *J Broadcast Electronic Media* **29**: 333-340.

في دراسة أخرى، قام الباحث ديورانت (R.H. DuRant) وزملاؤه بتحليل خمسمائة وثمانية عشر (518) مقطع فيديو موسيقا من قنوات MTV و CMT و VH1 لتصوير تعاطي الكحول والتبغ. ووجدوا أن تصوير تعاطي المخدرات يختلف باختلاف الشبكات ونوع الموسيقى، حيث تمتلك MTV أعلى نسبة من مقاطع الفيديو التي تصور تعاطي الكحول والتبغ.⁽⁵³⁾ ومن النتائج المذهلة لهذه الدراسة أنه تم العثور على نسبة عالية من تعاطي الكحول في مقاطع الفيديو الموسيقية التي تحتوي على محتوى جنسي، مقارنة بمقاطع الفيديو التي لا تحتوي على أي محتوى جنسي.⁽⁵⁴⁾ تظهر هذه الدراسة أن الجنس والمخدرات والموسيقا تميل إلى التعايش، كما ورد في الحديث في بداية هذا الفصل.

⁵³ ملاحظه من المحرر: MTV (في الأصل "Music Television") و CMT (Country Music Television)

(في الأصل 1 Video Hits ") هي شبكات تلفزيونية أمريكية

شهيرة مخصصة لبث مقاطع الفيديو الموسيقية

⁵⁴ DuRant, R.H., Rome, E.S., Rich, M., Allred, E., Emans, S.J., and Woods, E.R. (1997). "Tobacco and alcohol use behaviors portrayed in music videos: A content analysis". American Journal of Public Health, 87, 1131-1135.

في دراسة حديثة، تم تحليل محتوى ستة أنواع مختلفة من الوسائط من حيث أثرها في الشباب. وشملت هذه الوسائط الأفلام والبرامج المتلفزة والصحف والمجلات والموسيقى الشعبية. وجد الباحث كارول باردون (Carol Pardun) وزملاؤه في هذه الدراسة أن الوسيلة الأكثر انتشاراً في كلمات الأغاني الشعبية هي المحتوى الجنسي.⁽⁵⁵⁾

كما أن الاختلاط والحب المحرم يدمران الصحة الجسدية للإنسان، فإنهما بالمثل يدمران الصحة الأخلاقية للمجتمع بأسره. ومن أهم مواضيع الموسيقى؛ الحب قبل الزواج والاختلاط. نتيجة لذلك، يرتكب الملايين من الفتيان والفتيات الانتحار الأخلاقي (moral suicide). هؤلاء الشباب يدمرون حشمتهم وعفتهم تحت التأثير المسكر للموسيقى التي تثير رغباتهم الجنسية.

⁵⁵ Carol J. Pardun, L'Engle, K.L., Brown, J.D. (2005). "Linking Exposure to Outcome: early adolescents' consumption of sexual content in six media". Mass Communication & Society 8(2):75-91.

كان المفكر الأمريكي والأستاذ بجامعة شيكاغو، آلان بلوم (Allan Bloom) ، محققاً تماماً عندما أكد في كتابه "إغلاق العقل الأمريكي" أن موسيقا العصر الحالي لها جاذبية واحدة فقط:

"نداء بربري إلى الرغبة الجنسية لا الحب ... لكن الرغبة الجنسية غير متطورة وغير مدروسة ... تقدم موسيقا الروك للأطفال على طبق من فضة السلطة العامة لصناعة الترفيه وكل شيء اعتاد آباؤهم إخبارهم أنه يتعين عليهم انتظاره حتى يكبروا. ... هذا له تأثير أقوى بكثير من المواد الإباحية على الشباب." (56)

هناك كثير من الأمثلة، ولكن نظراً لطول هذا القسم، يكفي إلقاء نظرة على بعض أشهر الأغاني الحديثة وعناوينها. في نهاية عام 2009، نشرت AOL Radio Blog قائمتها لأشهر عشر أغاني لهذا العام، حسب تصنيف مستمعي راديو AOL. فمن خلال النظر إلى عناوين هذه الأغاني، يتضح أن النقطة

⁵⁶ Bloom, Allan The Closing of the American Mind.

المحورية في رسالتهم هي الحب المحرم. فيما يلي العناوين والأوصاف

المختصرة لبعض تلك الأغاني: (57)

*"أنت لي" لتايلور سويفت في هذه الأغنية

('You Belong with Me' by Taylor Swift)

المغنية مغرمة بصديق، لذا تحاول إقناعه بأنها تحبه أكثر من صديقتها الأخرى.

*"إعادة" لإياز

('Replay' by Iyaz)

هذه الأغنية تتحدث عن فتاة لا يستطيع المغني إخراجها من رأسه. نتيجة

لذلك، كلاهما يغني باستمرار بينما توقف جهاز iPod الخاص بهما في إعادة

التشغيل.

*"وجه البوكر" للسيدة جاجا

('Poker Face' by Lady GaGa)

⁵⁷ Raymond, Serena (2009). "Top 10 Songs of 2009".

<http://www.aolradioblog.com/2009/06/30/top-10-songs-of-2009-so-far/>

الموضوعات الرئيسة لهذه الأغنية هي الجنس والمقاومة والازدواجية.

*"يَسْتَعْلُ شخصٌ" لكينغز أوف ليون

(**'Use Somebody' by Kings of Leon**)

تتحدث كلمات هذه الأغنية عن الشعور بالوحدة على الطريق.

*"حياتي سوف تُصدم بدونك" لكيلي كلاركسون

(**'My Life Would Suck Without You' by Kelly Clarkson**)

في هذه الأغنية، تغني كلاركسون مع أنها وصديقتها غالباً ما يتشاجران مع

بعضهما، إلا أنها لا تستطيع السماح له بالرحيل لأنه بطريقة ما يجعل حياتها

أفضل.

*"الجولة الصحيحة" لفلو رايدا

(**'Right Round' by Flo Rida**)

هذه الأغنية تدور حول ليلة قضاها المغني في نادٍ للتعري

*"ماذا ستقول" لجيسون ديرولو

(**'Watcha Say' by Jason Derulo**)

تركز كلمات هذه الأغنية على موقف تدرك فيه صديقه أن صديقها على علاقة مع امرأة أخرى.

في تشرين الأول / أكتوبر 1987، عُقد مؤتمر في العاصمة واشنطن حول موضوع "إثارة موسيقا روك آند رول- الصوت والغضب-" وفي ذلك المؤتمر، أشار الجراح العام للولايات المتحدة (United States Surgeon General) الدكتور إيفريت كوب (Dr. C. Everett Koop) إلى أن هذا النوع من الموسيقا يجعلك قريباً من المواد الإباحية (58). ومن ثم، اقتنع الجراح العام في الولايات المتحدة أن الموسيقا والمواد الإباحية من جنس واحد. يبدو أنه فهم حكمة قول النبي ﷺ التي نطق بها قبل حوالي أربعة عشر قرناً، والتي وصف فيها الموسيقا مقرونة إلى جانب الزنا، ليثبت ارتباطهما الوثيق معاً.

⁵⁸ King, Paul M.D. "Heavy metal music and drug abuse in adolescents."

علاقة الغناء بالنفاق

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الصحابي الجليل أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال:

"الغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ"⁽⁵⁹⁾. وبالمثل قال الإمام أحمد بن حنبل عند سؤاله عن

موقفه من الموسيقى: " الغناء لا يعجبني، إنه ينبت النفاق بالقلب، والغناء باطل

والباطل في النار." ⁽⁶⁰⁾ هناك ارتباط وثيق بين الغناء والنفاق. كل من الزنا والنفاق

علامات على القلب المريض.

وفي هذا الاقتباس من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اجتمع الغناء والنفاق.

يمكن رؤية نفاق المطربين المسلمين الذين يستخدمون الآلات الموسيقية في

أغانيهم من خلال بياناتهم الصحفية، والتي غالباً ما يشكرون الله فيها على بيع

كثير من التسجيلات أو الفوز بالجوائز. إنهم لا يفهمون أنهم لا يستطيعون عبادة

سيِّدين؛ يعني لا يقدر الإنسان أن يرقص مع إبليس ويسبح الرب في نفس الوقت.

⁵⁹ ابن القيم الجوزية "إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان".

⁶⁰ تليس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت

٥٩٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

قال تعالى في المنافقين: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ

وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ تَخْدَعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا تَخْدَعُونَ إِلَّا

أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ (سورة البقرة: 8-10)

يلقي العلامة المفتي محمد شفيع الضوء على جوانب أخرى للعلاقة

بين الغناء والنفاق فيقول: "لا بد من معرفة أن للغناء خصائص معينة تضعف

القلب فتنبت فيه النفاق كما يُنبِت الماء النباتات. ومن خصائصه أنه يشتم القلب

ويمنعه من التفكير بالقرآن وتطبيقه على أنفسنا. هذا لأن القرآن والأناشيد لا

يمكن أن يتعايشا في القلب أبداً، لأنهما متعارضان. مما لا شك فيه أن القرآن نهى

عن السعي وراء العبث وأمر بضبط أهواء النفس وفتن الشر. ومن ناحية أخرى،

فإن الغناء يشجع على عكس هذه الصفات تماماً، لأنه يحرض الذات الداخلية

المخفية ويغري بظلم الروح بدفعها نحو كل رغبة مخزية... إضافة إلى أن النفاق

مبني على الباطل، والغناء فيه كلمات كاذبة كثيرة. تحاول تجميل القبيح وتلميعه، هذه هي طبيعة النفاق.

إدمان الإنسان بالأغاني إدماناً ملحوظاً يجعل الاستماع إلى القرآن عبئاً ثقيلاً على قلبه وبغضاً لأذنيه. وإذا لم يكن هذا نفاقاً فما هو النفاق؟ (61)

علاقة الغناء بالكحول وتعاطي المخدرات

قال النبي محمد (ﷺ): "لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمَرَ وَالْمَعَازِفَ". (62)

في هذا الحديث وُصفت الموسيقى مع الكحول، ينطبق أيضاً بالقياس على الأدوية المخدرة التي تُذهب العقل وتُفسده، في التعاليم الإسلامية كل ما يسبب السكر يعامل مثل الكحول.

وقد روى ابن عمر (رضي الله عنهما) بهذا الحديث الذي قال فيه رسول الله (ﷺ):

⁶¹ مفتي محمد شفيعي (2002). الإسلام والموسيقا، مكتب دار العلوم، كراتشي

⁶² صحيح البخاري (كتاب الأشربة)، عن أبي مالك الأشعري، الصفحة أو الرقم: 5590،

كل مُسْكِرٍ حَمْرٌ، وكل مُسْكِرٍ حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يُدْمِنُهَا
لَمْ يَتُبْ، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ. (63)

إن هناك علاقة عميقة بين الموسيقى والمخدرات. تشل الموسيقى عقولنا
مؤقتاً وتنوّمها مغناطيسياً تماماً مثل المخدرات والكحول والأفيون والهيروين
والكوكايين، بالإضافة إلى المواد الأخرى التي تسبب الإدمان مثل التبغ. في
الواقع، جميعها تؤثر في نفس المنطقة من الدماغ (الجهاز الحوفي)، كما بيّنا في
الفصل السابق.

يُعتبر عازف الغيتار والمغني وكاتب الأغاني الأمريكي الراحل جيمس
مارشال جيمي هندريكس (James Marshall "Jimi" Hendrix) من أكثر
الموسيقيين تأثيراً في عصره. قال جيمي هندريكس ما يلي حول قوة الموسيقى في
مقابلة مع مجلة لايف:

⁶³ صحيح مسلم، الراوي: عبدالله بن عمر، المحدث: مسلم،، الصفحة أو الرقم: 2003،
خلاصة حكم المحدث: [صحيح] التخريج: أخرجه البخاري (5575) بنحوه

"يمكنني شرح كل شيء شرحاً أفضل من خلال الموسيقى. يمكنك

تنويم الناس مغناطيسياً من خلال قوة الموسيقى وعندما تجد الناس في

أضعف نقاطهم، يمكنك استخدام الموسيقى لتغرس في عقولهم

اللاواعية ما تريد قوله". (64)

ليس هناك شك في أن الموسيقى والمخدرات مرتبطان ارتباطاً وثيقاً.

من خلال دراسة في مجال علم النفس الاجتماعي، أظهر الباحث (Ronald E.

Milliman) أن إيقاع موسيقا الخلفية يؤثر على الزبائن في المطعم فيما يتعلق

بمدة وجباتهم ومقدار الأموال التي ينفقونها. كما تؤثر تأثيراً كبيراً على استهلاك

الزبائن للمشروبات الكحولية أثناء وجباتهم. والأهم من ذلك، أن الزبائن الذين

يتناولون الطعام يظلون لفترة أطول ويستهلكون المزيد من الكحول عندما يتم

⁶⁴ Oct. 3, 1969 Life magazine: page 4.

تشغيل موسيقا الخلفية ذات الإيقاع البطيء (مثل الموسيقا الكلاسيكية) مقارنةً

بموسيقا الآلات ذات الإيقاع السريع (مثل الموسيقا الشعبية). (66,65)

وبالمثل، نُقل عن دكتور آدم كنيست (Dr. Adam Knieste)، عالم

الموسيقا الذي يدرس تأثيرات الموسيقا على الناس، في مقال له في مجلة

Family Weekly في 30 يناير 1983، قوله:

"إنه حقاً عقار قوي. الموسيقا يمكن أن تسممك، وترفع معنوياتك، أو

تجعلك مريضاً دون معرفة السبب." (67)

تم تحديد الموسيقا بوصفها مصدراً يتعلم من خلاله الشباب عن

الكحول والتبغ والمخدرات. نال الكحول دائماً أهمية كبيرة في الموسيقا

الشعبية الأمريكية. وفي إحدى الدراسات التي أجريت لمكتب السياسة الوطنية

لمكافحة المخدرات، قام الباحثون دونالد إف روبرتس (Donald

⁶⁵ Milliman, Ronald E. (1986). "The influence of background music on the behavior of restaurant patrons." Journal of Consumer Research **13**: 286-289.

⁶⁶ Jain, Rajnish and Bagdare, Shilpa (2011), "Music and consumption experience: a review". International Journal of Retail & Distribution Management, 39 (4), 289-302.

⁶⁷ Chagall, David (Jan. 30, 1983). Family Weekly magazine: page 12.

(Roberts) وليزا هنريكسن (Lisa Henriksen) وبيتر جي كريستنسون
(Peter Christenson) بفحص 1000 أغنية من أشهر الأغاني من عام 1996
إلى عام 1997. وجاءت عينات الموسيقى من التصنيفات التي جمعتها مجلة
بيلبورد (Billboard) ومجلة راديو آند ريكوردز ومجلة كوليدج ميوزيك
جورنال (College Music Journal). ووجدوا أن حوالي خمس تلك الأغاني
تحتوي على إشارات إلى الكحول. وفي 91٪ من الأغاني التي تشير إلى
الكحول، صُوِّر الكحول بطريقة إيجابية. وتعليقاً على نتائج هذه الدراسة، أشار
الباحث روبرتس إلى أن مدى تعاطي الكحول والتبغ في الموسيقى كان
"الاكتشاف الوحيد الأكثر الأهمية" وقال: "يتشابه الكحول والتبغ مع الهواء
الذي نتنفسه، إنها في كل مكان حولنا طوال الوقت".⁽⁶⁸⁾

وفي كتابه "وجهات نظر الموسيقى الشعبية: الأفكار والموضوعات والأنماط

في الأغاني المعاصرة"، يناقش المؤلف لي ب. كوبر (Lee B. Cooper)

⁶⁸ Roberts, Donald F., Henriksen, L., & Christenson, P.G. (1999). Substance use in popular movies and music. Washington, DC: Office of National Drug Control Policy.

الموضوعات السائدة في تاريخ الأغاني الشعبية. أيسرد عدداً لا يحصى من الأغاني على مر السنين والتي تركز بشكل أساسي على شرب الكحول وهي تشمل عناوين مثل: (69)

- Red Red Wine (Neil Diamond, 1968) (نييد أحمر أحمر)
- Chug-a-lug (recorded by Roger Miller in 1964) (ابتلع الكحول
دون انقطاع)
- Margaritaville (Jimmy Buffett, 1977) (مارغريتا فيل)
- Scotch and Soda (Ray Price, 1983) (سكوتش كحول وصودا)

يمكن جمع العديد من الأمثلة بسهولة، بدءاً من موسيقا البلوز المبكرة إلى موسيقا الراب والروك والريف المعاصرة، وهذا يعني أن الكحول موضوعاً رئيساً في الأغاني، وتحدث العديد من الأغاني الأخرى عن شرب الكحول في

⁶⁹ Roberts, Donald F. & Christenson, Peter G. (Feb. 2000). "Here;s Looking at You, Kid" Alcohol, Drugs and Tobacco in Entertainment Media. New York, The Henry J. Kaiser Family Foundation. A Literature Review Prepared for The National Center on Addiction and Substance Abuse at Columbia University

سياق موضوع آخر. على سبيل المثال، غنى مافريكس عن حزن الحب الضائع

مع هذه السطور في أغنية بلدهم لعام 1997:

“I can’t sleep a wink anymore
Ever since you walked out of the door
And I just started drinkin’ to forget.”⁽⁷⁰⁾

[لا أستطيع أن أنام طرفة عين بعد الآن،

منذ أن خرجت من الباب،

وأنا قد بدأت للتو في شرب الكحول لأنسى.]

توجد أيضاً إشارات إلى استخدام التبغ في الموسيقى الشعبية، وإن لم يكن

بكثرة الإشارات إلى الكحول والمخدرات. اعتمد تسجيل تكس ويليامز Tex

Williams لعام 1947 لـ "دخّن! دخّن! دخّن! (تلك السيجارة)" على تبني

استخدام التبغ موضوعاً مركزياً. ومع ذلك، في معظم الأغاني، يتم ذكر التبغ

ذكراً عابراً، كما في السطور الآتية من أغنية "ماذا حصلت (What I (1996)

Got)" لفرقة الروك البديلة سامية:

⁷⁰ المرجع نفسه.

“Early in the morning
Rising to the street
Light me up that cigarette
And strap shoes on my feet.”⁽⁷¹⁾

[في الصباح الباكر، الصعود إلى الشارع،
أشعل لي تلك السيجارة واحزم أحذية على قدمي.]

في تحليل محتوى ألف أغنية من أشهر الأغاني من عام 1996 إلى عام 1997 (والتي كانت أول دراسة علمية توفر مقياساً كمياً لتكرار إشارات التبغ في الموسيقى الشعبية)، وجد أن 3٪ من تلك الأغاني ذكرت تدخين التبغ أو مضغه، مع أن 64٪ من أغاني الراب / الهيب هوب (Rap / Hip-hop songs) احتوت على مثل هذه الإشارات⁽⁷²⁾. ومع ذلك، يظهر التدخين دائماً في مقاطع الفيديو الموسيقية أكثر من الكلمات نفسها.

⁷¹ المرجع نفسه.

⁷² Roberts, Donald F., Henriksen, L., & Christenson, P.G. (1999). Substance use in popular movies and music. Washington, DC: Office of National Drug Control Policy.

وجد ديورانت وزملاؤه أن التدخين صُور دائماً في مقاطع فيديو موسيقا الراب، حيث تم عَرَض 30٪ من الشخصيات وهم يدخنون، وفي موسيقا الريف (country music) وموسيقا R & B (الإيقاع والبلوز) كان 10٪، وفي موسيقا الروك والموسيقا المعاصرة البالغة 22٪.

لاحظ مؤلفو هذه الدراسة أنه من المرجح أن يكون لهذا التصوير الإيجابي لتعاطي التبغ والكحول في مقاطع الفيديو الموسيقية تأثيراً كبيراً على التوقعات المعيارية للمراهقين والسلوكيات اللاحقة.⁽⁷³⁾ يميل عددٌ من الشباب إلى اتخاذ الموسيقيين نماذج-قدوة يحتذى بها-؛ ومن ثم، فإن تعاطي الموسيقيين المخدرات هو أيضاً مسألة مثيرة للاهتمام.⁽⁷⁴⁾

في 26 سبتمبر 1969 أشارت مجلة التايم (Time) إلى أن:

⁷³ DuRant, R.H., Rome, E.S., Rich, M., Allred, E., Emans, S.J., and Woods, E.R. (1997). "Tobacco and alcohol use behaviors portrayed in music videos: A content analysis". American Journal of Public Health, 87, 1131-1135.

⁷⁴ Christenson, Peter G., & Roberts, Donald F. (1998). It's not only rock and roll: Popular music in the lives of adolescents. Cresskill, NJ: Hampton Press.

"موسيقيي الروك يتعاطون المخدرات دائماً وعلنياً، ومحتواهم مليء

بالإشارة إلى المخدرات".

على سبيل المثال، كتب جون كال (John Cale) في عدد مايو 1990

من مجلة سبين أن الأغاني مثل فيلم "الهيروين" لفيليفيت أندرجراوند (فرقة روك

أمريكية) شجعت الشباب على تجربة المخدرات، فأدى إلى نهايات مأساوية في

كثير من الحالات.⁽⁷⁵⁾ وبالمثل، يذكر ويلسون بريان كي (Wilson Bryan)

(Key) ما يأتي عن فرقة البيتلز (The Beatles) :

"قامت فرقة البيتلز بترويج استخدام الهلوسة للمخدرات وإضفاء الشرعية

عليها ثقافياً بين المراهقين في جميع أنحاء العالم، وأصبح فريق البيتلز

أنبياء ثقافة المخدرات الفائقة ودافعها في كل العصور."⁽⁷⁶⁾

⁷⁵ Cale, John (May 1990). Spin: page 30.

⁷⁶ Key, Wilson Bryan (1976). Media Sexploitation. New York, Signet Books.

على سبيل المثال، كان أحد التسجيلات الأكثر شهرة في عام 1968 هو أغنية فرقة البيتلز المنفردة "اهلين جود" (Hey Jude). في هذه الأغنية، غنى بول مكارتني "اهلين جود"، حيث قدم للمستمعين نصائح روحية في شكل مخدرات بوصفها طريقاً للهروب من تجارب الحياة المريرة، وبالمثل، كانت (Sergeant Pepper's Lonely Hearts Club Band) هي الألبوم الأكثر نجاحاً لفريق البيتلز، الذي أصدرته شركة (Capitol Records) تسجيلات الكابيتول. بيع هذا الألبوم بالملايين، واستمع عدد لا يحصى من الأشخاص من جميع الأعمار إلى موسيقاه وأغانيه مراراً وتكراراً.

يتم الترويج للعقاقير المخدرة مثل LSD من خلال إنتاج الأغاني الموجودة في هذا الألبوم⁽⁷⁷⁾، حيث يسهل العثور على أمثلة أحدث من مراجع المخدرات فمثلاً :

"I don't get angry when my mom smokes pot,
Hits that bottle and goes back to the rock"
(Sublime, "What I Got," 1996)

⁷⁷ المرجع نفسه.

- لا أغضب عندما تدخن أُمي القدر (الشراب المسكر)،

- تضرب الزجاجاة وتعود إلى الترنج.

- (رفيعة، "ما حصلت عليه"، 1996)

"Pass the hay (marijuana) you silly slut
Blaze it up so I can hit that bud
Get me zoned and I'll be on
Cuz I love to smoke upon hay"

(Crucial Conflict "Hay" 1997)⁽⁷⁸⁾

- مرر الحشيش (الماريجوانا) أيها الفاسق السخيف،

- وأشعلها حتى أتمكن من ضرب هذا البرعم،

- وإجعلني مقسمًا وسأكون،

- لأنني أحب التدخين على التبن (الحشيش)

- (صراع حاسم، "التبن" 1997)

من بين نجوم الموسيقى المعاصرين الذين لقوا حتفهم بسبب تعاطي

المخدرات برايان جونز (Brian Jones) من فرقة رولينج ستونز (Rolling

Stones)، ودينيس ويلسون (Dennis Wilson) من بيتش بويز، وسيد فيشوس

⁷⁸ Roberts, Donald F. & Christenson, Peter G. (Feb. 2000). "Here's Looking at You, Kid" in Alcohol, Drugs and Tobacco in Entertainment Media. New York, The Henry J. Kaiser Family Foundation.

(Sid Vicious)أوف ذا سيكس بيستولز، إلفيس بريسلي (Elvis Presley) ،
وجيمي هندريكس (Jimi Hendrix)، وجيم موريسون (Jim Morrison)،
والمغني الشعبي وكاتب الأغاني تيم هاردين (Tim Harden) ومغني فرانكي
ليمون (Frankie Lymon). في الآونة الأخيرة، توفي ديفيد روفين (David
Ruffin) من الإغراءات من جرعة زائدة من الكوكايين.⁽⁷⁹⁾ وبالمثل، توفي
العديد من مطربي الموسيقى التقليدية البارزين في البلدان الإسلامية بسبب جرعة
زائدة من الكحول أو تعاطي الكحول.

يعمل الدكتور بول كينج (Dr. Paul King) أستاذاً مساعداً في الطب
النفسي للأطفال والمراهقين بكلية الطب بجامعة تينيسي، ممفيس
(University of Tennessee Memphis). قام الدكتور بول كينج بدراسة
علمية حول العلاقة بين الموسيقى والمخدرات.⁽⁸⁰⁾ على مدى ثلاث سنوات،
درس 470 مريضاً مراهقاً (242 فتى و228 فتاة) تم إدخالهم إلى مستشفى

⁷⁹ Ankenberg, Frank & Weldon, John (1992). The Facts on Rock Music. Eugene, Oregon, Harvest House Publishers.

⁸⁰ King, Paul M.D. "Heavy metal music and drug abuse in adolescents."

تشارتر ليكسايد في ممفيس بولاية تينيسي. كان معظم المرضى من البيض وتراوح أعمارهم بين 13 و 18 سنة، جاؤوا من مجموعة واسعة من الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية، من مدن أو مناطق ريفية في ميسيسيبي وأركنساس أو تينيسي. كشفت نتائج هذه الدراسة أن ما يقرب من 60 ٪ من المرضى الذين تورطوا في تعاطي المخدرات حددوا موسيقا الميتال بوصف موسيقا من اختيارهم

يلاحظ الدكتور كينغ: "أن أولئك الذين يعملون مع المراهقين الذين يعانون من مشاكل تعاطي المخدرات الكبيرة يجدون أن هؤلاء الشباب لا يشاركون فقط في السلوك المعادي للمجتمع والنشاط الجنسي المبكر ولكنهم أيضاً مشغولون بموسيقا الميتال. في الواقع، إن الشباب الذين يتعاطون المخدرات على نطاق واسع يعرفون كلمات العديد من الأغاني. من الواضح أن "موسيقاهم" مهمة جداً لهم، وقد تُقَابَل محاولات إزالة موسيقا ميتال من البيئة المنزلية بمقاومة شديدة تصل إلى السلوك العدواني." (81)

⁸¹ المرجع نفسه.

وفقاً للدكتور كينغ، يمكن للمراهق المشبع بالفعل بالمشاعر السلبية أن يستلهم من الموسيقى التي تروج للسلوك المعادي للمجتمع وإدمان المخدرات. وفي دراسة أخرى، درس الباحثان جروب (Grube) ووالاك (Wallack) تأثير وسائل الإعلام في السلوك ووجدوا أن التعرض البسيط لإعلانات الكحول لا يؤثر على تعاطي الكحول، تعتمد تأثيرات إعلانات الكحول إلى حد كبير على مدى إعجاب الشباب بها ومدى اهتمامهم بها. وبالتالي، تم استخدام الموسيقى والفكاهة في الإعلانات التي تروج لتعاطي الكحول بين المراهقين. أظهرت نتائج هذه الدراسة (التي استخدمت النمذجة الإحصائية) أن الاهتمام بالإعلان عن الكحول أدى إلى زيادة شرب المراهقين.⁽⁸²⁾

⁸² Grube, J.W. & Wallack, L. (1994). "Televised beer advertisement and drinking knowledge, beliefs, and intentions among school children." Am J Public Health 84: 254-259.

العناصر الأساسية في الإعلانات التي تشجع على

استخدام الكحول

وتجدر الإشارة إلى أنه ليس كل ما تقدم مرتبطاً بموسيقا الميتال فقط ولكن هناك أنواعاً أخرى من الموسيقا مرتبطة بالكحول والمخدرات. أكد العديد من الباحثين على هذه النقطة. وبالمثل، أظهرت الأبحاث الميدانية حول سلوك شرب الكحوليات أن زيادة مستوى استهلاك الكحول مرتبط ارتباطاً مباشراً بالتعرض والاستماع إلى موسيقا الريف.⁽⁸³⁾ و في تقرير نُشر في مجلة دراسات حول الكحول (*Journal of Studies on Alcohol*)، قام بول تشالفانت (Paul Chalfant) وروبرت بيكلي (Robert Beckley) بتحليل أكثر ثلاثين أغنية من الأغاني الريفية شعبيةً ولوحظ أن كلمات موسيقا الريف غالباً ما تصور

⁸³ Schaefer, James M. (1988) "Slow Country Music and Drinking" Paper presented at the annual meetings of the American Anthropological Association, Phoenix.

شرب الكحول بوصفه طريقةً أساسيةً وطبيعيةً للتعامل مع مشاكل الحياة.⁽⁸⁴⁾
تشير تلك الأغاني إلى أن "الحياة صعبة، وأن شرب الخمر هو السبيل الوحيد
لمواجهة ما لا يمكن التعامل معه بأي طريقة أخرى".⁽⁸⁵⁾

في 25٪ من تلك الأغاني الريفية، ظهر أن تعاطي الكحول يساهم في
ممارسة الجنس غير المشروع. وعلى سبيل المثال، في أغنية بعنوان: "بعد انتهاء
الحريق" (After the Fire is Gone)، يُنظر إلى الكحول على أنه يشجع الإنسان
على البحث عن علاقات خارج نطاق الزواج عندما "اندلعت النار في المنزل".
في فيديو موسيقا "Third rat romance" كان رجل مع امرأة يحبها وكانا
يشربان الخمر معاً في حانة، ثم ذهبا إلى فندق رخيص للاستمتاع. في الأغنية التي
تحمل عنوان "خذني إلى المنزل إلى مكان ما" (Take Me Home to

⁸⁴ تشير موسيقا الريف إلى أسلوب بسيط من الموسيقا الشعبية التي تُسمع غالباً في جنوب
الولايات المتحدة ولكنها تحظى أيضاً بشعبية في البلدان الأخرى. عادة ما يتم عزفها على
الآلات الوترية.

⁸⁵ Chalfant, Paul, and Robert Beckley (1977). "Beguiling and Betraying:
The Image of Alcohol Use in Country Music." Journal of Studies on
Alcohol 38: 1428-1433.

(Somewhere، يظهر المغني أنه في الحانات "حظي بنصيب من الأوقات الجيدة

والكثير من النساء الجميلات...")

يتم الترويج للجنس غير المشروع (الزنا) والكحول في أغانٍ بعنوان

"مدينة الأضواء" (Lights City) و "رجل غربي" (Western Man) و "أنا هنا

في مدينة دالاس" (Here I am in Dallas). (86)

تؤكد كل هذه الأبحاث أن هناك علاقة وثيقة بين الموسيقى والمخدرات

والجنس وأنهم يميلون إلى التعايش، فهذه العلاقة ذكرها النبي محمد ﷺ قبل

حوالي أربعة عشر قرناً.

يصف الأستاذ الدكتور آلان بلوم⁽⁸⁷⁾ (Allan Bloom) تشابهاً آخر بين

الموسيقى والمخدرات فكلاهما يحدث في النفس تأثيراً متشابهاً، وكلاهما يدمر

الحماس المستقبلي لمدمنها: "فموسيقى الروك تسبب نشوة مبكرة، وتؤثر على

الإنسان مثل المخدرات". أشار الأستاذ الدكتور بلوم، بناءً على خبرة عقود من

⁸⁶ المرجع نفسه.

⁸⁷ آلان بلوم (Allan Bloom) هو الأستاذ الدكتور في جامعة شيكاغو، والذي لديه أيضاً خبرة في

تدريس الطلاب في جامعة ييل وجامعة باريس وجامعة تورنتو وجامعة كورنيل.

الزمن في التعامل مع الشباب، أن الطلاب الذين انغمسوا في المخدرات في سنواتهم الأولى ثم تجاوزوها فيما بعد، واجهوا صعوبة في إيجاد العاطفة والحماس في حياتهم. بدا الأمر كما لو أن كل ألوان الحياة قد استنزفت من أجسادهم، والآن ينظرون إلى الحياة على أنها سوداء وبيضاء فقط. كانت المتعة التي تلقوها أثناء تجربة المخدرات شديدة لدرجة أنهم بعد ذلك لم يشعروا بالمتعة في أي شيء في حياتهم.⁽⁸⁸⁾

أهمية الموسيقى في الخداع الجماعي

علينا حماية أجسادنا من الذنوب لأننا سنكون مسؤولين عن أفعالنا يوم القيامة، الشيطان لا يستطيع الوصول إلى الأفكار التي تأتي في قلوبنا. ومع ذلك، لديه القدرة على الهمس في قلوبنا قال تعالى: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ

النَّاسِ ﴿سورة الناس (5)

⁸⁸ Bloom, Allan. The Closing of the American Mind.

وقد تكون النتيجة إثم بعد ذلك. إذا كان القلب سليماً روحانياً مخلصاً
لوجه الله تعالى، فإن همس الشيطان يكون ضعيفاً. من ناحية أخرى، إذا كان
القلب ضعيفاً روحانياً، فإن همس الشيطان يكون قوياً جداً وفعالاً. من الأشياء
المثيرة للاهتمام أن الشيطان يفتقر إلى الأصالة. أي يستمر في استخدام نفس
الحيل القديمة على البشر. يستخدم الشيطان نقاط ضعف البشر لإحداث
المرض في قلوبهم. كتبت مريم جميلة (Maryam Jameelah) ⁽⁸⁹⁾ عن الطبيعة
البشرية:

"شخصية الإنسان، واحتياجاته الحيوية والنفسية، وقدراته الجسدية
والعقلية، والإغراءات التي تجعله يستسلم للشر، وسعيه الأبدي للقيم
الأخلاقية والروحية التي تمنح الحياة الإنسانية معناها وغايتها وتميزها

⁸⁹ مريم جميلة (مارغريت ماركوس سابقاً) تلك السيدة الأمريكية اليهودية الواعية التي بحثت منذ
فترة مراهقتها عن الحقيقة حتى وجدت في الإسلام فأمنت ودخلت دين الإسلام وحسن إسلامها
وأصبحت من المفكرات الداعيات إلى الإسلام، ولها إسهامات فكرية ودعوية كثيرة، وكان إسلامها
بعد مراسلات نقاشية استمرت قرابة ثلاث سنوات مع الأستاذ أبو الأعلى المودودي -رحمه الله-

عن باقي المخلوقات، فطريقة الشيطان لم تتغير على الإطلاق منذ

ظهور الإنسان." (90)

بسبب عدم تأصل الشيطان في التلاعب بالطبيعة البشرية واستغلالها،

يصبح من السهل فهم الطرق التي يخدع بها البشر للوقوع في شركه. إنها حقيقة

أن الموسيقى تضلل الإنسان وتؤدي إلى إهمال مستمعها لعلاقته بالله. إن

الموسيقى هي حيلة قديمة للشيطان يستخدمها الإنسان لإهمال الغرض السامي

من خلقه وهو عبادة الله سبحانه وتعالى. كما قال الله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن

يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ

هُمَّ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ (سورة لقمان 6)

في هذه الآية، مصطلح "لهو الحديث" تعني الموسيقى والغناء، كما

شرحها أصحاب النبي ﷺ مثل ابن مسعود وجابر وابن عباس رضي الله عنهم، وكثير من

⁹⁰ Jameelah, Maryam (1981). The Generation Gap: It's Causes & Consequences. Lahore, Mohammad Yusuf Khan & Sons.

التابعين مثل عكرمة ومجاهد و المكحول. (91) وقد روى علماء الحديث ما يأتي

في بيان سبب نزول هذه الآية:

عندما كان النبي محمد ﷺ ينشر رسالته في مكة، حيث كان هناك تاجرًا

ثريًا اسمه النضر بن الحارث، كان يستخدم طرقًا مختلفة لإلهاء الناس عن رسالة

الإسلام، وكان من الأمور التي قام بها شراء بعض المغنيات، كلما وجد شخصًا

كان يهتم بالقرآن أو بقبوله لدين الإسلام، كان النضر بن الحارث يذهب إليه

ويُعيّن إحدى جاريتيه لإغرائه بالطعام والخمر وإسماعه الأغاني. وبعد أيام يزور

الشخص و يسأل: "أخبرني هل شرب الخمر وأكل الأطعمة الشهية والاستماع

إلى الموسيقى والغناء أفضل أم الرسالة التي أتى بها محمد ﷺ؟" وبهذه الطريقة،

تمكّن النضر بن الحارث من تحويل كثير من الراغبين في دخول الإسلام أو

المسلمين ذوي الإيمان الضعيف إلى دين الوثنية. (92) بالإضافة إلى ذلك بحسب

⁹¹ أبو بلال مصطفى الكندي، حكم الموسيقى والغناء (جدة: مكتبة أبو القاسم، 1986).

⁹² روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني (طبع المنيرية) علامه محمود شكري

الألوسي تفسير سورة لقمان، (ذكرها البيهقي في السنن عن ابن مسعود و في رواية جوير

عن ابن عباس.)

المؤرخ العربي المسعودي، كان النضر بن الحارث هو أول من قام بالعزف على العود في شبه الجزيرة العربية بعد أن تعلم كيفية العزف عليها والغناء أثناء رحلته إلى بلاد فارس.⁽⁹³⁾

لا يزال الحكام والسياسيون والرأسماليون في العصر الحالي يتبعون نفس عقلية النضر بن الحارث، ويستخدمون أساليب الإغواء التي استخدمها. لكن في الواقع، تعد الأساليب الحديثة للإغواء أكثر دقة ودهاءً لأنها الآن مدعومة بالتقنية والوسائط الإعلامية الحديثة. فقد صنعوا أسلحة خداعٍ جماعية. ففي البلدان الإسلامية كلها تقريباً، خصصت الحكومات قنوات تلفزيونية منفصلة للعروض الموسيقية. يُشبعون رغبات شعبهم في كل موضوع تافه حتى يحكموا رعاياهم بسهولة.

اعتاد الحكام الرومان على إبقاء جمهورهم منشغلاً بوسائل ترفيه تافهة أصبحت تسمى "الخبز والسيرك" أو "الخبز والألعاب" (bread and

⁹³ المسعودي، محمود بن عبد الله. مروج الذهب. فصل في "الغنى الأولى عند العرب" (4):

(196) بيروت، دار المعرفة.

(circus). إنها نفس طريقة الحكام في كل عصر: إمتاع رعاياهم حتى الموت. الحكام هم الذين يتلاعبون بالإعلام عن عمدٍ لأنهم يريدون إبقاء شعبهم في الظلام. إنهم يريدون تخدير رعاياهم بأي نشاط يبعدهم عن التفكير السليم في حياتهم. يصبح الناس مشغولين جداً في محاولة الانضمام إلى الأنشطة التي يتم إنشاؤها بالوسائط (مثل الموسيقى والغناء والرياضة وما شابه) حتى يتمكنوا من الاستمتاع، وبهذا فهم ينحرفون عن الوظيفة الأساسية التي خلقوا من أجلها. فيصبح الناس مدمنين على " الخبز والألعاب " لدرجة أنهم يضيعون وقتهم في التسلية التافهة. وفي الواقع، هذا هو فن الإغواء في كل زمن.

ولعلّ هوليوود (Hollywood Film Industry) هي أكبر من "النصر بن الحارث" في هذا القرن. ينفق الناس مبالغ طائلة على الأفلام، وهي في الواقع أحاديث تافهة لدرجة كبيرة. يعتبر فيلم تيتانيك (Titanic) مثلاً من أعلى الأفلام في هذا العصر، حيث بلغت كلفته حوالي 285 مليون دولار أمريكي. موضوع هذا الفيلم هو قصة حب، أي إذا انغمست في الحب قبل الزواج فإنك ستصبح بطلاً. وقد كان للموسيقا أثراً مركزياً حاسماً في نقل هذه الرسالة. ولا

عجب أن أغنية Celine Dion من تيتانيك، "My Heart Will Go On"، فازت

بالعديد من الجوائز الموسيقية.

ولهذه القوة الاستغلالية للموسيقا، حذر الكاتب المعاصر ديفيد

شاغال (David Chagall) في مقال في (Family Weekly) في 30 كانون الثاني

1983 قائلاً:

"تُستخدم الموسيقا في كل مكان لتكييف العقل البشري. يمكن أن

تكون قوية مثل المخدرات وأكثر خطورة بكثير. لأنه لا أحد يأخذ قوة

التلاعب بالموسيقا على محمل الجد".⁽⁹⁴⁾

أولئك الذين يتحكمون في وسائل الإعلام يدركون جيداً قوة الموسيقا

التي تسبب الاضطرابات العقلية. كتبت الصحفية البريطانية المتخصصة في مجال

علم النفس والطب دينيس ون (Denise Winn) في كتابها "العقل المتلاعب

به" (The Manipulated Mind: Brainwashing، Conditioning and

:Indoctrination)

⁹⁴ Chagall, David (Jan. 30, 1983). Family Weekly magazine: 12.

" يوجد ثلاثة عناصر ضرورية لبرنامج ناجح لغسيل الدماغ: التعب

الجسدي والعقلي، والتكرار، وتقليل الرسائل المطلوبة إلى

شعارات....؟" (95)

عندما ننظر إلى الموسيقى والغناء، نجد أن العناصر الثلاثة السابقة

موجودة فيها. يعتبر الناس أن الموسيقى هي وسيلة ترفيه، وبالتالي فهم غالباً ما

يستمعون إليها عندما يكونون متعبين جسدياً وعقلياً. وهناك تكرار في كلمات

الأغنية، ويتم تقديم الرسائل تقديماً موجزاً للغاية، يشبه كثيراً الشعارات. لذلك،

يمكن للموسيقى أن تنجح في غسل دماغ مستمعيها وتكييفه، دون أن يكون

الشخص على علم بذلك. لاحظ عالم النفس الشهير جون كاباس (John

:Kappas)

"أن الناس حساسون حقاً للرسائل الواعية المسجلة وأن الإثارة

والكتابة يمكن أن تنشأ عن طريق الموسيقى / الحمل الزائد الحسي ...

⁹⁵ Winn, Denise (2000). The Manipulated Mind. Cambridge, MA, Marlor Books.

في أي وقت يضعف العقل، يصبح الشخص قابلاً للانقياد بشدة. سوف يأخذون أي شيء تقترحه في ذلك الوقت لأنه ليس لديهم دفاعات ضده. يمكن للناس الخروج من الحفلات الموسيقية في حالة قابلة للانقياد للغاية... الموسيقى تميل إلى نزع فتيل التفكير وخلق الحالة المزاجية. وفي المقابل، تتسرب الرسائل الخبيثة إلى الداخل" (96)

أهمية الموسيقى في صناعة السينما

تعد الموسيقى من أقوى مصادر العواطف في الأفلام. إذا قمنا بإخراج الموسيقى من "الصورة"، فإن صناعة السينما بأكملها سوف تنهار لأن الموسيقى هي أقوى سلاح يتم من خلاله إغواء الجمهور. حقيقة الأمر أن كل المشاهد في الفيلم، سواء كانت مشاهد تشويق أو غموض أو كوميديا أو رومانسية تعتمد بالدرجة الأولى على الموسيقى كمكون رئيسي طيلة فترة الفيلم.

⁹⁶ Schwartz, Ted and Empey, Duane (1989). Satanism: Is Your Family Safe? Gran Rapids, MI, Zondervan.

ويمكن للموسيقا أن تحول قصة تافهة وسخيفة في فيلم إلى شيء مهم، حيث تعمل الموسيقا على تحريك مشاهد الحب في الفيلم. فقد تعززت القوة الجذابة للأفلام و المسرحيات تعزيزاً كبيراً باستخدام الموسيقا.

تعتمد صناعة الأفلام في العالم اعتماداً كبيراً على استخدام الموسيقا، سواء كانت هوليوود الأمريكية (Hollywood) أو بوليوود الهندية (Bollywood) أو الدراما والأفلام العربية. تتمتع الموسيقا بالقدرة على التعبير عن المشاعر في الأفلام تعبيراً أفضل بكثير من الصورة وحدها. ويرجع ذلك إلى قدرة الموسيقا على حمل أنواع مختلفة من المعلومات العاطفية في وقت واحد في تناغم ولحن جرس وإيقاع.

ويمكن فهم أهمية الموسيقا في صناعة السينما من حقيقة أنه عندما قُدمت الأفلام الصامتة أول مرة في بداية القرن العشرين، استخدمت الموسيقا في المسارح لتوضيح الإجراءات وشرحها.⁽⁹⁷⁾

⁹⁷ Cohen, Annabel J. (2001). "Music As a Source of Emotion in Film". In: Music and Emotion: Theory and Research. Patrik N. & Sloboda Juslin, John A. New York, Oxford University Press: 249 - 272.

كان عالم النفس بجامعة هارفارد هوغو مونستربرغ (Hugo Münsterberg) رائداً في مجال نظرية الفيلم. كان من آخر كتبه المنشورة في عام 1916 (The Photoplay: A Psychological Study) دراسة نفسية، والتي يمكن اعتباره أول كتاب عن نظرية الفيلم. في هذا الكتاب، شدد فيه مونستربرغ على ضرورة وجود موسيقا في الأفلام لأن الموسيقا حسب قوله تخفف التوتر، وتحافظ على الاهتمام، وتعطي الراحة، وتثير المشاعر، و توفر التجربة الجمالية. وقال إن السينما تشبه الموسيقا أكثر من التصوير الفوتوغرافي و الدراما لأنه في مجال الجماليات يَغلب فن النغمات الموسيقية "على العالم الخارجي والعالم الاجتماعي بالكامل".⁽⁹⁸⁾

توفي مونستربرغ في نفس العام (أي 1916) الذي نُشر فيه كتابه (The Photoplay)، لم تدرك صناعة السينما في البداية أهمية أفكاره. في عام 1927، عندما أصبحت الأفلام الناطقة ممكنة، أُخرجت الموسيقا من الأفلام. كان يعتقد أنه مع الأصوات الحقيقية والتأثيرات، لم تعد هناك حاجة للموسيقا من أجل

⁹⁸ Münsterberg, Hugo (1970). The Photoplay: A psychological Study. New York, Arno (originally published in 1916).

إثارة المشاعر والمزاج. ومع ذلك في غضون سنوات قليلة، فَقَدَ الناس الاهتمام بالأفلام. بدأ الناس يشعرون أنه لا توجد حياة في الأفلام عندما لم تكن هناك موسيقا مستخدمة فيها. ومن هذه التجربة أدركت صناعة السينما بأن العواطف لا يمكن التعبير عنها في فيلم بدون وجود الموسيقا".⁽⁹⁹⁾

نشرت كاثرين كاليناك (Kathryn Kallinack)⁽¹⁰⁰⁾ العديد من المقالات

حول صوت الأفلام. وتقول:

"رَفَضْتُ الموسيقا تماماً في البداية. لكن عندما أدركتُ أن نجاح الفلم

يعتمد على تزامن التأثيرات الصوتية والخطابية، والعمر الافتراضي

للصورة الشاملة (التي لا تحتوي على موسيقا) كانت قصيرة، فالحاجة

إلى الموسيقا سرعان ما تعيد تأكيد نفسها".⁽¹⁰¹⁾

⁹⁹ Cohen, Annabel J. (2001). Music As a Source of Emotion in Film. Music and Emotion: Theory and Research. Patrik N. & Sloboda Juslin, John A. New York, Oxford University Press: 249 - 272.

¹⁰⁰ كاثرين كاليناك (Kathryn Kallinack) هي أستاذة اللغة الإنجليزية ودراسات الأفلام (Film Studies) في كلية رود آيلاند (Rhode Island College) في أمريكا.

¹⁰¹ Kalinack, K. (1992). Settling the Score. Madison, WI, University of Wisconsin Press.

ولهذا السبب، تم اقتراح إضافة بُعد موسيقي ثالث لشاشة الفيلم ثنائي

الأبعاد".⁽¹⁰²⁾ في إحدى الدراسات التي نشرها Bullerjahn و Guldenring

في عام 1994، أنشأ كبار الملحنين المحترفين لموسيقا الأفلام مجموعة من

خمسة مقطوعات موسيقية مختلفة في الخلفية (على سبيل المثال، جريمة أو

مشجاة يعني ميلودراما) لنفس مقطع الفيلم الذي تبلغ مدته عشر دقائق.⁽¹⁰³⁾

كشفت نتائج الدراسة أنه بناءً على الموسيقى التصويرية أصدر المشاهدون

أحكاماً مختلفة فيما يتعلق بمدى ملاءمة الفئات العاطفية (مثل حزين أو عاطفي

أو مثير أو حي) واختيار مشهد الفيلم (جريمة، رعب، كوميديا، إثارة) وأسباب

تصرفات الشخصية القيادية وتوقعات نهاية الفيلم. ومن ثم، فإن الموسيقى تغير

معاني أي جانب معين من جوانب الفيلم.

¹⁰² Palmer, C. (1990). The Composer in Hollywood. New York, Marion Boyars.

¹⁰³ Bullerjahn, C. & Guldenring, M. (1994) "An empirical investigation of effects of film music using qualitative content analysis." Psychomusicology 13: 99-118

الدكتورة أنابيل كوهين (Dr. Annabel Cohen) أستاذة علم النفس في
جامعة برنس إدوارد آيليند. عند مناقشة الدور الأساسي للموسيقا في الأفلام،
تكتب الدكتور أنابيل كوهين:

"الموسيقا تفعل أكثر من مجرد صدى أو تقدم نظيراً لمفهوم موجود
بالفعل في الفيلم. يمكن للموسيقا أيضاً أن توجه الانتباه إلى شيء ما
على الشاشة وتؤسس عاطفياً استنتاجات مثقلة بهذا الشيء
...الموسيقا تزيد من الإحساس بالواقع أو الاستيعاب في الفيلم، ربما
عن طريق زيادة الإثارة وزيادة الاهتمام بسياق الفيلم بأكمله وعدم
الانتباه إلى أي شيء آخر... اقترح مونستربرغ أن العمليات النفسية
الكامنة وراء الفيلم كانت تشبه تلك الخاصة بالموسيقا أكثر من الفنون
المرئية أو الدراما والتي قد تبدو على السطح أكثر تشابهاً. أظهرت
الأدلة التجريبية منذ ذلك الحين أن الموسيقا تؤثر على تفسير سرد

الفيلم وأن الموسيقى تصبح مدمجة في الذاكرة مع المعلومات

المرئية." (104)

أهمية الموسيقى في صناعة الإعلان

الموسيقا عنصر شائع في الإعلانات التجارية. فقد ثبت من خلال

دراسات مختلفة أن الموسيقى تشارك في تحفيز المزاج وأنها تؤثر في السلوك

والتفضيلات في مجموعة متنوعة من السياقات. تشير الدراسات التي أجريت

على المستهلكين إلى أن الموسيقى تؤثر على المنتجات التي سيختارونها. نظراً

للأهمية العميقة للموسيقا في التأثير على الحالة المزاجية للناس.

تعتمد صناعة الإعلان أيضاً اعتماداً كبيراً على الموسيقا، حيث

يستخدمون أفضل الكلمات الموسيقية لإغراء الناس بشراء منتجاتهم وفي بعض

¹⁰⁴ Cohen, Annabel J. "Music As a Source of Emotion in Film". Music and Emotion: Theory and Research. In P. N. Juslin & J. A. Sloboda (Eds.), Music and emotion: Theory and research (pp. 249–272). Oxford University Press.

الأحيان يقومون بدمج الأناشيد الجذابة من أعمال الموسيقيين المشهورين في إعلاناتهم التجارية.

تري إيدورد إيم براند (Edward M. Brand) أن "الموسيقا في محلات السوبر ماركت مصممة لجعل التسوق أكثر متعة وربما للمساعدة في صرف الانتباه عن التكلفة الإجمالية لعربة التسوق المليئة بالبضائع ... الموسيقا المختارة بعناية تثبت أنها قوية في خلق جو لطيف ومريح للتسوق.⁽¹⁰⁵⁾

تقدم الدراسات أيضاً دليلاً على أن ميزات مثل الفكاهة والجنس واللون والموسيقا في إعلان تجاري يمكن أن تؤثر تأثيراً مباشراً على مواقفنا. على سبيل المثال، أظهر جيرالد جورن (Gerald Gorn) من جامعة كولومبيا البريطانية (كندا) من خلال تجاربه على البشر أنه عندما يسمع الناس الموسيقا أثناء تعرضهم لمنتج ما يمكن لهذه الموسيقا أن تؤثر تأثيراً مباشراً على تفضيلات منتجاتهم. بالإضافة إلى ذلك، تعتبر المنبهات مثل الموسيقا والألوان مهمة جداً لدرجة أن العديد من الإعلانات التجارية في أمريكا الشمالية وكندا

¹⁰⁵ Brand, Edward A. (1963). Modern Supermarket Operation. New York, Fairchild Publications.

تحتوي على معلومات قليلة جداً عن المنتج ؛ بدلاً من ذلك، فهي تتكون أساساً من المحفزات التي يمكن أن تثير المشاعر، مثل الموسيقى والألوان (والصور المرئية الأخرى مثل العارضات الإناث).⁽¹⁰⁶⁾ ومن المثير للاهتمام، في إحدى تجارب Gorn، من بين الأشخاص جميعهم في الدراسة الذين اختاروا المنتج بناءً على الموسيقى المفضلة، لم يكن 91 ٪ منهم على دراية بأن الموسيقى المفضلة كانت سبباً في التأثير على قرارهم. قد يكون هذا جزئياً بسبب حقيقة أن الناس لديهم غرورهم [وهو ما يسمى "التحيز المعرفي" (Cognitive bias) في لغة علم النفس]، وهو نتيجة لمحاولتهم التفكير جيداً في أنفسهم. بسبب التحيز المعرفي، يحاول الناس إقناع أنفسهم والباحثين بأن عقولهم لا يمكن التلاعب بها بأي شيء وأنهم يتخذون قرارات عقلانية دائماً.⁽¹⁰⁷⁾

¹⁰⁶ Gorn, Gerald J. (Winter 1982). "The Effects of Music In Advertising On Choice Behavior: A Classical Conditioning Approach." Journal of Marketing **46**: 94-101.

¹⁰⁷ Greenwald, A.G. (1980). "The Totalitarian Ego: Fabrication and Revision of Personal History." American Psychologist **35**(7): 603-618.

سبب آخر لهذا النقص في الوعي عند الأشخاص بشأن التلاعب بعقولهم بالموسيقا يمكن أن ترسل الموسيقا أحياناً إلى العقل رسالة لا شعورية. هناك أدلة علمية على ذلك، والتي ستتم مناقشتها بالتفصيل لاحقاً في قسم "أثر الموسيقا في انتحار الشباب". في النهاية، يقترح جيرالد جورن للمعلنين (الرأسماليين والصناعيين) أن يصلوا إلى مشاهديهم "من خلال ميزات مثيرة عاطفياً" مثل الموسيقا، وذلك للتلاعب والتأثير في اختيارهم للمنتجات". (108)

في دراسة أجراها رونالد ميلمان (Ronald Millman) وزملاؤه في جامعة لويولا، تبين أنه عندما يتم تشغيل الموسيقا البطيئة في ممرات الأسواق المركزية، كانت المبيعات أعلى بنسبة 38.2٪ (كما ينعكس في إيصالات المبيعات) مقارنة بالمبيعات نفسها ولكن مع تشغيل موسيقا سريعة. عندما تم استجواب العملاء الذين كانوا يغادرون الأسواق المركزية، لم يكن ثلث

¹⁰⁸ Gorn, Gerald J. (Winter 1982). "The Effects of Music In Advertising On Choice Behavior: A Classical Conditioning Approach." Journal of Marketing 46: 94-101.

المتسوقين على علم بوجود أي نوع من الموسيقى التي يتم تشغيلها، ونفى 29٪
من المتسوقين تمامًا حقيقة وجود أي موسيقا يتم تشغيلها في السوق. (109) وقد
ورد في الدراسة السابقة التي أجراها (Gorn) تأكيد أن غالبية العملاء لم يكونوا
على دراية بأن عقولهم تلاعبت بها الموسيقى. يمكن أيضاً استنتاج أن المعلنين
يستخدمون الموسيقى لبيع المنتجات بينما يكذبون بشأن قيمتها الفعلية وجودتها.

¹⁰⁹ Rosenfeld, Anne H. (Dec. 1985). "Music, The Beautiful Disturber." Psychology Today. 48-56.

الفصل الثالث

الموسيقا جعلتني أفعل ذلك

"يمكن للموسيقا أن تدفعنا إلى البكاء أو الرقص أو القتال أو الجنس (الزنا) لقد ابتكرها الناس للتأثير والتواصل مع الآخرين. بمعنى ما، ليس من المستغرب أن تستحوذ علينا الموسيقا كما يفترض أن تفعل. بمجرد إلقاء نظرة على العملية يبدو أنه من المعجزة تماماً أن يتمكن الناس من تحريك بعضهم بعضاً بمجرد هز الموجات الصوتية". (110)

(آن إتش روزنفيلد، عالمة نفس وموسيقا)

وفقاً لليونانيين القدماء، فإن أصل الموسيقا هو "muse"، والتي تشير إلى الكائنات الروحية المسؤولة عن إلهام الفنون كلها. ويبدو أن هؤلاء "الكائنات الروحية" هم القوى الشيطانية التي تعمل في الموسيقا لأن الشيطان

¹¹⁰ Rosenfeld, Anne H. (Dec. 1985). "Music, The Beautiful Disturber." Psychology Today. 48-56.

وفقاً للقرآن يضلُّ البشر بصوته المغري. ومن المثير للاهتمام، أن أحد تعاريف

قاموس ويبستر لكلمة "muse"، جذر "الموسيقا"، هو "مصدر الإلهام".

لدى البشر طريقتان رئيسان للإلهام خارج ذواتهم: طريق الله سبحانه

وتعالى وطريق الشيطان.

يُوحى الله سبحانه وتعالى إلى عباده من خلال كتبه المقدسة، بينما الشيطان ينزغ

بينهم لأنه كاذب عدواني يرغب في إثارة التمرد على الله سبحانه وتعالى. ويوجد

كثير من الأدلة التي تثبت أن الموسيقا لها تأثير مباشر على سلوك الناس.

مقارنة بين الموسيقا البطيئة والناعمة والموسيقا السريعة

والصاخبة

على العموم، هناك نوعان رئيسان من الموسيقا، مع أن هذا التصنيف

مخلٌ قليلاً وهناك بعض التداخل:

- الموسيقا البطيئة والناعمة (مثل القصص والموسيقا الشعبية

والموسيقا التقليدية والترانيم الدينية)

• الموسيقى السريعة والصاخبة (مثل موسيقا الروك و موسيقا ميتال

الصاخبة و موسيقا الجاز)

فيما يلي مقارنة بين نوعي الموسيقا فيما يتعلق بتأثيرها على المجتمع:

الموسيقا البطيئة والناعمة تتأرجح في رأس مستمعها، بينما الموسيقا

السريعة والصاخبة تتأرجح في ورك مستمعها - مع أن أنواع الموسيقا كلها تجعل

المستمع غافلاً عن ذكر الله. خاصة عندما يكون موضوعها حزيناً، في حين أن

الموسيقا الأسرع قد تجعلها عدوانية بسبب إيقاعها العالي وتحفيزها المفرط.

تخبرنا نظرة خاطفة على حياة بعض مؤلفي الموسيقا التقليدية عن

الاكتئاب في حياتهم. فقد فكر العبقرى الموسيقى لودفيج فان بيتهوفن

(Ludwig van Beethoven) في الانتحار خلال حياته. وتوفي الملحن

الكلاسيكى موزارت (Mozart) مبكراً عن عمر يناهز خمسة وثلاثين عاماً. و

يرى الفيلسوف والشاعر الألماني، فريدريك نيتشه (Friedrich Wilhelm

Nietzsche) أن الموسيقا محاولة لإضفاء المتعة والجمال على الظلام.

فالقوى الفوضوية في الروح تجعلهم يخدمون أعلى غاية.⁽¹¹¹⁾ ومع ذلك، كان نيتشه دائماً يعلن كفره، إنه أعلن أن "الله قد مات" (العياذ بالله). وقد أصيب بجنون دائم خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته. ومعظم الأغاني من الأنواع يكون فيها موضوع الجنس موضوعاً رئيساً، كما هو موضح في الدراسات العلمية في الفصل السابق.

وعموماً تقود الأغاني البطيئة والناعمة المستمعين للانخراط في الجنس غير المشروع من خلال تقديم الحب قبل الزواج بوصفه قاعدةً مُسلِّماً بها اجتماعياً، في حين أن الأغاني السريعة والصاخبة تفعل ذلك من خلال تحفيز الرغبات الجنسية وحتى التحريض على العنف في المستمعين. وغالباً ما تبالغ الأغاني الأبطأ والأكثر نعومة في التهيج الجنسي لدى النساء، في حين أن العديد من الأغاني الأخرى تحط من قدر النساء إلى مستوى رموزٍ وأدوات للجنس، كما سيظهر لاحقاً في هذا الفصل. وبالقياس؛ فإن الموسيقى البطيئة والناعمة تشبه الكحول من حيث أنها تقتل ببطء في حين أن الموسيقى السريعة والصاخبة تعمل

¹¹¹ Nietzsche, Friederich (1967). *The Birth of Tragedy and The Case of Wagner*. New York, Vintage Books.

مثل المخدرات التي تكون أكثر تحفيزاً من الكحول مثل الكوكايين والهيروين و MDMA (إكستاسي) و MDEA (حواء) و LSD أو PCP (غبار الملاك).

توضح المناقشة أعلاه أنه ومع أن فئات الموسيقى المختلفة قد يكون لها أساليب مختلفة في الأفعال، إلا أنها لا تختلف حقاً عن بعضها البعض من حيث نتائجها وتأثيرها الإفسادي في المجتمع. وهذا لأن مصدرها واحد. فالموسيقى الصاخبة ذات الوتيرة السريعة تُدمر مستمعيها بسرعة أكبر، في حين أن الموسيقى الهادئة البطيئة قاتلة بطيئة. وقد لا يكون هذا واضحاً في بعض الأحيان، ولكن هذا لا يدلّ على أن الموسيقى الهادئة البطيئة ملائكية ومتواضعة؛ وكل ما في الأمر أن مخاطرها أكثر دقة. فالموسيقى بأشكالها كلها ممنوعة في تعاليم القرآن والسنة.

ترتبط موسيقا البوب بالموسيقا الكلاسيكية بشكل مشابه لارتباط السيجار بالسجائر، وينطبق البحث عن أحد أشكال الموسيقى على الأنواع الأخرى أيضاً. وفي الواقع، مع ظهور التقنية الصوتية الحديثة، تطورت الأنواع التقليدية من الأغاني إلى أغاني البوب والروك. أصبحت القذارة والفساد المختبئين في الموسيقى التقليدية واضحين للغاية مع ظهور التقنية الحديثة مثل

أجهزة الراديو ومسجلات الأشرطة ومكبرات الصوت ومحطات التلفزة
الموسيقية والكابلات وشبكات الأطباق ومشغلات الأقراص المضغوطة
وأقراص DVD والإنترنت والأجهزة المحمولة مثل iPod و Walkmans
و mp3.

ومع أن معظم الموسيقى تحمل رسالة عن الجنس والتمرد على
السلطة، إلا أن سبب اكتساب ثقافة موسيقا البوب المعاصرة المزيد من الشهرة
والزخم مقارنةً بأنواع الموسيقى الأكثر تقليدية، يرجع إلى أن الناس فقدوا ميولهم
للموسيقا التقليدية مع مرور الزمن. فيسهل على المطربين والموسيقيين أن
يأخذوا باستمرار صراحة رسالة الاختلاط و "الحرية" إلى مستويات أعلى. ومن
خلال زيادة حدة رسالتهم القدرة يمكن لهؤلاء المغنين والموسيقيين الاستمرار
في إمتاع وإرضاء أدنى رغبات مستمعيهم ومشاهديهم.

أثر الموسيقى في تمرد الشباب على الوالدين

الموسيقا، سواء من الراديو أو من التسجيلات، هي شكل من أشكال الترفيه الشعبية للشباب. وقد ثبت أن الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 11 و14 عاماً يقضون 16.6 ساعة في الأسبوع على سماع الموسيقى، بينما يقضي المراهقون من سن 15 إلى 18 عاماً حوالي 21.4 ساعة في الأسبوع على سماع الموسيقى، فهم يستمعون إلى الموسيقى على أجهزة الراديو أو الأقراص المدمجة أو وسائط أخرى مختلفة⁽¹¹²⁾ وقد يرى الآباء أن استماع الأطفال والمراهقين إلى الموسيقى أمر بريء وطبيعي ودون علم الوالدين أحياناً، فللموسيقا آثار نفسية عميقة على الأطفال والمراهقين. فهي تجعل الأطفال يثورون على والديهم.

لاحظ الطبيب إيزابيث براؤون وويليام هيندي أن معظم المراهقين يستمعون إلى الموسيقى في خلوة منازلهم ويفسرون بأنفسهم الأفكار المقدمة في

¹¹² Roberts, Donald F., Foehr, U.G., Rideout, V.J., and Brodie, M. (1999a). Kids and media @ the new millennium. Palo Alto, CA: Kaiser Family Foundation.

الموسيقا دون توجيه من الكبار. بالإضافة إلى ذلك، فإن المراهقة هي الوقت الذي يبدأ فيه المراهقون في تطوير معايير السلوك والأخلاق في ضوء المعايير الأخلاقية للبالغين. يناقش الطبيبان براؤون وهيندي:

"في هذا السياق، تُقدم الموسيقا - والتي تُعد وسيلة قوية في حياة المراهقين - قيمًا متناقضةً. غالبًا ما تتعارض كلمات الأغاني العنيفة والجنس الصريح لبعض أشكال الموسيقا مع موضوعات العفة والسلوك العقلاني الذي يروج له المجتمع الراشد." (113)

يكتب الاستاذ الدكتور آلان بلوم:

"ومع أن الطلاب لا يملكون كتبًا، إلا أنهم لاشك يمتلكون الموسيقا بشكل مؤكد. ليس هناك ما هو أكثر تفرّدًا في هذا الجيل من إدمانه للموسيقا." (114)

¹¹³ Brown, E.F. & Hende, W.R. "Adolescents and their music. Insights into the health of adolescents."

¹¹⁴ Bloom, Allan. The Closing of the American Mind.

كتب الشاعر والمؤلف الأمريكي روبرت بلائي (Robert Bly) في

كتابه (The Sibling Society) أن لموسيقا الروك في الخمسينيات والستينيات

دوراً مهماً في حركة تحرير المراهقين:

"شارك الأبطال المشهورون في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي،

جيمس دين (James Dean) و إلفيس بريسلي (Elvis Presley) و

مارلين مونرو (Marilyn Monroe) و جاك كرواك (Jack

Kerouac)، في هذا النضال من حرية الناس، وكانوا محبوبين بسبب

هذا النضال." (115)

يناقش روبرت بلائي هنا أن موسيقا الروك كانت أحد العوامل الرئيسية

التي ساهمت في عقلية التحرر في سن المراهقة. في الحقيقة إن الشباب هم

الجمهور المستهدف بصناعة الموسيقى، مع أن الأشخاص في الفئات العمرية

الأخرى يستمعون أيضاً إلى الموسيقى. يقضي الشباب ما معدله 2.5 ساعة في

اليوم في الاستماع إلى الموسيقى. وفقاً للإحصاءات الرئيسية من موقع جمعية

¹¹⁵ Bly, Robert (1996). The Sibling Society. New York, Addison-Wesley Publishing Company.

صناعة التسجيلات الأمريكية، في عام 2008، تجاوزت مبيعات الموسيقى المسجلة (بما في ذلك الأقراص المضغوطة وشرائط الكاسيت كاملة الطول، والأغاني الفردية، ومقاطع الفيديو الموسيقية، وأقراص DVD، والتنزيلات الرقمية، والأقراص الضوئية، وLPS) في الولايات المتحدة ثمانية مليارات دولار، وشكّل الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 10 و19 عامًا حوالي 18٪ من إجمالي المبيعات. يسير شراء الموسيقى في بلدان أخرى على نفس الاتجاه كما هو الحال في الولايات المتحدة، وإن كان بوتيرة أبطأ.

أفاد العديد من الشباب عن شعورهم بأن الموسيقى التي يستمعون إليها، والفنانين الذين يصنعون تلك الموسيقى، يمثلون قدوة لهم. إنهم يشعرون أنهم قدوة لهم بالارتباط لأنهم يعتقدون أن المغني يعرف الصراعات العقلية التي يمرون بها وكيف يشعرون. فالفنان نموذج يحتذى به في نظرية التعلم الاجتماعي. وفقاً لهذه النظرية، عادة ما تتشكل ردود الفعل العدائية المعادية لأفراد المجتمع من خلال التجارب المبكرة مع الوالدين وغيرهم من الكبار ذوي القيمة. عندما لا تتوفر هذه القدوة، يبحث الأطفال عن الآخرين ليحلوا

محلهم، في رغبتهم في تقليد رؤسائهم، في مثل هذه الحالات، قد تسد الموسيقى والأغنية - ومن يعزفها أو يغنيها - هذه الفجوات، مما يمنح المستمع إحساساً بإثبات الشخصية وقبول الرفاق.

تزداد احتمالية التقليد عندما يُنظر إلى القدوة على أنها مثيرة للإعجاب أو مشابهة للذات. في مجتمع اليوم، يقضي الأطفال والشباب وقتاً أطول بكثير بمفردهم أمام أجهزة الوسائط الإلكترونية، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن المزيد والمزيد من الأمهات يعملن بدلا من قضاء الوقت مع الأطفال. إن تركهم وحدهم أجبر العديد من الأطفال والشباب على البحث عن نماذج وأشخاص جدد لمساعدتهم في القرارات الصعبة التي يواجهونها. الموسيقى الشعبية والأغاني تخبر المراهقين بما يريدون سماعه أكثر من غيرهم.

كما أشرنا سابقاً، فإن فترة المراهقة هي وقت ضغوطات كبيرة، حيث يتم تنشيط الجهاز الحوفي بالفعل بسبب ارتفاع مستويات الهرمونات الجنسية. في وقتنا الحالي.. الموسيقى والمخدرات.. كلاهما يؤثر على الجهاز الحوفي ويحفزانه، بالإضافة إلى ذلك، في هذه المرحلة من المراهقة، يكون المراهقون

عند نقطة تحول في تحديد الاتجاهات المستقبلية لحياتهم. عندما تقدم الموسيقى قيمًا تتعارض مع القيم التي يُعلّمها لهم الآباء والمعلمون والمجتمع، فإنهم يصابون بالحيرة.

وفقًا للدكتور بول كينغ - وهو خبير بارز في مجال الطب النفسي للأطفال والمراهقين - يتعين على الشباب الذين لا يتماهون مع القيم التقليدية لمجتمعهم أن يعرفوا أنفسهم بشيء ما. يسعى الشباب جميعهم إلى قوة أو سلطة أعلى توافق على ما يشعرون به ويفعلونه. وفي مثل هذه الحالة، توفر لهم الموسيقى تسويغًا وموافقةً على أفعالهم.⁽¹¹⁶⁾

أكد أحد الأخصائيين المدرسين، والذي يتمتع بخبرة واسعة في التعامل مع الأطفال الصعبيين، أن تأثير الموسيقى استمر في الظهور في جلسات الإرشاد التي يعقدها مع الطلاب. في إصدار نوفمبر/ ديسمبر 1989 لمجلة تحديث وسائل الإعلام، قال:

¹¹⁶ King, Paul M.D. "Heavy metal music and drug abuse in adolescents."

"المرّة تلو المرّة رأيتهم يقلّدون نجوم موسيقا الروك بأفعالهم وسلوكهم غير الأخلاقي. أظهر الأطفال ولاءهم من خلال المفردات التي حصلوا عليها، وعناوين الأغاني المطبوعة على أغلفة كتبهم، والملصقات التي علقوها على جدران غرفهم في المنزل، والموسيقا التي استمعوا إليها في سياراتهم، والملابس التي كانوا يرتدونها."⁽¹¹⁷⁾

في بعض الأحيان، لا يقتصر تمرد الشباب على والديهم على تركهم في دور رعاية المسنين. في بعض الأحيان يذهب بعض الشباب المتمرد إلى درجة قتل والديهم. مرّة أخرى، الموسيقا عامل مساهم. وفي التاسع من كانون الثاني لعام 1988، في بلدة جيفرسون بولاية نيوجيرسي، قتل شاب يدعى توماس سوليفان (Thomas Sullivan) والدته، بيتي آن (Betty-Ann)، في قبو منزلهم؛ ثم أشعل النار في المنزل ليقتل والده وأخيه الأصغر. وأخيراً، ركض إلى الخارج وانتحر بقطع معصميه. استيقظ والده في الوقت المناسب، على صوت إنذار

¹¹⁷ Media Update, Nov/Dec 1989, pp. 2-3

الحريق، لكنه وجد زوجته ميتة في بركة من الدماء في قبو المنزل. تم العثور على جثة توماس سوليفان في الفناء الخلفي في صباح اليوم التالي. ذكرت الشرطة في وقت لاحق أن توماس كان طالباً موهوباً. رياضي بارز وفتى كشافة. ثم انغمس في موسيقا الروك وكان من محبي نجم الروك أوزي أوزبورن (Ozzy Osbourne). أخبر والد توماس الشرطة أن ابنه توماس كان يغني طوال الأسبوع قبل قتل والدته، أغنية "عن الدم وقتل والدتك" ("about blood and killing your mother")⁽¹¹⁸⁾

وبالمثل، وفقاً لتقرير US News & World Report (28 أكتوبر 1985، ص 46-49)، فتاة تبلغ من العمر 14 عاماً كانت مفتونة بموسيقا البوب طعنت والدتها حتى الموت. مع أنّ هذه حالات متطرفة، إلا أنها تُؤكد أن للموسيقا القدرة على جعل الشخص عنيفاً ومختلاً عقلياً. فقد لا يكون هناك دائماً علاقة بسيطة بين الاستماع إلى الموسيقا وارتكاب العنف، كما لا يوجد علاقة بسيطة بين التدخين والإصابة بالسرطان. لكن في حقيقة الأمر هو أن هناك

¹¹⁸ Ankenberg, Frank & Weldon, John. The Facts on Rock Music

صلة مباشرة في كلتا الحالتين. إضافة إلى أن التدخين ليس المسبب الوحيد لسرطان الرئة لكنه من أبرز الأسباب. لا يُعتبر الاستماع للموسيقا هو السبب الوحيد لعنف الشباب لكنه يمارس أثراً مهماً كما سيتضح في القسم التالي.

أثر الموسيقا في الانتحار بين الشباب

في العصر الحديث، لعبت الموسيقا دوراً أساسياً في الميول للانتحار بين الشباب. وفي القرآن يخبرنا الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ (يوسف: 87) ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر:

(53)

وكلمة "شيطان" هي "إبليس" التي تعني شخص يائس. من أعظم حيل إبليس (الشيطان) هو أنه يدفع الناس لليأس من رحمة الله. وهو جزء من الحالة الحديثة لأهداف الموسيقا. فمن الأشياء التي تخلق اليأس مثلاً؛ مشاهدة التلفاز، يصوّر الخبر على التلفاز صورة الكآبة والعذاب للعالم حيث كل شيء مرتبط

بالجحيم. هذه أفكار شيطانية، تهدف إلى نشر اليأس الذي يحب إبليس تعزيزه، حيث يقتل الناس أنفسهم حقاً باليأس الشديد وفقدان الإيمان. إنها حالة سيئة يجب التدخل فيها. ولا تختلف رسالة اليأس التي تقدّمها الموسيقي للشباب مع نبرة أقوى بكثير. تماماً كما المخدرات التي تؤدي بالأشخاص للاكتئاب لدرجة أن بعضهم ينتحر، فإن للموسيقا عواقب مماثلة.

يمكن أن تكون الموسيقي عاملاً قوياً للاكتئاب، ويمكنها أن تغذي مزاجاً انتحارياً. أي شخص يستمع إلى أغاني عن حسرة ورفض وألم وبؤس وفقدان يشعر بالتأكيد بالآثار المحبطة عليهم. كما أشار عالم النفس آرون بيك (Aaron Beck) ورفاقه، فإن اليأس يُعدُّ العامل الأكثر أهمية، والحالة النفسية الرئيسية، بين الأشخاص الذين ينتحرون.⁽¹¹⁹⁾

أولئك الناس الذين يعتبرون الموسيقي شكلاً غير ضار من الترفيه لا يفهمون في الواقع قوة الموسيقي. إنهم لا يدركون ما يتم حشوه في أنفسهم جنباً

¹¹⁹ Aaron Beck, Robert, S., Kovacs, M., et al. (1985). "Hopelessness and Eventual Suicide." American Journal of Psychiatry **142**: 559-563.

إلى جنب مع الموسيقى. عندما يستمع الشخص إلى الموسيقى، تنفجر لديه الذكريات القديمة، سواء كانت الموسيقى حزينة أم مرحة. يمكن للناس أن يتذكروا كلمات الأغاني بسهولة أكبر من الشر. ومن ثم يمكن للموسيقى أن تثير مشاعر الكآبة، والتي قد تسبب اكتئاباً لا يطاق لدرجة أن المستمع قد يتتحر. على سبيل المثال، لطالما ارتبطت نسبة كبيرة من موسيقا الريف والغرب، إلى جانب موسيقا البلوز، بكلمات وحكايات الويل المحبطة، والتي تجعل المستمع يشعر بالتعاسة. في دراسة نُشرت في عام 1992، قام الباحثان ستيفن ستاك (Steven Stack) وجيم جوندلاش (Jim Gundlach) بتقييم الصلة بين موسيقا الريف و معدلات الانتحار في المدن الكبرى. أظهرت نتائج تحليل الانحدار المتعدد لتسع وأربعين مدينة أمريكية كبرى وذلك أنه كلما زاد مقدار وقت البث المخصص لموسيقا الريف، زاد معدل الانتحار بين الأمريكيين البيض. بناءً على نتائج دراستهم، افترض ستاك وجوندلاش أن موسيقا الريف تغذي مستمعيها بالمزاج الانتحاري من خلال مخاوفه من

المشاكل الشائعة بين السكان الانتحاريين، مثل الخلاف الزوجي، تعاطي

الكحول، الاغتراب عن العمل " (120)

غالبًا ما تنقل موسيقا الريف والأغاني فكرة القدرية أو اليأس. إنها

تعكس اليأس وعدم الجدوى والنفاق من وهم الحياة الحديثة. على سبيل

المثال، يسود الشعور بالتشاؤم والمرارة العديد من الأغاني الريفية عن

المزارعين. فرقة Nitty Gritty Dirt Band عندما غنت عن رجل قام ببيع

مزرعته بالمزاد، رددت الأسطر الآتية:

"Worked this place all my life,

Broke my heart, took my wife.

Now I got nothing to show." (121)

"عملتُ في هذا المكان طوال حياتي... حطمتَ قلبي، وأخذتَ زوجتي.

الآن ليس لدي ما أعرضه."

¹²⁰ Stack, Steven & Gundlach, Jim. (1992). "The Effect of Country Music on Suicide." Social Forces 71(1): 211-218.

¹²¹ Peterson, Richard A. (1991) quoted in: Stack, Steven & Gundlach, Jim. (1992). "The Effect of Country Music on Suicide." Social Forces 71(1): 211-218.

وبالمثل، فإن العديد من الأغاني الريفية تصور مراراً وتكراراً سمات الحياة المنعزلة والمسيئة في كثير من الأحيان بين الطبقات الاجتماعية والاقتصادية الدنيا. (122)

يصفون تهاة أو بلادة الحياة. على سبيل المثال، أغنية ألفريد ريد مثلاً تتساءل "كيف يمكن لرجل أن يطبق مثل هذه الأشياء ويعيش؟" تشير إلى وجود صلة بين الانتحار والفقر، والأغنية الناجحة لبيلي هيل (Billy Hill) عام 1989 "هناك كثير من المال في نهاية الشهر" تعكس مشاعر اليأس المرتبطة بمشاكل الضغط المالي. (123)

موضوع آخر شائع في نوع الموسيقى الريفي يمكن أن يعزز مشاعر الانتحار هو قضية الخلاف الزوجي والانحلال. في إحدى الدراسات التي نُشرت في مجلة الزواج والعائلة (Journal of Marriage and Family) عام

¹²² Schaefer, James M. (1988) "Slow Country Music and Drinking" Paper presented at the annual meetings of the American Anthropological Association, Phoenix.

¹²³ Peterson, Richard A. "The Effect of Country Music on Suicide." Social Forces

1990، أبلغ الباحث ستيفن ستاك (Steven Stack) عن نتائج تحليل محتوى 1400 أغنية ريفية ناجحة. وجد أن حوالي 75٪ من تلك الأغاني لديها تجارب حب مريرة واحدة على الأقل من موضوعاتها.⁽¹²⁴⁾ في كل هذه الحالات، قد تكون الموضوعات المحببة التي يتم نقلها في موسيقى الريف تغذي المزاج الانتحاري لدى المستمعين.

عندما يتعلق الأمر بموسيقى الروك، فهي في الواقع لا تحبط المستمعين فحسب، بل تشجعهم أيضًا على الانتحار بإعطائهم رسالة مفادها أن "الانتحار هو الحل الوحيد" وأنه السبيل الوحيد للخروج من أعماق اليأس.

وفقًا لمراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها، فإن الانتحار حاليًا هو السبب الرئيسي الثالث للوفاة بين الأمريكيين الذين تتراوح أعمارهم بين 10 و24 عامًا. وفي كل عام حوالي 4400 شاب يقتلون أنفسهم، ويحاول الكثيرون

¹²⁴ Stack, Steven. (1990). "New Micro Level Data on the Impact of Divorce on Suicide, 1959-1980: A Test of Two Theories." Journal of Marriage and the Family 52: 119-127.

القيام بذلك.⁽¹²⁵⁾ فيما يلي أمثلة قليلة على حالات انتحار تم الإعلان عنها على

المستوى الوطني في أمريكا تحت تأثير الموسيقى:

(1) في 23 ديسمبر 1985، خرج ريموند بيلكناب (Raymond

Belknap) البالغ من العمر 18 عامًا وجيمس فانس (James

Vance) البالغ من العمر 20 عامًا من نافذة غرفة نوم وذهبا إلى ملعب قريب

بعد الاستماع إلى أغنية مغني البوب يهودا بريست (Judas Priest) بعنوان

"ما وراء عوالم الموت". بمجرد وصولهما، وضع بيلكناب بندقية تحت

ذقنه، وضغط على الزناد ومات على الفور. ثم أخذ فانس دوره بنفس

الطريقة، لكن البندقية انزلت إلى الأمام وشوهت وجهه. توفي بعد ثلاث

سنوات متأثرا بجراحه. في يوم إطلاق النار، كان الاثنان يعزفان الموسيقى

طوال اليوم. أثناء الاستماع إلى ألبوم يهودا بريست، بدأوا في الهتاف "فقط

افعلها، فقط افعلها"، (Just Do It, Just Do It) أصبحوا عنيفين وانتهى

¹²⁵ Suicide Prevention, Centers for Disease Control and Prevention, last revised October 15, 2009

بهم الأمر إلى الانتحار (أو محاولة الانتحار).⁽¹²⁶⁾ أقام أهالي الضحايا دعوى قضائية ضد كاهن يهودا. ادعى الوالدان الشكّان أن رسالة مموهة بعنوان "افعلها"، كانت حاضرة في الأغنية، والتي تصور نظرة يائسة للحياة، وأنها دفعت الصبيان إلى الانتحار. الموسيقا وكلماتها الموحية، جنباً إلى جنب مع الإيقاعات المستمرة، شجعت الشابين على الاعتقاد بأن الجواب للحياة هو الموت. (بيلكناب ضد يهودا في المحكمة العليا الأمريكية، محافظة ولاية نيفادا، 24 أغسطس 1990).⁽¹²⁷⁾

(2) في أكتوبر 1984، انتحر جون ماكولوم (John McCollum) البالغ من العمر 19 عاماً بإطلاق النار على رأسه بعد استماعه لأغنية أوزي أوزبورن (Ozzy Osbourne). "حلول الانتحار" (Suicide Solutions).

تتضمن هذه الأغنية كلمات:

"يسافر قابض الأرواح بكامل طاقته"

¹²⁶ Capps, Pamela Marsden (1991). "Rock on Trial: Subliminal Message Liability." Columbia Business Law Review 27.

¹²⁷ المرجع نفسه

إنه يمسك بك ولكنك لا ترى

قابض الأرواح هو أنت وقابض الأرواح هو أنا...

الانتحار هو السبيل الوحيد للخروج....

احصل على البندقية وجربها

أطلق النار، أطلق النار، أطلق النار"

كان ماكولوم لا يزال يرتدي سماعات الرأس عندما تم العثور على

جثته. كما أفاد تشاك فيليبس في مقاله في لوس أنجلوس تايمز في 4 أكتوبر

1990، بعنوان "بعد أسابيع فقط من قضية كاهن يهودا، يواجه أوزي

أوزبورن دعاوى قضائية مماثلة بشأن رسائل لا شعورية"، رفع ولي الصبي

دعوى قضائية ضد أوزبورن وشركته. تم إلقاء الاتهام على الرسائل

اللاشعورية التي يُزعم أنها موجودة في أغنية أوزي أوزبورن، في إطلاق النار

على ماكولوم بالانتحار. (128)

¹²⁸ Philips (1990). Just Weeks After Judas Priest Case, Ozzy Osbourne Faces Similar Suits Over Subliminal Messages. L.A. Times. Los Angeles: § F, at 1, col. 2.

3) هناك أدلة قصصية إضافية لدعم العلاقة بين موسيقا الروك والانتحار. في

فبراير 1986، فيليب مورثون (Philip Morton) البالغ من العمر 18

عاماً، من مدينة ديلافايلد بولاية ويسكونسن (Wisconsin). شنق نفسه من

باب خزانة في وقت انتحاره كان يستمع إلى ألبوم فرقة الروك بينك

فلويد (Pink Floyd)، يتضمن أغاني مثل "وداعاً أيها العالم القاسي"

(Goodbye Cruel World) و"في انتظار الديدان (من القبر)" (Waiting

for the Worms). كانت تلك الأغاني تصدح باستمرار في الخلفية. (129)

4) ستيف باوتشر (Steve Boucher)، 16 عاماً، قتل نفسه عن طريق وضع

سلاح على رأسه والضغط على الزناد. احتج والداه بأن سبب انتحار ابنهما

ثنائي الجنس كان هوسه بأغنية "أطلق النار للإثارة" (Shoot to Thrill)

¹²⁹ Watkins, Terry "It's Only Rock'n' Roll ... But It Kills".
(<http://www.av1611.org/rockm.html>)

في الواقع، كان ستيف يجلس تحت ملصق لثنائي الجنس المفضل لديه

عندما ضغط على الزناد وقتل نفسه.⁽¹³⁰⁾

(5) كان مايكل والر (Michael Waller) مراهقاً آخر انتحر في عام 1991. رفع

والداه دعوى قضائية ضد أوزي أوزبورن (Ozzy Osbourne) بسبب أغنية

"الانتحار هو الحل" (Suicide Solution).

وفي الحالات الموصوفة كلها أعلاه التي تنطوي على دعاوى قضائية

من الآباء، رفضت المحاكم الإجراءات القانونية ضد المطربين والموسيقيين

ومنتجي الأسطوانات لأن الموسيقيين، للأسف، محمية دستورياً بموجب التعديل

الأول لدستور الولايات المتحدة.⁽¹³¹⁾ فلا يتحملون أي لوم عن الحوادث.

وتشير الأدلة العلمية الاجتماعية المقدمة في هذا الكتاب بوضوح إلى أن

المراهقين غالباً ما يعطون مصداقية أكبر لآراء الفنانين الموسيقيين حول الحياة

¹³⁰ المرجع نفسه.

¹³¹ Quinlan, Mike, J.D. & Jim Persels, J.D. (Winter 1994). "It's Not My Fault, the Devil Made Me Do It: Attempting to Impose Tort Liability on Publishers, Producers, and Artists for Injuries Allegedly "Inspired" by Media Speech." Southern Illinois Law Journal **18**(417).

أكثر مما يقولونه آباؤهم. غالباً ما يحاولون محاكاة ملابس والمطربين
المفضلين لديهم وموافقهم.

في كل حالة من الحالات المذكورة أعلاه، هل كان الشباب سيفكرون
في ارتكاب هذه الجرائم لولا الأغاني التي أوحى لهم بها؟ عرفت عائلاتهم عن
افتتانهم بأنواع معينة من الأغاني وكانوا يدركون أنهم كانوا يستمعون إليها
عشرات المرات مراراً. ومن المحتمل جداً أن كلمات تلك الأغاني أثرت عليهم
لاتخاذ قراراتهم القاتلة. هذه مجرد أمثلة قليلة من بين عدد لا يحصى من حوادث
العنف التي تُرتكب تحت تأثير الموسيقى.

أثر الموسيقى في الإغواء اللاشعوري

تشير الرسائل اللاشعورية إلى الاتصالات الموجهة للعقل الباطن. إنها
اقتراحات خفية لا ينظر إليها إلا العقل الباطن. يتم تحقيق ذلك من خلال إسقاط
الرسائل بسرعة أو بصوت خافت بحيث يتلقاها المستمع بمستوى أقل من

مستوى العقل الواعي.⁽¹³²⁾ يمكن أن تكون رسائل صوتية مموهة (مخفية خلف

الموسيقا) أو رسائل مموهة مرئية (يتم بثها في صورة وتومض على الشاشة

بسرعة كبيرة بحيث لا نراها بوعي)(visual subliminals) .

وبسبب قوة الموسيقا المغربية، فإنَّ لها أثراً عظيماً في نشر كل من

الرسائل السمعية والبصرية اللاشعورية إلى عقول الناس. فتنطق الكلمات مثلاً

بسرعة كبيرة في أغنية بحيث لا نتذكرها بوعي، أو يتم إخفاء الكلمات في الأغنية

بنغمات موسيقية أو إيقاعات حتى لا نسمعها بوعي.

لفهم الإغواء اللاشعوري، علينا أن نفهم كيف تعمل أذهاننا. عقلنا

الواعي لديه القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب. يميز بين الحق والباطل

وقد نزل علينا الوعي الأخلاقي بالحق والباطل كما جاء في القرآن الكريم:

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ وَتَقَوَّلَهَا (الشمس: 8)

¹³² Capps, Pamela Marsden. "Rock on Trial: Subliminal Message Liability."

من ناحية أخرى لا يقوم عقلنا الباطن بفعل أي شيء بالمعلومات المقدمة إليه باستثناء تخزينها. عندما يتم إدخال القيم الخاطئة إلى الدماغ على شكل رسائل مموهة، فإنها تتجاوز عقلنا الواعي، القادر على تمييز الصواب من الخطأ. يتم تخزينها مباشرة في ذاكرتنا اللاواعية، وبالتالي، فإنها تهدم الحس الأخلاقي.

تم تنبيه الجمهور لأول مرة إلى استخدام الرسائل المخفية في عام 1957، عندما أكد جيمس فيكاري أن شركته طوّرت جهازاً من شأنه أن تومض رسالة على شاشة الفيلم كل خمس ثوانٍ لأقل من جزء من الثانية فقط. استخدمت إحدى دور السينما في نيوجيرسي الجهاز لمدة ستة أسابيع، حيث كانت تومض رسائل " اشرب كوكا كولا" و "جائع؟ كل الفشار". في الأيام التي عُرضت فيها الرسائل المموهة، زادت مبيعات الفشار بنسبة 58٪، وزادت مبيعات الكولا بنسبة 18٪. عموماً كان هناك غضب عام على الاختراع لأن الناس اعتبروه محاولة للتلاعب بالعقل. (133)

133 المرجع نفسه.

كانت هناك حوادث مختلفة إذ عُثر على استخدام الرسائل المخفية في وسائل الإعلام. على سبيل المثال، في عيد ميلاد المسيح في موسم التسوق عام 1973، اشتكى العديد من الآباء إلى لجنة التجارة الفيدرالية (FTC) واللجنة الفيدرالية لاتصالات تقنية المعلومات (FCC). إن الرسالة المموهة "احصل عليه" تم استخدامها في إعلان تلفزيوني وطني في أمريكا عن لعبة أطفال. نتيجة لذلك، توقفت شركة Premium Corporation of America، الشركة المصنعة للعبة، طواعيةً عن تشغيل الإعلان التجاري، "بدعوى أن وجود اللاواعي كان بسبب موظف مضلل".⁽¹³⁴⁾

تُستخدم الرسائل المخفية في الموسيقى تمامًا كما تُستخدم في التلفاز والأفلام وأنماط الاتصال الأخرى. في الحقيقة، في الموسيقى، لديهم ميزة إضافية تتمثل في أن التأثير الساحر للموسيقى يُقنع وينقل الرسائل المخفية الواردة فيها

¹³⁴ المرجع نفسه.

نقلًا أكثر فعالية. إحدى مشاكل الرسائل المخفية هي أنها أحيانًا تكون سريعة

جداً، وغامضة جداً ودقيقة جداً بحيث يصعب مراقبتها. (135)

الرسائل الموهمة بطبيعتها تشبه كثيراً وسواس الشيطان، التي يغرسها

في قلوب البشر بطريقة خفية للغاية، وهي فعالة جداً على الناس يقول القرآن في

وسواس الشيطان: ﴿الَّذِي يُوسَّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ﴿الناس: 5﴾

﴿فَوَسَّوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ

لَا يَمَلُّ﴾ ﴿طه: 120﴾

في إحدى التجارب على (مسرح جيمس فيكاري السينمائي) لوحظ أن

هناك زيادة كبيرة في مبيعات الفشار والكوكاكولا (Popcorn & Coka Coca) عندما

ظهرت رسائل خفية ضمن المسرحية، حيث تم إثبات فعالية هذه الرسائل

تجريبياً في دراسات مختلفة منشورة في مختلف المجالات العلمية ففي يناير

1958 قامت إذاعة راديو سياتيل KOL ببث رسائل خفية أثناء إذاعة تسجيلات

¹³⁵ المرجع نفسه.

أخرى. تضمنت الرسائل، "تحب تشرب فنجان القهوة؟" و "هل يوجد شخص ما على الباب " كشفت نتائج تلك التجربة أن العديد من المستمعين إما صنعوا أو فكروا في القهوة، وذهب البعض الآخر إلى الباب أو تحقق من وجود ناس حول الباب. وبالمثل، استخدمت محطة راديو KYA في سان فرانسيسكو رسائل مموهة أثناء برنامجها لإخبار مستمعيها بالكتابة إلى المحطة. في ستة أيام، تلقت المحطة حوالي سبعة وثمانين رسالة. (136)

تتضمن إحدى الطرق التي تستخدمها صناعة الموسيقى لإنشاء اللاشعوريات وضع كلمة أو عبارة قصيرة تحت قرع الطبول. هذا ينطوي على قرار واع والعمل عند تسجيل الأغاني. على سبيل المثال، في حالة الانتحار الأولى المذكورة في القسم السابق (دعوى مدنية: بيلكناب مقابل يهودا بريست قضية المحكمة العليا الأمريكية)، وجد أن الكلمات (Do It) " افعل ذلك" وضعت عمدا في الأغنية لتكون رسالة مموهة. لاحظ بامبلا مارسدن كابس (Pamela Marsden Capps) المحامي والخبير القانوني الأمريكي ما يلي:

¹³⁶ المرجع نفسه.

"وجدت المحكمة أن الكلمات " افعل ذلك " (Do It) كانت مزيجاً من زفير المغني على مسار واحد وغيتار ليزلي على مسار آخر. ومع ذلك، كانت هناك شهادات تشير إلى أن الرسالة كانت مقصودة بما في ذلك: انتظام الكلمات، "افعل ذلك" (Do It) ، فيما يتعلق بدقات الطبول حيث توجد الكلمات، ووجود "صوت لكمة" حيث تم الضغط على زر التسجيل قبل ظهور عدد من الكلمات، " افعل ذلك " (Do It)، وتحليل الكمبيوتر الذي يُظهر أن تنفس المغني حدث بالمللي ثانية بعد كل " افعل ذلك " (Do It) في التسجيل." (137)

في الحالة التي انتحر فيها ماكولوم بعد الاستماع إلى "الانتحار هو الحل" الخاصة باوزبورن، شاركت أيضاً كلمات مموهة (subliminal song) lyrics) كتب تيري واتكينز ما يلي حول هذه المسألة:

¹³⁷ المرجع نفسه.

"تم التعاقد مع معهد أبحاث الصوتيات الحيوية (IBAR) لتقييم أغنية " الانتحار هو الحل". ليس من المستغرب أنهم وجدوا كلمات مموهة لم تكن مدرجة في حقوق الطبع والنشر لورقة رئيسية. تُغنى الكلمات اللاشعورية بمعدل مرة ومرة ونصف من المعدل الطبيعي للكلام ولا يستوعبها المستمع لأول مرة. ومع ذلك، يزعمون أن الكلمات اللاشعورية "مسموعة بدرجة كافية بحيث يتضح معناها ونواياها الحقيقية بعد الاستماع إليها مراراً." ما هي بعض القصائد الغنائية الخفية؟ "لماذا نحاول، لماذا نحاول؟ احصل على البندقية وجربها! أطلق... أطلق... أطلق... يليه ضحك بشع!"⁽¹³⁸⁾

والغرض من هذه المناقشة هو إعلام القراء بأن الموسيقى والغناء ليسا مجرد أشكال ترفيه غير ضارة. سواء في الشرق أو الغرب، فإن الموسيقيين والمغنين الذين هم رُسلُ الشيطان يقدمون عن قصد أو عن غير قصد - كلمات

¹³⁸ Watkins, Terry "It's Only Rock 'n' Roll ... But It Kills".
(<http://www.av1611.org/rockm.html>)

مموهة في الأغاني، هذه الرسائل اللاشعورية المضمنة في الموسيقى حول الاختلاط والمخدرات والثورات ضد كبار السن والتقاليد الدينية تؤثر في نهاية المطاف على سلوك المستمعين ويمكن أن تدمر النسيج الأخلاقي للمجتمع في غضون بضعة عقود.

أثر الموسيقى في تصوير النساء لأغراض جنسية

لقد ظهر في الأقسام السابقة من هذا الكتاب أن الجنس هو الموضوع الأكثر شيوعاً للموسيقى. إحدى السمات الشائعة في الموسيقى الموجهة للشباب والمتعلقة بالمغازلة والعلاقات الجنسية هي تصوير النساء في النواحي الجنسية. تتميز مثل هذه الأغاني بوجود ذكور مهووسون بالجنس يتنافسون مع بعضهم

بعضاً على الإناث اللواتي يُنظر إليهنَّ على أنَّهنَّ مجرد أدوات جنسية، والتي

تكمُن قيمتهنَّ الوحيدة في مظهرهنَّ الجسدي. (139,140)

هذا التصوير للرجال على أنَّهم همون جنسياً والنساء كأشياء جنسية

منتشرة خاصةً في مقاطع الفيديو الموسيقية. (141) في العرض، ترتبط المشاهدة

المتكررة لمثل هذا المحتوى ارتباطاً وثيقاً بتأييد النساء بوصفهنَّ أشياء جنسية.

أظهرت ذلك الباحثة الإعلامية مونيكا وارد (L. Monique Ward) (عالمة

نفس في جامعة ميشيغان) في دراسة نشرت في عدد عام 2002 من مجلة الشباب

والمراهقة (*Journal of Youth and Adolescence*). (142)

¹³⁹ Ward, L. Monique (1995). "Talking about sex: common themes about sexuality in prime-time television programs children and adolescents view most." *Journal of Youth and Adolescence* **24**: 595-615.

¹⁴⁰ Gow, J. (1995). "Reconsidering gender roles on MTV: depictions in the most popular music videos of the early 1990s." *Commun Rep.* **9**: 151-161.

¹⁴¹ Seidman, S.A. (1992). "An investigation of sex-role stereotyping in music videos." *Journal Broadcast Electron.* **36**: 209-216.

¹⁴² Ward, L. Monique. "Talking about sex: common themes about sexuality in prime-time television programs children and adolescents view most."

وقد يؤدي التعرض المتكرر لمثل هذه الصور أيضا إلى استيعاب أدوار الجنسين هذه التي تظهر السلوك المهين جنسياً باعتباره أمراً أساسياً لكل من الذكور والإناث. وهذا يشير إلى أن تصوير النساء كأدوات جنسية يمكن أن يؤثر على السلوك الجنسي للمراهقات والفتيات الناشئين، وتؤكد دراسة علمية نُشرت في المجلة الطبية Pediatrics (عدد أغسطس/آب 2006) هذا الخلاف.⁽¹⁴³⁾ وقد أجرى ستيفن مارتينو⁽¹⁴⁴⁾ (Steven Martino) وزملاؤه من العلماء مسحاً وطنياً طويلاً عبر الهاتف لـ 1461 مراهقاً أعمارهم بين 12 و17 عاماً. تم إجراء مقابلات مع المشاركين للمرة الأولى في عام 2001، عندما كان عمرهم من 12 إلى 17 عاماً، وكان هناك عدد كبير من العذارى في ذلك الوقت. سُئل المشاركون في الدراسة عن عدد المرات التي استمعوا فيها إلى أكثر من عشرة فنانيين موسيقيين كانوا الأكثر شعبية بين الشباب في ذلك الوقت. أُجريت

¹⁴³ Martino, Steven C., Collins, R. L., Elliot, M. N., et al. (August 2006). "Exposure to Degrading Versus Non-degrading Music Lyrics and Sexual Behavior Among Youth." *Pediatrics* **118**(2): 430-441.

¹⁴⁴ ستيفن مارتينو هو دكتوراه و الباحث في شركة راند، بنسلفانيا، أمريكا (Rand

Corporation)

مقابلات متابعة بعد عام وثلاثة أعوام، في عامي 2002 و2004، لمعرفة ما إذا كان اختيارهم للموسيقا قد أثر على سلوكهم اللاحق. حيث وجدت الدراسة أن المراهقين الذين استمعوا إلى الكثير من الموسيقا التي تحتوي على رسائل جنسية مهينة (تصور النساء بطريقة جنسية مثيرة) كانوا أكثر عرضة بمرتين للانخراط في الأنشطة الجنسية خلال العامين التاليين، مقارنة بالمراهقين الذين استمعوا إلى القليل منها أو الموسيقا التي لا توجد فيها موسيقا مثيرة جنسياً. وفي مقال نشرته في 7 أغسطس / آب 2006 بعنوان "دراسة: كلمات مثيرة تؤدي إلى الجنس عاجلاً"، نقلت وكالة أسوشيتيد بريس (The Associated Press) عن الدكتور مارتينو قوله:

"إن التعرض للكثير من الموسيقا المثيرة جنسياً يمنحهم رسالة محددة حول الجنس، فتحفِّز الأولاد على العمل بلا هوادة لملاحقة النساء وتتعلم الفتيات أن يعتبرن أنفسهن سلعةً جنسية". (145)

¹⁴⁵ Associated Press (August 07, 2006). Study: Sexy Music triggers teen sex. Retrieved on: July 20, 2022 (<http://www.cnn.com/2006/HEALTH/parenting/08/07/sexlyrics.teens.ap/index.html>)

وتعليقاً على تأثير محتوى الموسيقى على السلوك الجنسي للمراهقين، كتب

الدكتور مارتينو:

"الموسيقيون الذين يدمجون هذا النوع من الصور الجنسية في أغانيهم

لا يهتمون بالسلوك الجنسي الصحي لمستمعيهم؛ بل إنهم ينقلون شيئاً

محددًا حول الأدوار الجنسية المناسبة للرجال والنساء. من المحتمل

أن تشجع هذه الكلمات على قبول النساء أنفسهم سلعةً جنسية

والرجال أنفسهم مطاردين للغزو الجنسي."⁽¹⁴⁶⁾

ومن النتائج الأخرى المثيرة للاهتمام التي ذكرها الدكتور مارتينو (Dr.

Martino) ملاحظة أن الوقت الذي يقضيه الشخص في الاستماع إلى الموسيقى

عمومًا والتغيرات في السلوك الجنسي كانت متناسبة طرديًا. بمعنى آخر؛ كلما زاد

الوقت الذي يقضيه المراهقون في الاستماع إلى أي نوع من الموسيقى، تتحفظ

أنشطتهم الجنسية مبكرًا من غير اعتبار المحتوى الجنسي للموسيقا. يفسر دكتور

¹⁴⁶ Martino, S. C., Collins, R. L., Elliot, M. N., et al. (August 2006). "Exposure to Degrading Versus Nondegrading Music Lyrics and Sexual Behavior Among Youth." *Pediatrics* **118**(2): 430-441.

مارتينو، ذلك بأنه عندما يستمع المراهقون إلى الموسيقى الشعبية، يؤدي ذلك إلى زيادة الإثارة العضوية والسلوك الجنسي بين هؤلاء المراهقين من خلال عملية نقل الإثارة. (147)

يرى الدكتور ديفيد والش (148):

"أن نتائج دراسة الدكتور مارتينو حول المراهقين منطقية لأن مركز التحكم في نبضات الدماغ يخضع ل "بناء كبير" خلال سنوات المراهقة في نفس الوقت الذي يبدأ فيه اهتمامه بالجنس بالازدهار مع إضافة كلمات مثيرة جنسياً." (149)

ثم تابع الدكتور والش:

¹⁴⁷ المرجع نفسه.

¹⁴⁸ الدكتور ديفيد والش (Dr. David Walsh) هو عالم النفس الذي كان يرأس المعهد الوطني للإعلام والأسرة (أمريكا)

¹⁴⁹ Associated Press (August 07, 2006). Study: Sexy Music triggers teen sex.

(<http://www.cnn.com/2006/HEALTH/parenting/08/07/sexlyrics.teens.ap/index.html>)

"ليس من المستغرب أن يكون الطفل الذي يتبع نظاماً غذائياً ثقيلاً مثل

هذه الموسيقا... سيكون أكثر عرضة لخطر السلوك الجنسي." (150)

ذكرت رامزي ناتاشا (Ramsey Natasha) وهي محررة مراهقة

لموقع Sexetc.org، وهو موقع ويب تم إنتاجه في جامعة روتجرز Rutgers

University الذي يوفر التربية الجنسية للمراهقين. في مقابلة أوردتها وكالة

أسوشيتيد بريس Press Associated، أن سبب استماعها والمراهقين

الآخرين للأغاني الجنسية الصريحة هو أنهم يحبون الإيقاع. وأضافت أيضاً:

"لا يمكنني أن أقبل شخصاً يتحدث عن ممارسة الجنس أو اغتصاب

فتاة. ومع ذلك، هذه الرسالة تضغط على رؤوس المراهقين. نحن لا

ندرك مدى قدرة المراهقين على إنكار ذلك، سيقولون: 'لا، إن

150 المرجع نفسه

الموسيقا ليست كذلك، لكنها كذلك. ' هذا له أحد أكبر التأثيرات في

حياتنا." (151)

سنلاحظ أن التركيز ينصب دائماً إذا نظرنا إلى أي أغنية تحتوي على الجنس والرومانسية موضوعاً لها، على المظهر الجسدي للمرأة، فتُصوّر على أنها سلعة جنسية. لا نجد مثل هذه الأغاني تمدح ذكاء المرأة أو وضعها الروحي. وبناءً على البحث السابق، تغفل المرأة عن قيمة العفة والتواضع تحت تأثير الموسيقا والأغاني، وذلك لغسل أدمغتها لاعتقادها بأنها سلعة جنسية، وأن الرجال يتنافسون فيما بينهم على الفوز بها. في حين أن مثل هذا السلوك قد يكون مناسباً للحيوانات. ويجب أن يتصرف البشر مثل البشر ويجب أن تتذكر النساء أنهن لسن سلعة جنسية بالطريقة التي يتم تصويرهنّ بها في الموسيقا. والحياء هو أثمن ما يملكه كل من المرأة والرجل. وقد أخبر الرسول الكريم ﷺ أن الحياء سمة بارزة من سمات العقيدة الإسلامية. فقال:

151 المرجع نفسه.

إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلْفًا، وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ (سنن ابن ماجه) (152)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْإِيمَانُ بُضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بُضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً. فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ». (مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

عن عمران بن الحصين قال، قال النبي ﷺ:

الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ. (153)

يشمل معنى الحياء التواضع والخجل والاحتشام والضمير الأخلاقي واحترام الذات. جذره في اللغة العربية هو حَيَوٌ، والتي تعني "الحياة" أو "الوجود". يعني أن حياة أي أمة تكمن في ضميرها الأخلاقي والتواضع. عندما تسود الفظاظ والوقاحة في الأمة، فإن ذلك يؤدي إلى موت الأمة. فالحياء جزء

¹⁵² الراوي: عبدالله بن عباس | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح ابن ماجه، الصفحة أو

الرقم: 3390: خلاصة حكم المحدث: حسن، التخريج: أخرجه ابن ماجه (4182) واللفظ له، والطبراني (10/389) (10780)، والبيهقي في ((شعب الإيمان))

¹⁵³ الراوي: عمران بن الحصين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: 6117

من النزعة الطبيعية التي غرسها الله جل جلاله في البشر. ويجب على النساء والرجال المسلمين أيضًا ألا ينسوا منزلتهم السامية كأولاد النبي آدم عليه السلام. كل من النساء والرجال نالوا روحًا خلقها الله. وقد أعطى كلا الجنسين كرامة أصيلة، وجعل الرجال والنساء أمناء الله في الأرض، كما ورد في القرآن في مواضع مختلفة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾

(سورة الاسراء: 70)

قال تعالى:

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۗ وَجَعَل لَّكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٩﴾ (سورة السجدة: 9)

قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن

يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ

مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (سورة البقرة: 30)

رفع الإسلام منزلة كل من المرأة والرجل إلى أعلى مرتبة يمكن لأي

حضارة أن تتخيلها، كما يتضح أيضاً في بعض الأحاديث التالية للنبي ﷺ:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟

قَالَ: أُمَّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمَّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمَّكَ قَالَ:

ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ. (مسلم) 154

وفي حديث آخر:

مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ وَصَمَّ

أَصَابِعَهُ. (مسلم) 155

154 صحيح مسلم. كتاب البر (كتاب الفضيلة)، المجلد. 6، ص. 199

155 صحيح مسلم. كتاب البر (كتاب الفضيلة)، المجلد. 6، ص. 199

وفي حديث آخر:

طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل

شيء، حتى الحيتان في البحر. (سنن ابن ماجه)¹⁵⁶

زواج الموسيقى و التلفاز – ظلمات بعضها فوق بعض

من بين الحواس التي أعطاها الله عز وجل للبشر، حواس السمع

والبصر وهي الأقوى. يذكرنا الله عز وجل في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ

وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ (سورة الملك:

(23

¹⁵⁶ سنن ابن ماجه. كتاب في الإيمان، باب فضائل العلماء، رواه انس بن مالك، حديث رقم.

224، المجلد. 1، ص. 160. رواه انس بن مالك. كما روى البيهقي في شعب الإيمان وابن

عدي في الكامل. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير والزياداته، ج 2، ص. 727،

رقم. 3913.

الموسيقا والغناء يؤثران في عواطف البشر بطريقتين مختلفتين يمكن نقل المشاعر الناتجة عن الموسيقا من خلال نبرة صوت المغني (بالإضافة إلى أصوات الآلات الموسيقية)، ويمكن أيضاً نقلها من خلال التعبيرات غير اللفظية مثل الضحك والبكاء والإيماءات الجذابة (خاصة المغنيات الإناث)، أو الرقص .

تكون تأثيرات العواطف الناتجة عن الموسيقا أكبر بكثير عندما يتم دمج البُعد البصري مع البُعد الصوتي. في مقاطع الفيديو الموسيقية، هناك تأثيرات بصرية مثيرة تبهر مشاهديها بسبب قوتها، السمعية والبصرية المدمجة. ويشرح الدكتور براون (Dr. Brown) و الدكتور هيندي (Dr. Hendee) قائلين:

"هناك قلق من أن يكون الدمج بين التلفاز والموسيقا (marriage

between TV and music) قوياً وجدلياً. فتعزز هذه التداخلات

متعددة الحواس أي رسالة مطلوبة، ولاسيما من خلال تعزيز التعلم

والتذكر." (157)

¹⁵⁷ Brown, E.F. & Hendee, W.R. "Adolescents and their music. Insights into the health of adolescents."

أكد العديد من الباحثين التأثير الضارّ للجمع بين الموسيقى والتلفاز. وفي دراسة مخبرية نُشرت في مجلة (Youth Society) في عام 1986، بشأن تأثيرات الموسيقى التلفازية (MTV)، وجد الباحثان جريسون (Greenson) وويليام (Williams) أنه عندما شاهد طلاب الصف السابع والعاشر مقاطع فيديو موسيقية مختارة لمدة ساعة واحدة فقط، فإن مفاهيمهم عن الجنس قبل الزواج (premarital sex) تغيرت.⁽¹⁵⁸⁾ ومن المرجح أن يوافق هؤلاء الطلاب على ممارسة الجنس قبل الزواج مقارنة بمجموعة منضبطة من المراهقين. وعلى نفس المنوال، وجدت دراسة سلوكية نشرها الباحثان شرف رحمان (Sharaf Rehman) و سوزن رائي (Susan Reilly) أنه عندما عُرض على المشاركين مقاطع فيديو موسيقية عنيفة، أصبحوا غير حساسين تجاه أي نوع من العنف المرتكب في العالم الحقيقي فور مشاهدة مقاطع الفيديو.⁽¹⁵⁹⁾ من

¹⁵⁸ Greenson, L.E. & Williams, R.A. (1986). "Social implications of music videos for youth: an analysis of the contents and effects of MTV." Youth Soc. **18**: 177-189.

¹⁵⁹ Rehman, Sharaf & Reilly, Susan (1985). "Music videos: a new dimension of televised violence." Penn Speech Comm Ann. **41**: 61-64.

الواضح أن العديد من الرسائل في كل من كلمات الأغاني وفي تصور تلك الكلمات، هي رسائل جنسية بطبيعتها.

على سبيل المثال، في أغنية بول مكارثني التي تحمل عنوان "We Got Married". كلمات الأغنية تقول:

"Going Fast, coming soon, we made love in the afternoon"

تتضمن أغنية ايروسميت (Aerosmith) بعنوان "Love in an

Elevator" يتكلم عن علاقات حميمة بين الرجل و المرأة في المصعد، مثلاً

يوجد كلمات في هذه الأغنية:

"Lovin 'it up as I am going down"

نظرًا لإدخال الوسيلة الجديدة لمقاطع الفيديو الموسيقية إلى

المجتمع، بدأ علماء الاجتماع في دراسة آثارها ووجدوا أن مقاطع الفيديو

الموسيقية يمكن أن يكون لها تأثيراً عميقاً على مشاهديها. وفي الآونة الأخيرة

كان هناك قلق متزايد بشأن الآثار الضارة لموسيقا الروك ومقاطع الفيديو

الموسيقية على المراهقين، لأن كليهما يساهم في انهيار الأخلاق وارتفاع معدل

حمل المراهقات في الولايات المتحدة.⁽¹⁶⁰⁾

وفي إحدى الدراسات بحث الطبيب توماس ن. روبنسون⁽¹⁶¹⁾

(Thomas N. Robinson) مع زملائه الارتباط بين وسائل الإعلام والتعرض

للموسيقا والإبلاغ الذاتي لتعاطي الكحول. فقاموا بجمع بيانات (baseline)

وخلال ثمانية عشر شهراً من المتابعة حول استخدام الوسائط (والتي تضمنت

مشاهدة التلفاز ومقاطع الفيديو ومقاطع الفيديو الموسيقية، وعدة أمور أخرى)،

وثلاثين يوماً لمتعاطي الكحول من عينة من 1533 طالباً كانوا في الصف

التاسع في ستة مدارس عامة في سان خوسيه، كاليفورنيا. ووجدوا أنه مقابل كل

ساعة زيادة في مشاهدة مقاطع الفيديو الموسيقية، كانت هناك زيادة بنسبة 31٪

¹⁶⁰ Gore, Tipper (1987). Raising PG kids in an X-rated society. Nashville, Abingdon Press.

¹⁶¹ توماس ن. روبنسون (Thomas N. Robinson)، هو طبيب ودكتور الباحث من

مركز جامعة ستانفورد لأبحاث الوقاية من الأمراض (في بالو ألتو، كاليفورنيا)

في خطر أن يبدأ الشاب في شرب الكحول خلال الثمانية عشر شهراً القادمة.

لاحظ مؤلفو الدراسة أن:

"زيادة مشاهدة التلفاز ومقاطع الفيديو الموسيقية هي من عوامل خطر

بدء تعاطي الكحول عند المراهقين." (162)

وفي دراسة مماثلة أجراها روبن (Rubin) وزملاؤه، تم الكشف عن

معاني أغنية، حيث كانت نسخة الفيديو الموسيقي أكثر فاعلية وكان لها تأثيراً أكبر

على المشاهدين من النسخة الصوتية وحدها من نفس الأغنية. (163) وبالتالي،

يمكن أن يكون بالمقابل الجزء المرئي للموسيقا أكثر ضرراً عند دمج أبعاد

الصوت والفيديو. فتأثير الإصدارات الصوتية والمرئية للموسيقا على

المشاهدين أكثر قوة وتأثيراً.

¹⁶² Gore, Tipper (1987). Raising PG kids in an X-rated society. Nashville, Abingdon Press.

¹⁶³ Rubin, R.B., Rubin, A.M., Perse, E.M. (1986). "Media use and meaning of music video." Journalism Q **63**: 353-359.

الناس يحملون الموسيقى على رؤوسهم - نبوءة في

الحديث

في الحديث النبوي قال النبي محمد ﷺ :

« ليشربن ناس من أمتي الخمر يُسمونها بغير اسمها، يُعزف على رؤوسهم

بالمعازف، والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة

والخنازير» (ابن ماجه) (164)

ومن علامات الساعة أن الناس سيحملون على رؤوسهم آلات

موسيقية كما ورد في الحديث السابق. يعني ستكون هناك آلات للموسيقا والغناء

على رؤوسهم، وسوف يستمعون إلى المطربات. واليوم عندما نشاهد أشخاصاً

يسيرون مع سماعات على رؤوسهم (headphones) وهم يسمعون الموسيقا،

نرى مصداق خبر النبي ﷺ منذ 1400 عام يتحقق.

164 أخرجه ابن ماجه في السنن، رقم 4069. وهذا حديث صحيح كما سبق بيانه في الفصل

تعليقاً على اختراع الآلات الموسيقية للرأس مؤخراً، لاحظ الباحثان

الطبيبان وليم هيندي (William R. Hende) و اليزبات براون (Elizabeth

Brown):

"الموسيقا موجودة في كل مكان لأن أجهزة الموسيقا أصبحت

محمولة مع ظهور أجهزة الراديو الترانزستور. وقد جعلت الابتكارات

الحديثة في مجال التصغير وتطوير سماعات الرأس الخفيفة عالية

الجودة من المراهقين قادرين على أن يحيطوا أنفسهم باستمرار

بموسيقا الروك." (165)

ليس من المستغرب، للأسف أن مجتمعنا الصناعي الحديث قد أوجد

صناعة ترفيهية منتشرة في كل مكان بحيث يمكن للناس أن يسلّوا أنفسهم في أي

مكان على الأرض أثناء المشي أو الجري أو العمل أو حتى النوم. ويمكنهم

الاستماع إلى مقاطع الفيديو أو مشاهدة ألقانهم المفضلة، بمساعدة مشغلات

الموسيقا المصغرة مثل iPod أو الهواتف الذكية المحمولة.

¹⁶⁵ Brown, E.F. & Hende, W.R. "Adolescents and their music. Insights into the health of adolescents."

تقدم بعض شركات الملابس "أجهزة ستريو شخصية" للزملاء، والتي تتكون من سترة مع راديو مدمج ومكبرات صوت مثبتة بشكل ملائم داخل غطاء للرأس. (166) يؤكد الأستاذ الدكتور (Allan Bloom) أن:

"عدداً كبيراً من الشباب في سن المراهقة وأوائل العشرينيات مدمنون على الموسيقى اليوم. وعندما يكون هؤلاء الشباب في المدرسة أو في التجمعات العائلية، فإن عقولهم لا تزال في أحلام اليقظة وتتوق إلى العودة إلى عالم الموسيقى الخاص بهم. وعندما تكون الموسيقى في كل مكان في المنزل وخارجه، وعلى الطريق وفي المكتبة، وفي السيارة وفي مراكز التسوق، فلا شيء يمنعهم من الاتصال بالموسيقى الخاصة بهم." (167)

شرح الأستاذ الدكتور إيلين بلوم الوضع الخطير لإدمان الشباب على الموسيقى بالكلمات الأتية:

¹⁶⁶ Chepesiuk, Ron (Jan 2005). "Decibell Hell: The Effects of Living in a Noisy World." Environmental Health Perspectives **113 (1)**: A35-A41.

¹⁶⁷ Bloom, Allan. The Closing of the American Mind.

"الجيل الجديد، المنشغل جداً بالموسيقا على رأسه: لكن طالما لديهم

جهاز ووكمان Walkman، فلن يتمكنوا من سماع ما تقوله التقاليد

العظيمة. وعندما يخلعونها بعد استخدامه لفترات طويلة، سيجدون

أنهم أصبحوا صُمًّا." (168)

قبل ظهور الإسلام، كانت طريقة العبادة عند عرب مكة الوثنيون

تتضمن التصفيق والغناء وهم يطوفون بالكعبة المشرفة (أي: الطواف ببيت الله)

كما ذكر في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا

مُكَاةً وَتَصَدِيَةً... ﴾ (سورة الأنفال: 35)

واليوم ومع انتشار الموسيقا، فإن عصر "الجاهلية" (الوثنية القديمة

للجزيرة العربية قبل الإسلام) يعود كما في السابق، مما يجعلنا وجهاً لوجه مع

نفس الوثنية القديمة. الآن، الموسيقا موجودة حتى في بيت الله (الكعبة) في هذه

الأيام، هناك الكثير من المسلمين مهووسون بالتقنية الحديثة فنجدهم

168 المرجع نفسه.

يستخدمون هواتفهم المحمولة ويتحدثون بها أثناء طوافهم حول الكعبة. كتب الصحفي عدنان ملك في رحلته 1/17/2005 في تقرير وكالة الأنباء أن نغمات الرنين في هواتفهم المحمولة هي عبارة عن كلمات من الأغاني لمغنيين البوب المشهورين مثل مايكل جاكسون (Michael Jackson).⁽¹⁶⁹⁾ وبالمثل، يقوم بعض الأشخاص بتعيين رنات هواتفهم المحمولة على الموسيقى وهم لا يشعرون بأي خجل عندما ترن هواتفهم بالموسيقى بينما هم في صلاة الجماعة في المساجد مما يشتت تركيز المسلمين الذين يقفون بجانبهم في الصلاة. هذا نتيجة هوس بعض المسلمين بالموسيقى، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا من هذا الهوس بالموسيقى (أمين).

¹⁶⁹ Malik, Adnan (Jan 17, 2005). "The hajj goes high-tech". The Associated Press. (www.msnbc.msn.com/id/6835569)

الفصل الرابع

الموسيقا من وجهة نظر الشريعة

تعريف المشكلة وتوضيح نقطة الخلاف

من أجل مقارنة قضية الموسيقا من وجهة نظر الشريعة (القانون الإسلامي) علينا أولاً تعريف المشكلة. أصبح الاستماع إلى الموسيقا والغناء مسألة ملحة عند عدد كبير من الشباب اليوم. ويهدف هذا الكتاب إلى محاولة توضيح حكم الموسيقا في الإسلام، وتحديد أنواع الموسيقا والغناء المسموحة في الإسلام. ولاسيما مع ظهور أجهزة إلكترونية لتشغيل الموسيقا، وظهور أغاني الكمبيوتر التي أضافت أبعاداً جديدة للقضية المعقدة أساساً.

ففي الشريعة الإسلامية، المقارنة الصحيحة لقضية ما هي عنصر أساسي في استخلاص القواعد. وهذا يتطلب أن نفهم الوصايا الإسلامية من

خلال نص القرآن والسنة. ثم نأخذ ذلك الفهم ونطبقه على القضية كما هي في الواقع.

وبالجمع بين فهمنا من القرآن الكريم والسنة النبوية وتطبيقه على القضية نستخلص الفتوى بالجواز أو عدمه. وللقيام بذلك تعتبر المصالح والمفاسد المتعلقة بالقضية. فمنهج الشريعة الإسلامية هو موازنة المصالح والمفاسد في كل شيء إذ الهدف النهائي للشريعة هو نفع المجتمع. ويمكننا تحليل المشكلة إلى ثلاثة أجزاء:

1. الآلات الموسيقية مثل الدفوف (طبول يدوية) والبيانو

والجيتار والمزامير

2. كلمات الأغنية

3. المغنون والملحنون

سنقارب هذه القضية منهجياً. أولاً: سننظر للدليل من القرآن الكريم

والسنة النبوية بخصوص الاستماع إلى الموسيقى والغناء. ثم سننظر إلى الأضرار

والفوائد المتعلقة بقضية الاستماع للموسيقا. ثم سننظر إلى آراء الصحابة
والمذاهب الإسلامية. وعندئذ سنكون قادرين على فهم الحكم الشرعي
المتعلق بالموسيقا والغناء.

ولابد من الإشارة إلى ضرورة فهم أن الحكم النهائي عند المسلمين هو
الله من خلال القرآن والسنة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا
مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُّبِينًا ﴾ (سورة الأحزاب: 36)

قال الله تعالى في سورة النور:

﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴾ (سورة النور: 36)

الآيات المذكورة أعلاه من القرآن تخبرنا أن علينا اتباع وصايا الله
سبحانه وتعالى ووصايا رسوله ﷺ. ولا يُسمح لنا بإيجاد ثغرات في هذه الوصايا
من خلال تقديم آرائنا أو ترشيد أحكامنا. عندما ننظر حولنا نرى أن الموسيقا

منتشرة، ليس بين غير المسلمين بل بين المسلمين أيضاً. ومع ذلك، حقيقة أن
غالبية الناس تستمع للموسيقا ليست مسوغاً يجعل الموسيقا مباحة، لأن القرآن
أخبرنا على سبيل المثال:

﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (سورة الأنعام: 116)

موقف القرآن من الموسيقا والغناء

الآية الأولى من القرآن

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ هُمُ عَذَابُ مُهِينٍ ﴿٦﴾﴾ (سورة

لقمان: 6)

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية، فقال: والله الذي لا إله غيره هو الغناء - يرددّها ثلاث مرّات (171،170). قال حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما: هو الغناء، وقال مجاهد رحمه الله: اللهو الطبل. وقال الحسن البصري رحمه الله: نزلت هذه الآية في الغناء والمزامير. (172) وكذلك قال جابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومكحول وميمون بن مهران وعمرو بن شعيب وعلي بن بديمة وغيرهم في تفسير هذه الآية الكريمة. قال الواحدي رحمه الله: وهذه الآية على هذا التفسير تدل على تحريم الغناء. (173)

170 قاضي القضاة محمد بن علي الشوكاني "نيل الأوطار". (8 / 107)

171 الطبري "جامع البيان في تأويل آي القرآن" (21 / 40)

172 ابن كثير، حافظ عماد الدين أبو الفداء. "تفسير ابن كثير"، (3 / 451)

173 ابن القيم الجوزية "إغاثة اللهفان من مصاديق الشيطان". (1 / 255)

وكذلك كتب الإمام القرطبي في تفسيره شارحاً هذه الآية: من بين كل الشروح لعبارة "لهو الحديث" فإنّ المعنى الأنسب هو: الغناء، وهذا هو رأي الصحابة وتلاميذهم التابعين. (174)

وقال السعدي رحمه الله: "فدخل في هذا كل كلام محرم، وكل لغو وباطل، وهذيان من الأقوال المرغبة في الكفر والعصيان، ومن أقوال الرادين على الحق المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق، ومن غيبة ونميمة وكذب وشتم وسب، ومن غناء ومزامير شيطان، ومن الماجريات الملهية التي لا نفع فيها في دين ولا دنيا". (175)

قال ابن القيم رحمه الله: "ويكفي تفسير الصحابة والتابعين للهو الحديث بأنه الغناء فقد صح ذلك عن ابن عباس وابن مسعود، قال أبو الصهباء: سألت ابن مسعود عن قوله تعالى: "ومن الناس من يشتري لهو الحديث"،

¹⁷⁴ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي "الجامع لأحكام القرآن".

(14/55)

¹⁷⁵ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام

المنان"، (6/150)

فقال: والله الذي لا إله غيره هو الغناء - يرددتها ثلاث مرات -، وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً أنه الغناء، ولا تعارض بين تفسير لهو الحديث بالغناء وتفسيره بأخبار الأعاجم وملوكهم وملوك الروم ونحو ذلك مما كان النضر بن الحارث يحدث به أهل مكة يشغلهم به عن القرآن، وكلاهما لهو الحديث، ولهذا قال ابن عباس: لهو الحديث الباطل والغناء، فمن الصحابة من ذكر هذا ومنهم من ذكر الآخر ومنهم من جمعهما، والغناء أشد لهواً وأعظم ضرراً من أحاديث الملوك وأخبارهم فإنه رقية الزنا ومنبت النفاق وشرك الشيطان وخمرة العقل، وصدّه عن القرآن أعظم من صد غيره من الكلام الباطل لشدة ميل النفوس إليه ورغبتها فيه، فإن الآيات تضمنت ذم استبدال لهو الحديث بالقرآن ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً، وإذا يتلى عليه القرآن ولي مدبراً كأن لم يسمعه كأن في أذنيه وقرأً، هو الثقل والصمم، وإذا علم منه شيئاً استهزأ به، فمجموع هذا لا يقع إلا من أعظم الناس كفراً وإن وقع بعضه للمغنين ومستمعهم فلهم حصّة ونصيب من هذا الذم". (176)

¹⁷⁶ ابن القيم الجوزية "إغاثة اللهفان من مصاديق الشيطان". (258-259/1)

الآية الثانية من القرآن

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾﴾ (سورة النجم 59-62)

قال عكرمة رحمه الله : عن ابن عباس رضي الله عنهما : السمود ؛ الغناء في لغة

حَمِيرٍ، يقال: اسمدي لنا أي غني، وقال رحمه الله: كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا

فنزلت هذه الآية، وقال ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالى " وأنتم سامدون " قال

سفيان الثوري عن أبيه عن ابن عباس قال: الغناء، هي يمانية، اسمد لنا غنُّ لنا،

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "السامدون: المغنون بالحميرية"، وكذلك

قال عكرمة. وقال الضحاك: "السمود: اللهو واللعب." (177)

ويرى ابن عباس رضي الله عنهما أن كلمة "سامدون" في هذه الآية تعود إلى عادة العرب الوثنيين بالغناء والعزف الصاحب للموسيقا عندما يسمعون القرآن يُتلى، ليحجبوا صوت القراء كي لا يسمعهم الآخرون. والمعاني الأخرى المحتملة لكلمة "سامدون" معجمياً: (لهو فارغ، أن يكونوا مختلفين، متهاونون في سلوكهم...). كل تلك المعاني محتملة وليست متناقضة في جوهرها. (178)

الآية الثالثة من القرآن

﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ
وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ^ج وَمَا يَعِدُهُمُ

الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ (سورة الإسراء: 64)

عن مجاهد رحمه الله قال: استنزل منهم من استطعت، قال: وصوته الغناء والباطل، فسّر بعض التابعين مثل الضحاك وحسن البصري ومجاهد

178 الطبري "جامع البيان في تأويل آي القرآن" (560-561/22)، بأسانيده المتصلة

استفزاز الشيطان للبشرية بصوته أنه من خلال الموسيقى والأغاني واللهو.

ويكتب ابن القيم في التعليق على هذه الآية من القرآن:

"وهذه الإضافة إضافة تخصيص كما أن إضافة الخيل والرجل إليه

كذلك، فكل متكلم في غير طاعة الله أو مصوت ببراء أو مزمار أو دف

حرام أو طبل فذلك صوت الشيطان، وكل ساع إلى معصية الله على

قدميه فهو من رَجَلِه وكل راكب في معصيته فهو من خياله، كذلك قال

السلف كما ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما : رَجَلِه كل رجل

مشت في معصية الله." (179)

وهذا مذهبُ الإمام الشافعي و أحمد و بعض الصوفية كالشيخ شهاب الدين

السهروردي اتخذ الآياتِ الثلاثةَ السابقةَ الذكرَ دليلاً على تحريم الموسيقى

والغناء في كتابه "عوارف المعارف".

¹⁷⁹ ابن القيم الجوزية "إغاثة اللهفان من مصاد الشيطان". (1/265)

الآية الرابعة من القرآن

قال الله سبحانه وتعالى في وصف صفات المؤمنين:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا

(سورة الفرقان: 72) ﴿٧٢﴾

فسر محمد بن الحنفية ومجاهد "الزور" على أنه الغناء. (180) أورد

الإمام ابن كثير أيضاً في تفسيره أن أحد معاني "الزور" هو الغناء. (181) وكتب

القاضي أبو بكر الجصاص في تفسير هذه الآية:

"قال محمد بن الحنفية أيضاً في قوله لا يشهدون الزور أن لا تقف ما

ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا

قال أبو بكر يحتمل أن يريد به "الغنا" على ما تأولوه عليه ويحتمل أيضاً

180 أثر مجاهد أخرجه الطبري في "تفسيره" (19 / 48)، وأثر محمد بن الحنفية أورده ابن

كثير في "تفسيره" (3 / 329)، والآية من سورة الفرقان / 72.

181 ابن كثير "تفسير ابن كثير"، (3 / 329)

القول بما لا علم للقائل به وهو على الأمرين لعموم اللفظ قوله تعالى

وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ (سورة الفرقان: 72)."

(182)

وسنذكر الآن أحاديث رسول الله (ﷺ) بخصوص الموسيقى، والتي توفر دليلاً

قاطعاً على حرمة الموسيقى. وفي الحقيقة، هذه الأحاديث تثبت حرمة الموسيقى،

بما لا يدع احتمالاً لوجود خطأ في الفهم.

أحاديث النبي ﷺ في الموسيقى والغناء

يقول بعض المسلمين ذوي الإيمان الضعيف أو المجادلين: "إذا كان

الاستماع إلى موسيقا محرماً في الإسلام فلم لم يُذكر ذلك بوضوح في القرآن؟

نحن نتبع وصايا القرآن فقط." هذه الأمور ليست جديدة، فقد طُرحت من قبل

182 القاضي أبو بكر بن العربي الاشبيلي المالكي الجصاص "أحكام القرآن". (5 / 213)

العديد من المسلمين الحدائين على مدار التاريخ الإسلامي كله. وقد قدمت الآية (6) من سورة لقمان دليلاً واضحاً على حرمة الموسيقى في الإسلام، لكن علينا اللجوء إلى سنة رسول الله ﷺ من أجل توضيح إضافي لأي وصية في الإسلام. فالقرآن عام، لم يدخل في التفاصيل الدقيقة للوصايا المتنوعة، وهو يوجهنا إلى إتباع نصائح النبي محمد ﷺ، كقوله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ (سورة الحشر: 7)

وقد تنبأ نبينا الحبيب ﷺ في أحاديثه عن نوعية الناس بين المسلمين الذين سيثيرون مثل هذه الاعتراضات على وصايا الإسلام. وقد حذرنا رسول الله ﷺ من عقلية نفى السنة في حديث رواه المقدم بن معدي كرب:

ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته

يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم

فيه من حرام فحرّموه. (183)

183 سنن أبو داود .. كتاب السنة. المجلد. 3، ص. 451 - صححه الشيخ الألباني في

صحيح سنن أبو داود كتاب 40 ورقم 4587 ورقم 4606.

الحديث 1

نص البخاري في صحيحه على عدم شرعية الموسيقى والغناء بهذا الحديث،

حيث قال النبي ﷺ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ،

وَالخَمْرَ وَالمعازِفَ.» (184)

تحليل حديث البخاري:

التحليل التفصيلي للكلمة العربية "معزف" يُظهر بما لا يدع مجالاً

للسك أنها تشير إلى آلات موسيقية، والأصوات من تلك الآلات الموسيقية

والغناء بمصاحبة الآلات، يروي الإمام القرطبي أن - الجوهري (مؤلف كتاب

القاموس المبكر "الصححة") يكتب حوالي ثلاث كلمات من نفس الجذر

العربي، مؤكداً أن المعزف تعني الآلات الموسيقية، والعزف يدل على من يغني،

وعزف الريح هو عنفها. تشمل أمثلة الآلات الموسيقية الكمان، والطبل والغيتار

والكمان والفلوت والبيانو والوتر والعود والمندولين والهارمونيوم وغيرها من

¹⁸⁴ صحيح البخاري (كتاب الأشربة)، عن أبي مالك الأشعري، الصفحة أو الرقم: 5590،

الآلات الموسيقية، وكذلك الأصوات الموسيقية لهذه الآلات التي تكون بأي

وسيلة أخرى (مثل التي تكون رقمياً أو الأصوات الناتجة عن أي حاسب).

إن المعنى الدقيق لهذا الحديث يؤكد تحريم الموسيقى للأسباب الآتية:

1- إن عبارة "يَسْتَحِلُّونَ.....المعازفَ" تظهر أن الموسيقى حرام بها لأنه لا

يمكن أن يسعى المرء إلى جعل ما هو غير مسموح به قانونياً.

2- إذا كانت الموسيقى غير ممنوعة، فلماذا دخلت في نفس سياق الزنا وشرب

الخمير.

3- عندما نظر إلى هذه العناصر الأربعة، يظهر عنصر آخر. فهذه الأفعال ليست

حراماً فقط، بل وردت في القرآن بعبارات مثل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ

فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (سورة الإسراء)، و ﴿رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة المائدة)، لذلك هذه الذنوب ليست من

الذنوب الصغيرة. بعد كل شيء، ما الذي يمكن افتراضه حول تجميع الأربعة

معاً في هذا الحديث؟ إنه يظهر، على أقل تقدير، أن الاستماع إلى الموسيقى

والاستمتاع بها ليس خطيئة صغيرة.

4- الكلمة العربية "يَسْتَحِلُّونَ" تعني "سوف يسعون إلى جعله شرعياً". وهذا يعني أن هؤلاء الناس لن يرتكبوا المعاصي فحسب، بل سيعتبرونها أيضاً مباحة في الدين. وهذا هو أسوأ أنواع التمرد على الدين، وينتج عنه زيادة في شدة الذنب المرتكب.

5- إذا ادعى شخص ما أن الموسيقى غير مشروعة فقط عندما تكون مصحوبة بالكحول أو الزنا أو الحرير فهذا ادعاء كاذب. والسبب أنه إذا كان الأمر كذلك، فلماذا تكون الموسيقى هي الاستثناء الوحيد؟ ونفس الشيء يقال في الزنا والكحول والحرير، فيجوز عندئذٍ أن يكون الخمر أو الزنا مباحاً أيضاً ما لم يكن مصحوباً بأشياء أخرى.

الحديث 2

« ليشربنَّ ناسٌ من أمتي الخمرَ يُسمونها بغيرِ اسمِها، يُعرَفُ على رؤسِهِم
بالمعازِفِ، والمغنِّياتِ، يخسِفُ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ، ويجعَلُ منهمُ القِرَدَةَ
والخَنَازِيرَ » (185)

وهناك أحاديث مختلفة رواها ما لا يقل عن ثلاثة عشر من صحابة النبي
ﷺ يُعزى فيها سبب عذاب الله إلى انتشار الآلات الموسيقية والمغنين. وبعض
هذه الأحاديث صحيح وبعضها الآخر حسن وبعضها ضعيف. ومع ذلك عندما
نلقي نظرة شمولية على كل هذه الأحاديث، نصل إلى النتيجة التي لخصها على
نحو ملائم ابن القيم:

185 أخرجه ابن ماجه في السنن، رقم 4069، وابن أبي شيبة في المصنف 7 / 465، وصححه

ابن تيمية في إقامة الدليل 6 / 37، وابن القيم في إغاثة اللهفان 1 / 278.

"وقد توعّد مستحلّ المعازف فيه بأن يخسف الله به الأرض، ويمسخهم

قردةً وخنازير، وإن كان الوعيد على جميع هذه الأفعال فلِكُلِّ واحد

قِسْطٌ من الذم والوعيد." (186)

الحديث 3

« إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْخَمْرَ وَالْمَيْسَرَ وَالْكَؤُوبَةَ وَهُوَ الطَّبْلُ وَقَالَ: كُلُّ مَسْكِرٍ

حَرَامٌ. » (187)

الحديث 4

« إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى أُمَّتِي الْخَمْرَ وَالْمَيْسَرَ وَالْمَزَرَ وَالْكَؤُوبَةَ وَالْقَيْنَانَ وَزَادَنِي

186 ابن القيم الجوزية "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان". (1 / 459)

187 رواه أبو داؤد وأحمد وصححه الألباني، و البيهقي في شعب الإيمان بإسناد صحيح، والطبراني في

المعجم الكبير بسند جيد. والدليل التفصيلي على صحتها مذكورة في صحيح الجامع الصغير

للألباني (المجلد 1-2، ص 106، الحديث رقم 1743) وموثق كذلك في الأحاديث الصحيحة

(المجلد. 4 ص 283 - 285 حديث رقم 1708).

الحديث 5

﴿ إِنِّي لَمْ أَنَّهُ عَنِ الْبُكَاءِ إِنَّمَا نَهَيْتُ عَنِ النَّوْحِ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجْرَيْنِ: صَوْتُ عِنْدَ نَعْمَةٍ لَهُوَ وَلَعِبٍ وَ مَزَامِيرِ شَيْطَانٍ أَوْ صَوْتُ عِنْدَ مُصِيبَةٍ حَمْسٌ وَجُوهٌ وَشَقٌّ جُيُوبٌ وَرَنَةٌ وَهَذَا هُوَ رَحْمَةٌ وَمَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ ﴾ (189)

الحديث 6

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة

188 المسند احمد (المجلد. 2، ص 165 و 167). وقد روى هذه الرواية أيضًا مؤلفو الحديث الآخرون، مثل البيهقي في شعبه الإيمان بإسناد صحيح، والطبراني في المعجم الكبير مع جيد (حسن) إسناد. والدليل التفصيلي على صحتها مذكور في صحيح الجامع الصغير للألباني (المجلد 1-2، ص 106، الحديث رقم 1744) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (ص. 422 حديث رقم 1806).

189 مستدرک الحاكم. المجلد. 4، ص. 40، رواه الإمام الهيثمي في "مجمع الزوايد". (كتاب الجنائز المجلد. 3). إضافة إلى ذلك، فقد حسن هذا الحديث الشيخ الألباني في كتابه "تحريم آلات الطرب

مزمارٌ عندَ نعمةٍ ورتةٌ عندَ مصيبةٍ ﴿ (191,190)

الحديث 7

﴿سمع ابنُ عمرَ مزمارًا، قال : فَوَضَعَ أُصْبُعِيهِ عَلَى أُذُنِيهِ، وَنَأَى عَنِ الطَّرِيقِ،
وقال لي : يا نافعُ هل تَسْمَعُ شَيْئًا؟ قال : فقلتُ : لا . قال : فَرفَعَ أُصْبُعِيهِ مِنْ
أُذُنِيهِ، وقال : كنتُ مع النبيِّ ﷺ، فَسَمِعَ مِثْلَ هَذَا ! فَصَنَعَ مِثْلَ هَذَا.﴾ (192)

الحديث 8

عن عمران بن الحصين أن رسول الله ﷺ قال : ﴿في هذه الأمة خسف ومسح

¹⁹⁰ الهيثمي، حافظ نور الدين علي بن أبي بكر "مجمع الزوائد" (كتاب الجنائز المجلد 3، ص.

(13

¹⁹¹ قد صح الإمام الهيثمي هذا الحديث. كما كتب المناوي في شرح جامع السيوطي الصغير أن
جميع رواة هذا الحديث موثوقون عند المنذري والهيثمي. (فيض القدير شرح الجامع الصغير
من أحاديث البشير النذير، المجلد 4، ص 210)

¹⁹² صحيح أخرجه أحمد (2 / 8، 38) أو رقم (4535، 4965 - شاکر) وأبو داود (4924)
والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (10 / 222) وابن حبان في ((صحيحه)) (2 / 468 / 693 -
الإحسان) وأبو بكر الآجري في ((تحريم النرد والشطرنج)) (رقم : 64)

وقذف، فقال رجل من المسلمين : يا رسول الله ومتى ذلك ؟ قال: إذا ظهرت

القينات والمعازف وشربت الخمر.» (193)

وقد تعددت روايات النبي محمد ﷺ في تحريم الآلات الموسيقية

والغناء الحرام. ذكرنا القليل هنا فقط. وقد جمع الإمام ابن حجر الهيتمي (ت

974 هـ / 1567 م) هذه الأحاديث كلها فبلغ مجموعها ما يقارب الأربعين

حديثاً في كتابه "كف الرعاع عن محرّمات الله والسماع"، ثم خلاص إلى: "كل

هذا دليل نصي صريح ومقنع على تحريم الآلات الموسيقية بجميع

أنواعها". (194)

193 أخرجه الترمذي في سننه (8 / 414) رقم 2373. أرشيف ملتقى أهل الحديث

ص 238 - أحاديث تحريم آلات الطرب عند الألباني. والقذف الرمي بحجارة من السماء، ومعنى الخسف والمسح أن يخسف الله بهم الأرض ويمسخهم قردة وخنزير. وراجع إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان لابن القيم، وتحفة الأحوذى للمباركفوري.

194 ابن حجر المكي الهيتمي "كف الرعاع عن محرّمات الله والسماع". المجلد. 2. ص. 270.

قصة من حياة رسول الله ﷺ

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال أنه سمع النبي محمد ﷺ يقول:

"ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهْمُون به، إلا مرتين من الدهر، كليهما يعصمني الله منهما، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة، في أغنام لأهله يرعاها: أبصر إلى غنمي حتى أَسمر هذه الليلة بمكة، كما يسمر الفتيان. قال: نعم. فخرجت، فجئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء وضرب دفوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة، لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا حر الشمس، فرجعت فقال: ما فعلت؟ فأخبرته. ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقبل لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي فقال: فما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئاً. قال رسول الله ﷺ: فوالله ما هممت

بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته." (195)

فقد تبين لنا حرمة الموسيقى و ما يتعلق بها شرعاً، و نرى مناقشة أثر الموسيقى في

النفس من خلال الأبحاث العلمية في الفصول القادمة.

¹⁹⁵ رواه إسحاق بن راهويه في مسنده، كما في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن

حجر، وإتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري. قال الحافظ ابن حجر

وتبعه البوصيري: هكذا رواه محمد بن إسحاق في السيرة، وهذه الطريق حسنة جلييلة، ولم

أره في شيء من المسانيد الكبار إلا في مسند إسحاق. وهو حديث حسن متصل ورجاله

ثقات. اهـ. ورواه أيضا ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، وصححه على شرط

مسلم.

الفصل الخامس

موقف الصحابة و العلماء المسلمين

من المهم هنا الإشارة لآراء مختلف صحابة النبي ﷺ وكذلك السلف الصالح (التابعين) بشأن الموسيقى في الإسلام. الإمام القرطبي في تفسيره أحكام القرآن والإمام الألويسي في تفسيره روح المعاني، ذكرا أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على أن الموسيقى والغناء مع الموسيقى حرام ولكن هناك بعض الحالات الاستثنائية التي سُمح بها في سياق السنة النبوية الصحيحة. في هذا الفصل نحن نقدم آثار الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء عن تحريم الموسيقى:

موقف صحابة النبي ﷺ:

1- أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أمير المؤمنين أبو بكر رضي الله عنه، سمى الغناء "مزامير

الشیطان" فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

"دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغْنِيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ، فَاضْطَجَعَ

عَلَى الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَاَنْتَهَرَنِي، وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ

عِنْدَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: "دَعُهُمَا" فَلَمَّا غَفَلَ

غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا". (196)

2- عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

مرة مر عمر بن الخطاب بجماعة من الحجاج ورأى رجلاً يغني وكان الباقون

يستمعون إلى أغنيته. قال لهم عمر رضي الله عنه :

"جعلك الله أصم، جعلك الله أصم". (197)

196 البخاري، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد، برقم 949.

197 ابن القيم الجوزية "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان". 2/ 294

3- عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عَنْ عَثْمَانَ بْنِ صَهْبَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عَثْمَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: "وَاللَّهِ مَا تَغْنَيْتُ، وَلَا تَمَنَيْتُ" (198)

4- أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

فقد ذكر الحافظ ابن كثير في تاريخه قال: لما انصرف علي - رضي الله عنه - من النهروان قام في الناس خطيباً، فذكر خطبة طويلة بليغة فيها: "ومجالس اللهو تُنسي القرآن، ويحضرها الشيطان، وتدعو إلى كلِّ غيِّ" (199)

5- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

"الغناء ينبت النفاق في القلب". (200)

198 ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب كراهة مس الذكر باليمين والاستنجاء باليمين، برقم 311، والطبراني في الكبير، 5 / 192، برقم 5061، وأبو يعلى في معجمه، ص 217، وابن المنذر في الأوسط، 1 / 338، والبيهقي في الدلائل، 6 / 390، وابن عساکر، 44 / 163

199 البداية والنهاية، 7 / 307، وانظر: فصل الخطاب، للعلامة حمود التويجري، ص 105.

200 ابن القيم الجوزية "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان". 2 / 294

6- عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

فسر قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾: فقال: "الغناء وأشباهه"، وفي رواية عنه، قال: "هو الغناء، والاستماع له"، وفي رواية عنه قال: "هو الغناء ونحوه"، وفي رواية: "شراء المغنية". (201)

7- جابر بن عبد الله رضي الله عنه:

قال في الآية القرآن: ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾: هو الغناء والاستماع له. (202)

8- أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها:

عائشة رضي الله عنها أنها رأت مغنيا يغني في بيت بنات أخيها، فمررت به عائشة رضي الله عنها فرأته يتغنى، ويحرك رأسه طربا، وكان ذا شعر كثير، فقالت عائشة رضي الله عنها: أف شيطان أخرجه أخرجه فأخرجه. (203)

201 كل هذه الروايات ذكرها الإمام الطبري، بأسانيدھا المتصلة في جامع البيان، 20 / 127 - 128، وتقدم تخريجھا.

202 جامع البيان، 20 / 128، وتقدم تخريجھ.

203 البخاري في الأدب المفرد، برقم 598، والبيهقي في السنن الكبرى، 10 / 223، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم 530.

6- قاسم بن محمد: هو ابن أخ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتلميذها. كما أنه

كان أحد الفقهاء السبعة المعروفين بالمدينة المنورة. ذات مرة عندما سأله

رجل عن الموسيقى والغناء. أجاب قاسم: "لا أحب ذلك ونمنع الناس من

الغناء"، ثم سأل الرجل: "هل هو حرام؟" قال له الإمام قاسم:

"اسمع ابن أخي! عندما الله سيفرق بين الحق والباطل يوم القيامة،

ففي أيهما سيضع الموسيقى والغناء؟" (204)

وغير هؤلاء من الصحابة كثير، ذموا الغناء وآلات اللهب. وكذلك جاء

عن أمة كثيرة من التابعين وأتباعهم ذم الملاهي والأغاني. عندما تأخذ وصايا

القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفهم أصحابه رضي الله عنهم معاً، من الواضح تماماً أن

الإسلام دعا إلى تحريم الموسيقى والاستماع إلى الآلات الموسيقية.

لتوضيح النقطة أيضاً فإن موقف الأئمة الأربعة وبعض من العلماء

المسلمين سيتم عرضه في الصفحات التالية.

²⁰⁴ رسالة المسترشددين، الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله، مكتبة المطبوعات

الإسلامية بحلب. 1983 الميلادي.

موقف العلماء في الإسلام

كل الأئمة الأربعة يعني الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي والإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل أجمعوا على أن الاستماع للموسيقا في الإسلام حرام. كلهم حرّموا الغناء، وذرّموا الملاهي.

الإمام أبو حنيفة:

الإمام أبو حنيفة رحمه الله نهى عن "الاستماع إلى كل الآلات الموسيقية، جميع أنواع الدف والطبول اليدوية (الدف) وحتى ضرب العصي". وكذلك مذهب أهل الكوفة: سفيان، وحماد، وإبراهيم، والشعبي، وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك. (205)

الإمام الشافعي:

قال الإمام الشافعي رحمه الله في الموسيقا والغناء:

²⁰⁵ الدر المختار، 2 / 352، وشرح كنز الحقائق، 4 / 120، وإغاثة اللهفان لابن القيم، 2 /

"إن الغناء لهوٌ مكروه يشبه الباطل، والمحال، ومن استكثر منه فهو

سفيه تُرَدُّ شهادته." (206)

بالإضافة إلى ذلك، أوضح الكثير من تلاميذ الإمام الشافعي المقربين موقف

الإمام من قضية الموسيقى وهو المنع.

الإمام مالك:

الإمام مالك رحمه الله، نهى عن الغناء، وعن استماعه، وقال: "إذا اشترى جارية

فوجدتها مغنيةً، كان له أن يردها بالعيب، وسئل مالك رحمه الله: عمّا يرخص فيه

أهل المدينة من الغناء؟ فقال: إنما يفعله عندنا الفساق" (207)

²⁰⁶ شافعي الإمام محمد بن إدريس. كتاب الأم. مصر، مكتبة الكلية الأزهر. المجلد. 6، ص.

²⁰⁷ علل أحمد، 1 / 238، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للخلال، ص 165، والكافي لابن

عبد البر، 2 / 205، وتفسير القرطبي، 14 / 55، وعون المعبود، 13 / 186.

الإمام أحمد بن حنبل:

أما مذهب الإمام أحمد فقال عبد الله ابنه : سألت أبي عن الغناء فقال : الغناء
ينبت النفاق بالقلب، لا يعجبني، ثم ذكر قول مالك: "إنما يفعله عندنا
الفساق". (208)

الضحاك: "الغناء مفسدة للقلب، مسخطة للرب". (209)

الإمام ابن تيمية: قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

فقد حكى اتفاق العلماء على المنع من آلات اللهو، والاستئجار عليها
عند الأئمة الأربعة، وقال في ردّه على الرافضي: "الأئمة الأربعة متفقون
على تحريم المعازف التي هي آلات اللهو: كالعود ونحوه، ولو أتلفها
متلف عندهم لم يضمن صورة التالف، بل يحرم عندهم
اتخاذها..." (210)

²⁰⁸ ابن القيم الجوزية "إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان" 1/ 294-296

²⁰⁹ ابن القيم الجوزية "إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان" 1/ 250

²¹⁰ منهاج السنة النبوية، 3/ 256. وانظر: فتاوى شيخ الإسلام، 30/ 218

ابن القيم الجوزية:

قال ابن القيم الجوزية رحمه الله: "ومن مكايد عدو الله ومصايدته التي كاد بها من قَلَّ نصيبه من العلم، والعقل، والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المُكَّاءِ، والتَّصَدِّيَّةِ، والغِنَاءِ بِالْأَلَاتِ المحرَّمة؛ الذي يَصُدُّ القلوبَ عن القرآن، ويجعلها عاكفةً على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط، والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المُنَى، كاد به الشيطان النفوس المبطله، وحسنه لها مَكْرًا منه وغرورًا، وأوحى إليها الشُّبُه الباطلة على حسنه، فقبلتُ وحيه، واتَّخذت لأجله القرآن مهجورًا". (211)

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وأما سماعه [أي الغناء] من المرأة الأجنبية، أو الأُمرد، فمن أعظم المحرمات، وأشدّها فساداً للدين" (212)

211 إغاثة اللهفان، لابن القيم، 1 / 293.

212 المرجع السابق، 1 / 299.

الحارث بن أسد المحاسبي:

"الموسيقا والغناء محرمة علينا كحرمة لحم الحيوانات الميتة". (213)

الفضيل بن عياض:

" الغناء رقية الزنا و الغناء رائد الفجور". (214)

الإمام أبو حامد الغزالي:

أوضح الإمام الغزالي رحمه الله بعد مناقشة طويلة حول السماع في كتابه إحياء

علوم الدين أن الاستماع إلى الموسيقا والغناء مشتركاً مع النساء واستخدام

الآلات الموسيقية أو الشعر الشهواني محظور تماماً في الإسلام. (215)

²¹³ رسالة المسترشدين، الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله، مكتبة المطبوعات الإسلامية

بحلب. 1983 الميلادي.

²¹⁴ المرجع نفسه.

²¹⁵ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (كراتشي، دار الإذاعة 1978)

الإمام النووي:

" أن يُعَنَّى ببعض آلات الغناء، بما هو من شعار شاربي الخمر، وهو مُطربٌ كالطُّنبُورِ، والعُودِ، والصَّنَجِ، وسائر المعازف والأوتار، يحرم استعماله واستماعه." (216)

ابن قدامة:

حكم ابن قدامة رحمه الله في الاستماع للموسيقا في الكتاب " المغني ":

الآلات الموسيقية المحرمة هي ثلاثة أنواع، الآلات الوترية وكل أنواع المزامير والعود، الطبل والرباب وما إلى ذلك. ومن أصر على الاستماع إليهم شهادته مرفوضة. (217)

ابن مفلح المقدسي:

²¹⁶ روضة الطالبين للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، 11 / 228.

²¹⁷ موفق الدين بن قدامة، المغني (مصر: دار المنار 1367 هـ) 9: 173.

الإمام الفقيه المحدث محمد بن مفلح المقدسي رحمه الله قال: "نقل عن

القاضي عياض أنه ذكر الإجماع على كفر مستحل الغناء." (218)

وقال رحمه الله:

"وَلَا يُكْرَهُ دُفٌّ فِي عُرْسٍ... وَيُكْرَهُ لِرَجُلٍ لِلتَّشْبِهِ، وَيُحَرِّمُ كُلَّ مَلْهَاءٍ سِوَاهُ،

كَمِزْمَارٍ، وَطُنْبُورٍ، وَرَبَابٍ، وَجُنُكٍ." (219)

الشيخ شهاب الدين السهروردي:

الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله قام بتأليف كتاب بعنوان "عوارف

المعارف" والذي يمكن اعتباره أعظم مؤلف أو تحفة فنية مميزة عن موضوع

علم التزكية القلوب.

قسّم الحديث عن الغناء في هذا الكتاب لفصلين؛ في الفصل الأول، ناقش جواز

الأناشيد الدينية، وفي الفصل الثاني، حرمة الأنواع الأخرى من الغناء، خلال

²¹⁸ كتاب الفروع لابن مفلح وتصحيح الفروع، 11 / 349، وانظر: فصل الخطاب، حمود

التويجري، ص 157.

²¹⁹ الفروع، لابن مفلح، 8 / 376.

المناقشة لم ينحرف لأدنى حد عن موقف الصحابة رضي الله عنهم و تيار العلماء

المسلمين: أن الأناشيد الدينية جائزة في حالات محددة فقط. يقول:

"عندما تُشبع الناس رغبتها في السماع للأغاني الدينية فإنهم يهدرون الكثير من

الوقت، ويقل خشوعهم في الصلاة. يصبح هؤلاء الناس مدمنين على الذهاب

لتجمعات السماع، من أجل الحصول على المتعة من المغنين، يرتبون لهذه

اللقاءات مع بعضهم أكثر فأكثر دائمًا، إنه من غير الخفي عند علماء الصوفية أن

تعتبر هذا النوع من التجمعات غير جائز ومرفوض." (220)

أَبُو عَلِيٍّ الرَّوْذِبَارِيِّ:

كتب ابن حجر الهيتمي في كتابه "كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع":

"وما أحسن ما قاله الأستاذ الكبير، والعلم الشهير، إمام العارفين،

وقدوة العلماء العاملين، لَمَّا سُئِلَ أَبُو عَلِيٍّ الرَّوْذِبَارِيُّ عَمَّنْ يَسْمَعُ

الملاهي ويقول: هي حلال؛ لأنِّي قد وصلت إلى درجةٍ لا يُؤثِّرُ فِيَّ

²²⁰ الشيخ شهاب الدين السهروردي، عوارف المعارف (بيروت دار الكتاب العربي 1966)

اختلاف الأحوال، فقال ﷺ: نعم قد وصل، ولكن إلى سقر

(جهنم)!"(221)

فضيلة الشيخ أحمد السرهندي فاروقي:

كان الشيخ أحمد السرهندي فاروقي (المعروف أيضاً باسم مجدد الألف الثاني)

مسؤولاً عن إعادة تأكيد وإحياء الإسلام في الهند في الألفية الثانية الهجرية ضد

إمبراطور المغول (الأكبر) وحكومته المعادية للإسلام فقد كتب:

"فالموسيقا الدينية والغناء والرقص في الواقع من اللهو والتسلية ... هناك الكثير من

الآيات القرآنية والأحاديث والروايات لعلماء الفقه الإسلامي في تحريم الموسيقا

والغناء بحيث يصعب حصرها. ومع من ذلك، إذا حاول شخص ما إحضار حديث

منسوخ أو رواية غير موثوقة لإثبات جواز الموسيقا، فسيتم رفض ادعائه لأنه لم

يصدر أي فقيه في أي فترة في التاريخ الإسلامي فتوى بجواز الموسيقا والغناء أو

الرقص وجعل بعض الصوفيين غير الناضجين في عصرنا باستخدام أفعال

معلميهم ذريعة السماع والغناء دينهم واعتبروه من نوعية العبادة. يخبرنا القرآن عن

221 احمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي، كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع،

(الباب الأول: في أقسام الغناء المحرّم وغيره).

هؤلاء قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَعِيبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَلُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا

تَجَحَّدُونَ ﴿٥١﴾ (سورة الأعراف: 51)

الحمد لله، ومن فضله وبركاته أن مشايخنا الروحيون لم يعانوا من هذا

المرض وأبعدوا أتباعهم عن مثل هذه الأمور". (222)

فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز:

"الغناء محرم عند جمهور أهل العلم، وإذا كان معه آلة لهو، كالموسيقا، والعود،

والرَّباب، ونحو ذلك، حرم بإجماع المسلمين... الاستماع إلى الأغاني لا شك

في حرمة، وما ذاك إلا لأنه يجر إلى معاصٍ كثيرة، وإلى فتنٍ متعددة، ويجرُّ إلى

العشق، والوقوع في الزنا، والفواحش، واللواط، ويجرُّ إلى معاصٍ أخرى،

كشرب المسكرات، ولعب القمار، وصحبة الأشرار، وربما أوقع في الشرك

والكفر بالله، على حسب أحوال الغناء، واختلاف أنواعه..." (223)

²²² الشيخ أحمد فاروقي السرهندي، ترجمه سيد زوار حسين شاه من الفارسية إلى الأردية.

رسائل مجدد الف الثاني. كراتشي، إدارة مجددية.

²²³ مجموع فتاوى ابن باز، 21 / 148 - 150.

العلامة محمد بن صالح العثيمين:

"ويجتنب المعازف، وهي آلات اللهو بجميع أنواعها، كالعود، والربابة، والقانون، والكمنجة، والبيانو، والكمان وغيرها؛ فإن هذه حرام، وتزداد تحريمًا وإثمًا إذا اقترنت بالغناء بأصوات جميلة، وأغانٍ مثيرة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (سورة لقمان: 6) صحَّ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سُئِلَ عن هذه الآية، فقال: والله الذي لا إله غيره هو الغناء.... وقال الحسن: نزلت هذه الآية في الغناء، والمزامير، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من المعازف، وقرَّنها بالزنا، فقال صلى الله عليه وسلم: ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحرَّ والحريم والخمر والمعازف. (البخاري)

"الحر" معنى الفرج، والمراد به الزنا، ومعنى يستحلون أي: يفعلونها فعل المستحلِّ لها، بدون مبالاة، وقد وقع هذا في زمننا، فكان من الناس من يستعمل هذه المعازف، أو يستمعها كأنها شيء حلال، وهذا مما نجح فيه أعداء الإسلام بكيدهم للمسلمين، حتى صدّوهم عن ذكر الله، ومهامِّ دينهم ودنياهم، وأصبح

كثير منهم يستمعون إلى ذلك أكثر مما يستمعون إلى قراءة القرآن والأحاديث،
وكلام أهل العلم، المتضمّن لبيان أحكام الشريعة وحكّمها." (224)

فضيلة الشيخ نوح حمّ كيلر:

كان الشيخ نوح حمّ كيلر (Nuh Ha Mim Keller) باحثًا معاصرًا كاثوليكيًا
سابقًا، وأسلم في عام 1977 في الأزهر بالقاهرة، ثم درس العلوم الإسلامية في
الحديث والفقهاء الشافعي والحنفي والمنهج القانوني ومبادئ الإيمان في سوريا
والأردن. قال ما يأتي عن وضع الموسيقى في الإسلام:

"يدعي بعض الناس أن الموسيقى المسجلة ليست في الواقع موسيقا لأنها تأتي من
التسجيل، ولا تأتي من آلات موسيقية. هذا رأي غير معتبر، لأن مبلغ الإيرادات
المتولدة من الموسيقى المسجلة في الولايات المتحدة في عام 2002 كان حوالي 12
مليار دولار أمريكي، وكان المبلغ للموسيقيين حوالي 1.7 مليار دولار أمريكي.
لذا من الواضح أنهم لا يشترونها لأنها ليست موسيقا. هناك ستة أحاديث صحيحة
تنهى صراحة عن الآلات الموسيقية. ومن ثم إذا كان في القلب خوف من الله
وإيمان، فالحكم واضح.

²²⁴ مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، 20 / 256.

يتضح من الأحاديث صحة في سلاسل مسانيدھا. ولا شك أن النبي ﷺ قالھا لمصلحتنا من يظن أنه يجوز الاستماع إلى المقطوعات الموسيقية وحفلات الجاز، والفقهاء الذين يبدون الفتاوى في إباحة الموسيقى هم عميان و هم علماء السوء، كما يخبرنا الله جل شأنه في القرآن: ﴿أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

(سورة التوبة: 9).²²⁵

محمد تقي عثمانی (قاضي القضاة):

محمد تقي عثمانی هو عالم إسلامي معروف و كان قاضي القضاة بالمحكمة الشرعية الإسلامية الباكستانية، يكتب محمد تقي عثمانی:

"في زمن النبي محمد ﷺ وفي زمن أصحابه، كان الناس غير المسلمين في العالم مغرمين بالموسيقا وغيرها من وسائل الترفيه. كان من الممكن تماماً إنشاء مثل هذا الترفيه من أجل إيصال رسالة الإسلام إليهم، لكن صحابة النبي محمد ﷺ لم يحاولوا تسلية الناس بالدراما والموسيقا والمسرحيات؛ بدلاً من ذلك غلبوا قلوب

²²⁵ Sheikh Nuh Ha Mim Keller (2005). "Is listening to the recorded music permissible?" (audio) [هل الاستماع إلى الموسيقى المسجل مسموح به؟] (<http://www.sunnipath.com/Resources/Questions/QA00004456.aspx>)

الناس من خلال تقديم طابعهم النموذجي لهم... اليوم إن لم نكن مستعدين لتغيير
عادتنا ونريد نشر رسالة الإسلام من خلال صنع الدراما والعروض الموسيقية
فالشيطان عندئذ هو المخترع لمثل هذه الأفكار." (226)

الشروط التي يُسمح فيها بالغناء

نظراً لما ذكر في المناقشة أعلاه أن هناك استثناءات معينة موجودة فسيتم
توضيحها هنا. الاستثناء هو الغناء والعزف على الدف في مناسبات الاحتفالات.
الدف عبارة عن طبله يدوية مستديرة تشبه الدائرة بدون ملحقات القرص
المعدني. أما باقي الآلات الموسيقية (غير الدف) فلا تجوز بأي حال من
الأحوال. وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن معظم الموسيقى المستخدمة هذه الأيام
في الأعراس تتجاوز المنطق الإسلامي لاستخدام هذا الاقتباس "جواز الغناء".
نعلم أنه كان مسموحاً به في المناسبات الخاصة كالأعراس والأعياد (عيد الفطر
وعيد الأضحى). ونجد هذا في الأحاديث التالية: وقد رُويت عن عائشة رضي الله عنها:

²²⁶ القاضي محمد تقي عثمانى، إصلاح المجتمع الإسلامي (باللغة الأردنية) (كراتشي:

مكتبة دار العلوم، 1998).

❖ "دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيتَانِ تُغْنِيَانِ بَغْنَاءِ بُعَاثَ،

فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ:

مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ:

دَعُهُمَا، فَلَمَّا عَقَلَ عَمَزْتُهُمَا فَخَرَجْنَا، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ، يَلْعَبُ السُّودَانُ

بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ، فَإِنَّمَا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَإِنَّمَا قَالَ: تَسْتَهِينِ تَنْظِرِينَ؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: دُونَكُمْ يَا بَنِي

أُرْفَدَةَ. حَتَّى إِذَا مَلَيْتُ، قَالَ: حَسْبُكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَادْهَبِي."

(البخاري) (227)

❖ وروى محمد بن خطيب الجمعة عن رسول الله ﷺ قال: "فَصَلُّ مَا بَيْنَ

الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ: الدُّفُّ وَالصَّوْتُ فِي النِّكَاحِ" (ابن ماجه، الترمذي) (228)

²²⁷ صحيح البخاري. كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد، المجلد الأول. 2،
حديث رقم 949 & 950.

²²⁸ هذه الحديث رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه؛ وحسنه الألباني
والأرناؤوط.

❖ روي عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّهَا زَفَّتِ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ نَبِيُّ

اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: يَا عَائِشَةُ، مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهُوٌ؟ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ. " (رواه

البخاري)(229)

ولذلك أجازنا في مناسبات النكاح والعيد الغناء والدف كما ورد في الأحاديث السابقة صراحة. وخلاصة القول: الحكم الشرعي في الاستماع للموسيقا والغناء كما ورد في أول الكتاب في الشريعة الإسلامية، فإن المقاربة الصحيحة لموضوع ما عنصر أساسي في استنباط الحكم. وهذا يتطلب منا فهم الوصايا الإسلامية من خلال نص القرآن والسنة. ثم نأخذ هذا الفهم ونطبقه على القضية كما هي في الواقع من خلال الجمع بين فهمنا للقرآن والسنة وتطبيقه على الموضوع، فإننا نشق الفتوى في إباحة الأمر أو عدم جوازه عند القيام بذلك، ننظر أيضاً في الأضرار والفوائد المتعلقة بالمشكلة.

229 صحيح البخاري. كتاب النكاح، المجلد 6، الحديث رقم 5162، ص. 632.

نهج الشريعة الإسلامية هو الموازنة بين فوائد ومضار كل شيء، لأن الهدف

النهائي للشريعة هو إفادة المجتمع. يمكننا تقسيم المشكلة إلى ثلاثة أجزاء:

1. الآلات الموسيقية مثل الدف، البيانو، القيثارات والمزمار

2. كلمات

3. المطربين أو الملحنين

لقد ألقينا نظرة على الأدلة من القرآن والسنة فيما يتعلق بالموسيقا

والغناء. كما اطلعنا على المواقف التي اتخذها أصحاب النبي ﷺ وكذا أئمتنا

العظماء وغيرهم من علماء الإسلام. علاوة على ذلك، نظرنا علمياً في الأضرار

التي تسببها الموسيقا للأفراد والمجتمع. ومن هنا عندما نطبق ما نفهمه من كل

هذه المصادر على مسألة الاستماع للموسيقا والغناء، فإننا نصدر الحكم

الحاسم التالي في الموسيقا:

الآلات الموسيقية المخصصة للترفيه محرمة مع الغناء أو بدونه. علاوة

على ذلك، فإن استخدام أصوات الآلات الموسيقية التي يتم إنشاؤها بأي وسيلة

كانت (المنتجة رقمياً أو التي يتم إنشاؤها بالكمبيوتر أو حتى المنتجة عن طريق فم المغني) تعد أيضاً من المحرمات. ومع ذلك، فإن غالبية علماء المسلمين يسمحون بضرب الدف من قبل الرجال أو النساء في مناسبات خاصة في تجمعات منفصلة بين الجنسين.

لاحظ أن الأصوات الطبيعية (مثل صوت الشلال أو نقيق الطيور) المستخدمة في الأغاني لا تشكل أصواتاً موسيقية. فيما يتعلق بالأغاني، أما إذا كانت كلماتها تتكون من أي شيء غير قانوني أو إذا كانت البيئة التي يتم فيها الغناء غير قانونية (مثل الغناء في التجمعات المختلطة بين الجنسين، والتسلية العبيثة، وغيره)، أو إذا حرموا المرء من واجباته، فإنهم محرّمون.

إذا كانت الأغاني خالية من الأشياء المذكورة أعلاه، ولم تكن مصحوبة بأية آلات موسيقية (عدا الدف) أو صوت الآلات الموسيقية المنتجة بأي وسيلة كانت (مثل المنتجة رقمياً أو المولدة بالحاسوب)، فإنه يجوز غنائها.

الفصل السادس

تحليل نقدي للحجج المستخدمة لصالح

"الموسيقا" الإسلامية"

هل يوجد شيء اسمه الموسيقا "الإسلامية"؟ هل يمكننا الاستماع إلى موسيقا "إسلامية"؟ هل يمكن استخدام الموسيقا في تعزيز القضية النبيلة لانتشار الإسلام؟ هل موضوع الموسيقا موضوع جدل كبير في الإسلام؟ الغرض من هذا الفصل هو تقديم إجابات على كل هذه الأسئلة من خلال التحليل المنطقي لبعض الحجج التي يستخدمها بعض المسلمين لصالح الموسيقا. إذا نظرنا ببساطة إلى التاريخ الإسلامي، فنلاحظ أنه لا يوجد عالم إسلامي واحد اعتبر الموسيقا مهنته. إن الإسلام يدرك تمامًا حقيقة أنه حتى الموسيقا الدينية تؤدي في النهاية إلى موسيقا محرمة. في الواقع، لا يوجد شيء إسلامي اسمه "الموسيقا"

الإسلامية"، تماماً كما لا يوجد مصطلحات "القمار الإسلامية" أو "الخمير الإسلامي" أو "نظام الاشتراكية الإسلامية" غير موجودة في مفردات الإسلام. إذا وضعنا علامة "حلال" على زجاجة بييرة أو خمير، فلن تجعلها نقيية؛ هذا مجرد خداع للعيون. لا يزال من غير الممكن استخدام الكحول لإلهامنا لأي سبب نبيل أو ببساطة للترفيه اللطيف. وبالمثل، إذا قرأنا "بسم الله" أثناء ذبح الخنزير، فلن يجعل هذا لحم الخنزير حلالاً. على نفس المنوال نسميه الفائدة (المكتسبة على أموالنا المودعة في البنوك) ستظل ربحاً وهو محرم تماماً في الإسلام. لذا فمن الواضح أنه من الخطأ بالنسبة للمسلمين - خاصةً بعض العلماء الذين يتبعون ما يسمى بالاتجاه الحداثي الذي وضعه العلماء والمفكرون الحداثيون لاستخدام مصطلحات مثل "الموسيقا الإسلامية". إنهم يخلطون بين الإسلام والموسيقا وبالتالي فهم مسؤولون عن إرباك المسلمين وضلالهم. بل إن بعضهم يقترح أن الصحابة والتابعين كانوا يستمعون للموسيقا والغناء، وأنهم لا يرون فيها ما يعيبها، لكنهم لا يستطيعون إنتاج أحاديث بمسانيد ثابتة من هؤلاء الصحابة والتابعين.

مما يثبت ما ينسبونه إليهم زوراً فيما يتعلق بالموسيقا. وقد ذكر الإمام

مسلم في مقدمته في صحيح مسلم أن عبد الله بن مبارك قال: "الإسناد من الدين

ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء".⁽²³⁰⁾

فقد منع الرسول الله ﷺ الموسيقا لذلك لا يمكن أن يكون هناك حقيقة

مثل "الموسيقا الإسلامية". الموسيقا والإسلام بعيدان عن بعضهما بعضاً بُعد

المشرق والمغرب.

وفي الصفحات التالية، سنتناول بعض الحجج الأكثر شيوعاً التي

طرحها الناس لصالح الموسيقا. يحتوي الرد على كل حجة على تحليل نقدي

ومنطقي لتلك الحجة.

²³⁰ مقدمة صحيح مسلم، المؤلف: الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

تحريم الموسيقى - هل هي موضوع خلاف أم مسألة

إجماع في الإسلام؟

الحجة

الموسيقا هي قضية مثيرة للجدل في الفقه الإسلامي. اعتبر العديد من العلماء البارزين أنها حرام، ولكن هناك علماء بارزون آخرون - قدماء ومعاصرون يسمحون بالغناء واستخدام الآلات الموسيقية.

إجابة

أفضل سؤال لطرحه على مثل هؤلاء هو: "هل تستطيع تسمية عالم واحد ادعى أن الموسيقى كانت موضوعاً مثيراً للجدل في الفقه الإسلامي؟" لا شك أن بعض العلماء المعاصرين يعتبرون أن استخدام الآلات الموسيقية أمر جائز، مع بعض الشروط المرفقة، ومع ذلك، فإنه لا يجعل القضية مثيرة للجدل في الشريعة الإسلامية.

هنا يجب أن نفهم قاعدة أساسية تحكم الروح والشريعة الإسلامية. حقيقة أن حفنة من العلماء يتبنون وجهة نظر معارضة للأغلبية الساحقة لا تجعل

المسألة مثيرة للجدل ولا تجعل الاختلاف محتملاً. وهذه البديهية متفق عليها

بين الفقهاء. ويتضح ذلك عند مناقشتهم المبدأ القائل:

"لا يُنكرُ المختلفُ فيه، وإنما يُنكرُ المُجمَعُ عليه." (231)

هذه قاعدةٌ فقهيةٌ مهمةٌ. يعني الخلاف بالقول إن الآراء الشاذة أو الضعيفة هي

مستثناة من هذا المبدأ تماماً، مما يجعلهم عرضة للرقابة. لهذا السبب يشرح ابن

القيم في عمله "إعلام الموقعين" بالتفصيل الفرق بين القضايا التي تخضع

للاجتهاد (باستخدام علم القرآن والسنة لاستنباط أحكام في أمور لم يرد ذكرها

على وجه التحديد في أي من مصدرَي النبوة. الشريعة الإسلامية) بشروط مرفقة،

والمسائل التي لا تخضع للاجتهاد، حتى لو كان هناك علماء مخالفون.

عدم التمييز بين تلك القضيتين أو عدم تنفيذ هذه القاعدة يؤدي لمشاكل

قانونية كبيرة. (232) في الحقيقة، هذه تؤدي إلى تدمير الأمة. مع أن هذا قد يكون

مفاجأً لنا، إلا إنه من الضروري لفتح قلوبنا وأدمغتنا لتحديد الحقيقة. إذا أردنا

²³¹ شيخ هيثم بن جواد الحداد، "الموسيقا: مسألة بسيطة من الخلاف؟"، تمت الزيارة في

1 يونيو / حزيران 2007، <http://www.islamicawakening.com>

²³² المرجع نفسه.

قراءة أعمال الفقه المقارن، خاصة الكراسات (الكتيبات) الضخمة، مثل كتاب المغني، المذهب، فتح الباري، عمدة القاري أو التمهيد، نادراً ما نجد قضية شرعية خالية من الخلاف؛ ولو كنا نستوعب التنوع في كل خلاف شرعي سوف ينتهي بنا المطاف خارج الإسلام كله. ولهذا السبب بالتحديد ينبغي على العالم أن يقول: "من تبع الرُّخص فقد تَزَنَّدق".

ويجب التنبيه أننا لا ينبغي أن نقبل كل الاختلافات في الآراء حول قضية ما. الاختلاف المُتحمّل أو المُتقبل هو فقط الذي يندرج تحت بند الاجتهاد، الذي يحدث فقط عندما يكون الاختلاف في الرأي كبيراً. علاوة على ذلك يجب تنفيذها بموضوعية وإخلاص. (233)

وقد قلت دعونا نصبّ اهتمامنا تفصيلاً على العلماء القلّة في الماضي الذين قالوا أن الموسيقى حلال، من ضمنهم ابن حزم ومحمد الشوكاني ومحمد راتب النابلسي والغزالي. يجب التنويه بأنه ليس أيّاً من هؤلاء العلماء قد عاش في أول قرنين بعد وفاة النبي ﷺ، في هذه الفترة التي كان الصحابة والتابعون

²³³ المرجع نفسه.

والسلف وأئمة الإسلام الأربعة يعتبرون الموسيقى والأغاني المحتوية على
موسيقا حراماً بالإسلام.

ابن حزم لا يُقر بأحاديث صحيح البخاري المتعلقة بتحريم الغناء. ليس
هناك شك أن ابن حزم كان عالماً فاضلاً وفطناً، ولكن شخصيته كانت مليئة
بالصفات المتناقضة. كان ينتمي لمذهب الظاهرية (هؤلاء فقط يأخذون المعنى
الحرفي للكتاب والسنة في القضايا الفقهية). حالياً هي فرقة منقرضة. يتبنى ابن
حزم العديد من الأفكار المخالفة التي لا أساس لها من الصحة من ناحية التقييم
والتحقق من الحديث. يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني عن ابن حزم الأندلسي
في "لسان الميزان":

"كان واسع الحفظ جداً. إلا أنه لثقته بحافظته كان يهجم على القول في التعديل
والتجريح وتبيين أسماء الرواة، فيقع له من ذلك أوهام شنيعة". (234)

وقال أبو الحسن ابن القطان في "بيان الوهم والإيهام":

²³⁴ لسان الميزان، (5/637) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر
العسقلاني، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية (الطبعة: الأولى، 2002 م)

محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي، وترمز

بخراسان. جهله بعض من لم يبحث عنه - وهو أبو محمد ابن حزم - فقال في كتاب

الفرائض من "الإيصال" - إثر حديثٍ أورده -: "إنه مجهول".⁽²³⁵⁾

و يظهر أن هذا من تسرع ابن حزم. فابن حزم معروفٌ عنه التسرع في

إطلاق الأحكام.

أما الإمام الغزالي فقد أوضح في كتابه "إحياء علوم الدين" (بعد نقاش

طويل حول إباحة الغناء الديني) أن الاستماع إلى الموسيقى والغناء برفقة النساء

أو الآلات الموسيقية أو الشهوة والشعر محرم تماماً في التعاليم الإسلامية. ومن

هنا نرى أن الإمام الغزالي وضع شروطاً صارمة على الاستماع إلى الموسيقى

الدينية.⁽²³⁶⁾ عندما ننظر إلى أن أكثر الآلات الموسيقية تطوراً اليوم، والبيئة التي

تُعزف فيها الموسيقى، وكلمات الأغاني، يتضح أن الشروط المسبقة كلها

للاستماع إلى الموسيقى الدينية التي وضعها أشخاص مثل الإمام الغزالي ملغاة.

²³⁵ بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، أبو الحسن ابن القطان (المتوفى: ٦٢٨هـ)،

المحقق: د. الحسين آيت سعيد، الناشر: دار طيبة، الرياض

²³⁶ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين

وهذا يجعل فعل الاستماع للموسيقا والغناء المصحوب بها فعلاً محظوراً وفقاً

لمعايير الإمام الغزالي.

يناقش الباحث الإسلامي المعاصر خالد بيك في كتابه *Slippery*

Stone موقف الغزالي:

"من المثير للاهتمام أن معظم الناس الذين يشيرون إلى حججه يبدو أنهم ينسون شروطه. على سبيل المثال، أدرك القليلون أن الغزالي أعلن أن سماع الموسيقا غير مسموح به للشباب، وهي الفئة المستهدفة لمعظم أعمال الموسيقا اليوم. بعبارة أخرى، وجد عشاق الموسيقا في الغزالي دعامة مناسبة يمكنهم من خلالها تسويق تساهلهم. لكن هذا استثناء من الغزالي. يجب على كل من يريد أن يفهم القضية بجدية ألا يفصل شروط الغزالي عن حججه. عندما يتم ذلك، فإن أولئك الذين يستدعون الغزالي لدعم رخصتهم قد يتعرضون لموقف فظ. يستخدم الغزالي كلمات مثل حرام ومكروه للأشطة والظروف التي تصف معظم ما يحدث اليوم حتى في قسم النشيد (الأغاني الإسلامية) ناهيك عن الموسيقا العلمانية".⁽²³⁷⁾

²³⁷ Baig, Khalid (2008). *Slippery Stone: an inquiry into Islam's stance on music*. Garden Grove (California), Open Mind Press.

لنأخذ حالة علماء مثل عبد الغني النابلسي الذي كان يرى أن الموسيقا

الدينية جائزة. تقول آية سورة الجمعة التي تنذر بلطف التسلية في وقت الصلاة

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنْ

اللَّهُو وَمِنَ التِّجْرَةِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ (سورة الجمعة: 11)

وزعم النابلسي أن ذكر التسلية في هذه الآية يدل على عدم وجود خطأ

في ذلك. (238) حيث حاول دون جدوى استخدام هذه الحجة في الدفاع عن الغناء

الديني، كما أن فتوى الأزهر التي انتشرت على نطاق واسع نسخت هذه الحجة

في محاولة لإثبات شرعية الموسيقا والغناء. (239)

وقد دحض هذا المنطق بشدة المعلق الشهير على القرآن العلامة

محمود الألوسي في تفسير "روح المعاني":

238 عبد الغني النابلسي، يوضح الدلالات في سماع الآلات، دمشق.

239 دار الافتتاح المصرية، <http://www.dar-alifta.org>، فتوى رقم 3280،

بتاريخ 12 أغسطس 1980، مقتبسة في Baig، Slippery Stone: تحقيق في موقف

الإسلام من الموسيقا. صدر هذا الحكم من قبل مفتي وشيخ الأزهر في القاهرة الذي كان

مركزاً رئيسياً للتعليم الإسلامي لأكثر من ألف عام.

"وقد جادل الشيخ عبد الغني النابلسي غفر الله له بالجواز من آية سورة الجمعة. يجب أن تعلم أن ذلك مبني على ادعاء وسوء فهم. والأغرب من ذلك هو حجته من الاقتران بين التجارة المباحة واللغو في بداية الآية. والغريب أيضا أنه كتبت رسائل لإثبات جوازها وهم جماعة منسوبة إلى مولانا جلال الدين الرومي. تدور هذه الرسائل حول حجج أضعف من خصر غزال صغير... هذه أكاذيب لا أساس لها ولا يمكن لأي شخص عاقل قبولها." (240)

أما بالنسبة لموقف الشوكاني من الموسيقى، فيبدو أنه تبع ابن حزم بسبب حبه للمدرسة الظاهرية الفكرية، التي عززها في البداية ابن حزم لكنها كادت تنتهي. وإلا فإن كبار علماء الحنابلة كلهم، الإمام أحمد بن حنبل والإمام ابن تيمية وابن الجوزي ابن القيم وابن قدامة وآخرون يعتبرون الموسيقى محظورة في الإسلام.

²⁴⁰ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله

الحسيني الألويسي، الفصل في تفسير سورة الجمعة، الآية 11، 28: 417

الافتراض حول كون الموسيقى موضوعاً مثيراً للجدل يؤكد فقط عدم وجود بحث من جانب واحد. لقد ظهر بوضوح في هذا الكتاب أن الغالبية العظمى من العلماء عبر التاريخ الإسلامي يرون أن الموسيقى محظورة. والسؤال الواضح الذي يطرح نفسه هنا هو كيف يمكن للغالبية العظمى من العلماء من جميع المدارس القانونية خلال القرون الأربعة عشر الماضية الاتفاق على حظر الآلات الموسيقية، في حين أن الحقيقة تتعارض مع العكس؟ ألن يخطر لنا أنه من خلال تبني وجهة النظر الأخرى، فإننا نلزم ضمناً الخطأ من جانب الغالبية العظمى من العلماء طوال القرون الأربعة عشر الماضية؟ ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ

إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ (سورة النحل 43)

وخلاصة القول إن الإمام القرطبي (في تفسير أحكام القرآن) والإمام الألويسي (في تفسير روح المعاني) ذكرا أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على حظر الموسيقى والغناء ولكنهم سمحوا باستثناءات محددة من قبل السنة الأصيلة. كتب الإمام

بن تيمية:

مذهب الأئمة الأربعة أن آلات اللهو كلها حرام، ثبت في صحيح البخاري وغيره أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون من أمتة من يستحل الحر والحريم والخمر والمعازف، وذكر أنهم يمسخون قرده وخنازير، .. ولم يذكر أحد من أتباع الأئمة في آلات اللهو نزاعا (المجموع 11 / 576) ولم يذكر أي من أتباع الأئمة أي نزاع يتعلق في مسألة الموسيقى. (مجموع الفتاوى، 11 / 576)

الاستماع إلى الموسيقى لا إرادياً

الحجة

كيف يمكننا أن نعتبر الموسيقى محظورة في الإسلام في حين أن الموسيقى في كل مكان؟ عندما نذهب إلى المحال التجارية والمكاتب والمطاعم أو المتاجر. فقد ينهال علينا وابل من الموسيقى. ولا توجد طريقة للهروب من الموسيقى في هذا العصر التقني.

الرد

هناك فرق بين الاستماع والسمع. فقد نسمع الموسيقى ضد إرادتنا الحرة بينما نكون في مكان عام، هذا لا يمنحنا مبرراً لـ "الاستماع" إلى الموسيقى. وعلق الإمام بن تيمية على هذه المسألة. فقال:

"فإنَّ النَّهْيَ إنما يتوجه إلى الاستماع، دون السماع، ولهذا لو مرَّ الرجل بقوم يتكلمون بكلام محرَّم: لم يجب عليه سدُّ أذنيه، لكن ليس له أن يستمع من غير حاجة، ولهذا لم يأمر النبي ﷺ ابن عمر بسدِّ أذنيه لمَّا سمع زمارة الراعي؛ لأنه لم يكن مستمعاً، بل سامعاً" (مجموع الفتاوى، 11 / 630).

الأجوبة عن بعض الاعتراضات الشائعة

الحجة

نحن نستمع إلى الموسيقى والغناء لأن كلَّ شخص في المجتمع يفعل ذلك.

الرد

يقول لنا القرآن الكريم إن حقيقة أن شيء يقوم به أغلبية الناس ليس مسوغاً لجعله جائزاً. وقد حرم الله ورسوله الموسيقا. فقد أرسل أنبياء الله (عليهم السلام) كلهم إلى هذا العالم في وقت لم يكن فيه أغلبية الناس يطيعون الله سبحانه وتعالى. فالقرآن يأمرنا ألا نتبع الأغلبية قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ لِيُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا سَخِرُونَ﴾ (سورة الأنعام: 116)

يقول الله تعالى في القرآن: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَنَسِقُونَ﴾ (سورة المائدة

: 49)

فالمعيار بين الحقيقة والكذب ليس الأغلبية؛ إنما هو القرآن والسنة. أي

عمل أو عرف يستوفي المعايير المنصوص عليها في القرآن والسنة فهو حق.

وقد قال شاعر الإسلام الشهير الدكتور محمد إقبال في إحدى رواياته الشعرية:

"الكذب يحب الطبيعة المزدوجة (النفاق) بينما الحقيقة واحدة.

لا تقبلوا المساومة في الحقيقة والكذب."

الحجة

إذا كان هذا الشيء (الموسيقا) محظورا في الإسلام، فلماذا لم يذكر ذلك بوضوح في القرآن؟ لا نطيع إلا وصايا القرآن.

الرد

وهذا عذر آخر يسوقه من ينغمسون في الأعمال التي يحرمها الإسلام. وهذا الاعتراض الذي ليس بجديد.

القرآن يقدم دليلاً واضحاً وحاسماً على حظر الموسيقى في الإسلام، ولكن يجب أن نذهب إلى سنة رسول الله ﷺ لتوضيح أي حكم في الإسلام.

القرآن عام ولا يتطرق إلى التفاصيل الدقيقة لمختلف الأحكام؛ إنه يوجهنا إلى

اتباع النبي محمد ﷺ للهداية. والقرآن يخبرنا بوضوح بقوله تعالى: ﴿وَمَا

ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ ﴿٧﴾ (سورة الحشر 7)

يشرح الشيخ محمد أسد (ليوبولد فايس سابقاً)⁽²⁴¹⁾ أن رفض بعض المسلمين السنة النبوية في الوقت الحاضر هو نتيجة عقدة نقص يعاني منها هؤلاء المسلمون عندما يواجهون الحضارة الغربية الباهرة. ويقول:

"هذا التغريب هو السبب الأقوى وراء كون تقاليد نبينا، ومعها كامل بنية السنة، غير شعبية اليوم. إذ تعارض السنة بوضوح الأفكار الأساسية التي تقوم عليها الحضارة الغربية إلى الدرجة التي تدفع هؤلاء المفتونين بهذه الحضارة إلى اعتبار السنة ثانوية غير إلزامية كوسيلة للخروج من هذا التشابك، وذلك لأنها "تستند إلى تقاليد لا يمكن الاعتماد عليها". بعد ذلك، يصبح من السهل تحريف تعاليم القرآن بطريقة تبدو مناسبة لروح الحضارة الغربية."⁽²⁴²⁾

²⁴¹ مفكر ورحالة نمساوي مسلم الشيخ محمد أسد (Leopold Weiss سابقاً) ولد في الإمبراطورية النمساوية المجرية عام 1900، وتوفي في إسبانيا عام 1992م. هو انشغل بقضايا الإسلام الكبرى جهادا وتأليفا، فقاتل مع الزعيم الليبي عمر المختار ضد الإيطاليين، وأسس مع العلامة محمد إقبال دولة باكستان، واهتم في مؤلفاته بإزالة الشبهات المثارة حول الإسلام، وتجسير العلاقة بين الغرب والإسلام.

²⁴² Asad, Muhammad (1991). Islam at the Crossroads. Lahore, Sh. Muhammad Ashraf Publishers.

تبدأ نبينا الحبيب (ﷺ) في أحاديثه عن هذا النوع من الأشخاص بين المسلمين الذين يشيرون مثل هذه الاعتراضات على وصايا الإسلام. ومن الأحاديث التي رواها أبو رافع ما يأتي :

لَا أَلْفَيْنَ أَحَدِكُمْ مَتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ
فيقول : لا أدري. ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه (سنن أبي داود) (243)

وفي حديث آخر رواه المقدم بن معدي كرب قال رسول الله ﷺ:
يُوشِكُ أَنْ يَقْعُدَ الرَّجُلُ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي،
فيقول: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا
وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ مِثْلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ.
(سنن أبي داود) (244)

243 سنن أبي داود. كتاب السنة، المجلد. 3، ص. 457- والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

244 سنن أبي داود. كتاب السنة، المجلد. 3، ص. 451- والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

جدال:

أنا استمع للموسيقا فقط لقتل الوقت (لقضاء الوقت).

رد:

بدايةً.. على المرء أن يعي أننا لا نقتل الوقت، إنما الوقت هو من يوشك أن يقتلنا.

مع كل نفس، مع كل دقة لعقارب الساعة، مع مرور الوقت، نقرب من وجهتنا

النهاية... إلى قبرنا، إلى موتنا: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُتَّهَىٰ﴾ (سورة النجم: 42)

حدثنا النبي ﷺ عن مقدار ما نخسره عندما نضيع وقتنا، عن ابن عباس رضي الله عنهما ما

قال: قال النبي ﷺ:

نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ. (البخاري)(245)

لا يمكن للمرء أن يعارض حقيقة أن قضاء الوقت في أي ترفيه

سيستهلك الوقت الذي يجب أن يكون مخصصًا لتنفيذ الالتزامات الدينية

²⁴⁵ صحيح البخاري. كتاب الرقائق، المجلد. 7، حديث # 6412، ص. 682.

والقيام بأعمال جيدة. نعلم جميعاً أننا سنقف أمام الله (عز وجل) للتساؤل حول

كيفية قضاء وقتنا. هل قضينا وقتنا بحكمة، أم أننا فقط قتلناه؟

عن أبي بَرزَةَ نَضَلَةَ بن عبید الأسلمي رضي الله عنه مرفوعاً:

لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ

فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ

أَبْلَاهُ؟ (الترمذي)(246)

الإسلام لا يُبنى بالأشخاص الذين يشاركون في مساعٍ تافهة. علاوة على ذلك،

حتى لو قبلنا أن الأشخاص الذين يقولون، "أنا فقط أقتل الوقت من خلال

الاستماع إلى الموسيقى"، يفعلون ما يقولون، ثم يقتلون شيئاً آخر ألا وهو

شعورهم الأخلاقي، ويعد هذا خسارة فادحة .

²⁴⁶ جامع الترمذي، أبواب صفة القيامة، المجلد 2، ص 67. وقال هذا الحديث حسن

صحيح.

الحديث عن فتاتين كانتا تغنيان إلى أم المؤمنين السيدة

عائشة

جدال حاد:

الموسيقا مسموح بها في الإسلام لأنه ذكر في الحديث أن فتاتين كانتا تغنيان إلى السيدة عائشة رضي الله عنها، أم المؤمنين، وفي ذلك الوقت، كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم هناك. وهناك حديث آخر عن الحبشيين الذين يلعبون في مسجد النبي حيث أراهم النبي للسيدة عائشة رضي الله عنها. يمكن استخدام هذه الأحاديث دليلاً على أن الموسيقا والغناء مسموح بها في الإسلام.

الإجابة:

ومن يحاول أن يجعل الموسيقا مباحة بحسب قول السيدة عائشة رضي الله عنها ورواية الحديث هي:

دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ تُغْنِيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُعْنِيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمْزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ

عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا. (البخاري) (247)

وهناك رواية أخرى من هذا الحديث تقدم تفاصيل إضافية عن هذه الحادثة:

دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيتَانِ تَغْنِيَانِ بِغِنَاءٍ بُعَاثَ، فَاضْطَجَعَ عَلَيَّ

الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ

النَّبِيِّ ﷺ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: دَعُهُمَا، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزَتْهُمَا

فَحَرَجَتَا، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ، يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ، فَأِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ

ﷺ، وَإِمَّا قَالَ: تَشْتَهِيَنَّ تَنْظِيرِينَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ،

وَهُوَ يَقُولُ: دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ. حَتَّى إِذَا مَلِئْتُ، قَالَ: حَسْبُكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ:

فَاذْهَبِي. (البخاري) (248)

²⁴⁷ صحيح البخاري. كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام، المجلد 2، حديث رقم 952، ص. 123.

²⁴⁸ صحيح البخاري. كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد، المجلد الأول. 2، حديث رقم 949 & 950، ص. 121، 122.

1. أول هذين الحديثين الذي يستشهد بها الأشخاص الذين يسوغون جواز الموسيقى، تحتوي على الجملة العربية "عِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ"، أثناء شرح كلمة "جارية" يكتب الشيخ بدرالدين العيني في "عمدة القاري شرح صحيح البخاري":

"بين النساء، تشير الجارية إلى فتاة صغيرة لم تبلغ سن البلوغ، تماما كما يشير الغلام إلى صبي صغير لم يبلغ سن البلوغ". (249)

هذا النوع من الغناء لا يشبه بأي حال من الأحوال غناء الغاويات جنسياً في يومنا هذا. وفي الإسلام لا مكان للتجمعات التي يختلط الرجال والنساء فيها بحرية ويستمعون إلى غناء بعضهم بعضاً، حتى في مناسبات الزواج أو العيد.

2. ورد في كلا الروايتين من هذا الحديث أن أبا بكر اعترض على غناء هاتين الفتاتين. وإنكار أبي بكر رضي الله عنه ظاهر في أنه كان سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذم الغناء والنهي عنه فظن عموم الحكم فأنكر، وبتصحيح النبي صلى الله عليه وسلم عليه إنكاره تبين له

249 حسن عبد الغفار (يناير 2003). "الإسلام والموسيقا". مجلة ميثاق الشهرية.

عدم العموم . وفي الخبر الآخر ما يدل على أنه أوضح له ﷺ الحال مقروناً ببيان الحكمة وهو أنه يوم عيد فلا ينكر فيه مثل هذا كما لا ينكر في الأعراس، ومع هذا أشار ﷺ بالتفاهة بثوبه وتحويل وجهه الشريف إلى أن الإعراض عن ذلك أولى، وسماع صوت الجارية غير المملوكة بمثل هذا الغناء إذا أمنت الفتنة مما لا بأس به فليكن الخبر دليلاً على جوازه. (250) هناك فرق بين سماع شيء ما والإصغاء إليه.

3.) تعقياً على أحاديث السيدة عائشة رضي الله عنها المذكورة أعلاه في البخاري، كتب الإمام البغوي:

وَكَانَ الشُّعْرُ الَّذِي تُغَنِّيَانِ فِي وَصْفِ الْحَرْبِ وَالشَّجَاعَةِ، وَفِي ذِكْرِهِ مَعُونَةٌ فِي أَمْرِ الدِّينِ، فَأَمَّا الْغِنَاءُ بِذِكْرِ الْفَوَاحِشِ، وَالِابْتِهَارِ بِالْحَرَمِ، وَالْمُجَاهَرَةُ بِالْمُنْكَرِ مِنْ الْقَوْلِ، فَهُوَ الْمَحْظُورُ مِنَ الْغِنَاءِ، وَحَاشَاهُ أَنْ يَجْرِيَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِحَضْرَتِهِ

²⁵⁰ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للآلوسي، جلد 21.

عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيُعْفَلُ النَّكِيرَ لَهُ، وَكُلُّ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِشَيْءٍ جَاهِرًا بِهِ، وَمُصَرِّحًا بِاسْمِهِ لَا

يَسْتُرُهُ وَلَا يَكْنِي عَنْهُ، فَقَدْ غَنَى، بِدَلِيلِ قَوْلِهَا «وَلَيْسَتْا بِمُعْنِيَّتَيْنِ». (251)

4. أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اعتبرت هي نفسها أن الغناء محرما. ولهذا السبب،

في الحديث الأول للبخاري المذكور أعلاه، أشارت إلى أن هاتين الفتاتين ليستا

معنيتين محترفتين. و يكتب الحافظ بن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث:

"وَاسْتَدَلَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِحَدِيثِ الْبَابِ عَلَى إِبَاحَةِ الْغِنَاءِ وَسَمَاعِهِ

بِالْأَلَةِ وَبِعَيْرِ آلَةٍ وَيَكْفِي فِي رَدِّ ذَلِكَ تَصْرِيحُ عَائِشَةَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي

الْبَابِ بَعْدَهُ بِقَوْلِهَا وَلَيْسَتْا بِمُعْنِيَّتَيْنِ فَفَقَتْ عَنْهُمَا مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى مَا

أَثَبَتْ لَهُمَا بِاللَّفْظِ لِأَنَّ الْغِنَاءَ يُطْلَقُ عَلَى رَفْعِ الصَّوْتِ وَعَلَى التَّرْتُّمِ الَّذِي

تُسَمِّيهِ الْعَرَبُ النَّصْبَ بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الْمُهِمْلَةِ وَعَلَى الْحِدَاءِ وَلَا

يُسَمَّى فَاعِلُهُ مُغْنِيًّا وَإِنَّمَا يُسَمَّى بِذَلِكَ مَنْ يَنْشُدُ بِتَمْطِيطٍ وَتَكْسِيرٍ وَتَهْيِيجٍ

وَتَشْوِيقٍ بِمَا فِيهِ تَعْرِضُ بِالْفَوَاحِشِ أَوْ تَصْرِيحُ.

251 شرح السنة للبخاري - المجلد 4 - الصفحة 323 - جامع الكتب الإسلامية

قال القرطبي: قولها ليستا بمغنيتين، أي ليستا ممن يعرف الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك، وهذا منها تحرز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به، وهو الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن، وهذا النوع إذا كان في شعر فيه وصف محاسن النساء والخمر وغيرهما من الأمور المحرمة، لا يُختلف في تحريمه. " (فتح الباري، 2 / 442)

والواقع أن بعض علماء الحديث اعتبروا روايات عائشة (أم المؤمنين) في صحيح البخاري عن غناء البنات دليلاً وتوبيخاً ضد الموسيقى والغناء. فعلى سبيل المثال، يقول الشيخ عبد الحق محدث دهلوي:

"وقد استخدم بعض الناس حديث الجاريتين دليلاً على جواز الغناء ولكن حقيقة الأمر أن هذا الحديث ليس دليلاً على الغناء إلا في مناسبات معينة مثل العيد... الحد الأقصى الذي يمكن إثباته من هذا الحديث هو أنه في مناسبات معينة مثل العيد وما إلى ذلك قد يجوز

الغناء وإلا فهو محرم ، وهي تبقى آلة موسيقية للشيطان كما هو بديهي

من السنة." (252)

علينا أن نلاحظ هنا أن الغناء الذي أشار إلى حرمة الشيخ عبد الحق هو

الغناء المترافق مع آلات موسيقية أو الغناء الحاوي على أي شيء غير مشروع

في الإسلام.

بعض الناس يستخدم جزءاً من هذا الحديث عن العزف الحبشي في

مسجد النبي ﷺ دليلاً على إباحة الغناء. على أية حال، هم لا يشيرون أبداً إلى

أن البخاري ضمّن هذا الحديث في صحيحه تحت عنوان "باب الحراب والدرق

يوم العيد". أولئك العبيد الحبشيون كانوا يعزفون بالأسلحة، وليس بالآلات

الموسيقية، وهذا فرق كبير بينهما.

²⁵² شرح سفر السعادة طريق القويم في شرح الصراط المستقيم، عبدالحق

محدث دهلوى

الثقافة الشعبية باسم الإسلام

الحجة:

نستطيع استخدام موسيقا "إسلامية" لتعزيز قضية الإسلام النبيلة. الموسيقا الشعبية "الإسلامية" ("Islamic" pop music) يمكن أن تقدم أثراً جيداً في تعزيز رسالة الحب والسلام. والفنانون المسلمون يستخدمون موضوعات وأهدافاً سامية في أغانيهم لتحقيق غاية إيجابية.

الإجابة:

هذه الأيام، لدينا العديد من الفنانين المنشدين (nasheed artists) الذين يقومون بجولات في المؤتمرات الإسلامية، يغنون باسم الإسلام من أجل الترفيه عن الحضور. ربما يملك هؤلاء نوايا حسنة لتذكير المستمعين بالإسلام وجعله محط الانتباه، خاصة بالنسبة للشباب بتقديم بديل عن الموسيقا الشعبية.

يحزنني أن أقول أن بعض المنشدين المسلمين لرغبتهم في التنافس يستخدمون آلات موسيقية أو موسيقا منتجة رقمياً في أغانيهم "الإسلامية"، وأحياناً

تستخدم الأصوات البشرية لتقليد أصوات الآلات الموسيقية الأخرى. هكذا هم يبيحون ما منع الإسلام.

نمط جديد من الثقافة الشعبية ينشأ عند بعض المغنين، الذين أصبحوا في الواقع نجومًا شعبيين مسلمين. هؤلاء المغنون الإسلاميون لم يدركوا أنهم فقط يخدعون أنفسهم.

إيفون ريدلي (Yvonne Ridley) هي صحفية بريطانية وناشطة اشتهرت في أيلول عام 2001 يومَ أسرتها طالبان في أفغانستان خلال عملها لدى جريدة "التعبير اليومي" (Daily Express) اللندنية. كانت رهينةً محتجزةً لمدة أحد عشر يومًا وقالت إنها عوملت باحترام خلال أسرها. وقد وعدت أسريها بقراءة القرآن بعد إطلاق سراحها وفعلت ذلك لاحقًا. وقد أعلنت إسلامها في عام 2003. في مقالها الأخيرة المثيرة للتفكير كان لديها ما يلي لتقوله عن الثقافة الشعبية الناشئة حديثًا باسم الإسلام:

"رأى العلماء البارزون عبر التاريخ أن الموسيقى محرمة، ولا أذكر أي قرأت أي شيء عن الصحابة يهتف على صوت موسيقا، لا تفهموني خطأً، أنا مع أن يروح الناس عن أنفسهم، لكن بطريقة كريمة ومناسبة لمحيطهم". (253)

أكملت السيدة ريديلي تعليقا على إحدى الأحداث الغنائية الإسلامية التي أُقيمت في لندن:

"قلقي لأنه في الأيام القليلة الماضية في مكان ما وسط لندن ذهبت أخوات إلى بركة في الممرات حيث اجتاح مكان الحفل شكل من أشكال هوس موسيقا البوب، أنا لا أتكلم فقط عن الفتيات الصغيرات الساذجات اللواتي لا يعلمن ما هو الأفضل، أنا أتكلم عن أخوات في العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات من عمرهن، صرخوا وصاحوا وتمايلوا ورقصوا. حتى رجال الأمن الذين كانوا في حالة ذهول وارتباك عندما حاولوا منع الأخوات المحجبات من الوقوف على كراسيهن. بالطبع لم يساعد جمهور الفرقة على الإطلاق إذ لوحوا وشجعوا بشدة حشد النساء المسلمات على النهوض والغناء (يسمون "المثيرات" في دوائر الرقص الإباحي)... يبدو أن هذا النوع من الهستيريا موجود أيضاً في أمريكا، وإذا كان

²⁵³ إيفون ريديلي "الثقافة الشعبية باسم الإسلام" تعديل إبريل الماضي. Article ID: 1261

(<http://www.islamicawakening.com>)

يحدث على جانبي المحيط الأطلسي إذن فهو حتماً يزحف حول العالم ويسمم الجماهير. فرق الفتيان الإسلامية مثل 786 و مكة 2 مدينة هم أيضاً موضوع من نوع التملق الأنثوي الذي تتوقع أن تراه في "American Pop Idol" و-X" "Factor" بالتأكيد على الوقائع الإسلامية أن تعزز السلوك المحافظ." (254)

وللأسف يزعم العديد من هؤلاء الفنانين المسلمين أنهم يعززون القضية النبيلة لانتشار الإسلام باستخدام الموسيقى. على أية حال، فالإسلام لا يسمح لمعتنقيه أن يستخدموا وسيلة سلبية لتحقيق غاية إيجابية. لا يمكن أن تستخدم الموسيقى وسيلةً لتعزيز الفضيلة. وهذا يسقط زعم الفنانين المسلمين بأنهم ينشرون رسالة المحبة والسلام عبر موسيقاهم.

حقيقة المسألة هي أن محاولتنا لتعزيز المفاهيم المثالية شبيهة جداً بالمسيحيين الذين يستخدمون لغة العاطفة والمثالية للترويج لما لا يستطيعون الدفاع عنه باستخدام الحجج المنطقية المقنعة. نتيجة محاولة المسيحيين تغليف تناقضاتهم بالسكّر هي ابتعاد الناس عنهم. علينا ألا نتوقع نتائج مختلفة.

254 المرجع نفسه.

الجمهور المسلم فقد الثقة في ما يسمى "موسيقا من أجل السلام والحب" منذ أن أدركوا أنها لا تتعامل مع مشاكل الحياة الحقيقية. هي فقط تخدر إحساسهم بالألم تجاه المعاناة العالمية.

في الجو الحالي كيف للموسيقا أن تساهم في منع القوات الغربية من مهاجمة الأبرياء في الدول الإسلامية؟ كيف ستمنع الموسيقا إسرائيل من سفك دماء النساء والأطفال الأبرياء في لبنان وفلسطين؟ هل سبق ولاحظنا أن العنف يتحول بطريقة سحرية إلى سلام بسبب الموسيقا؟ فلنكن صادقين ولا نخدع أنفسنا باستخدام شعارات خيالية مثل "الموسيقا من أجل السلام والحب".

دعونا نسأل سؤالاً بسيطاً: هل هناك أي دليل على أن الموسيقا قد أنجزت أي هدف نبيل؟ الجواب على هذا السؤال هو "لا" ببساطة. في الواقع لم تفعل الموسيقا أي شيء لتعزيز السلام والحب على مدار التاريخ الإسلامي. هي فقط أفسدت الشباب المسلم عبر التاريخ الإسلامي.

يوضح البيان الشهير التالي للإمام الشافعي أن الموسيقا لا يمكن أن

تستخدم للموضوعات والأهداف الدينية:

"تركت بالعراق شيئاً يقال له (التغيير) ،أحدثه الزنادقة، ويصدُّون

الناس عن القرآن." (255)

التغيير هو ممارسة اخترعت في بغداد، حيث يجتمع الناس ويغني

المغنون قصائد تؤكد على أهمية الآخرة وتنفر من هذه الدنيا. الغناء كان مترافقاً

بآلات موسيقية وأحياناً بالرقص. الإمام الشافعي يعتبر ذلك من صنيع الزنادقة،

مع أن هؤلاء الناس قد استخدموا الموسيقى من أجل موضوعاتٍ وأغراضٍ دينية.

وفي هذا كتب محمد تقي العثماني في كتابه "إصلاح المجتمع الإسلامي":

"السؤال هو: إذا كان الناس في زمانٍ أو مكانٍ معين سينجذبون للإسلام

من خلال استخدام الموسيقى هل سيكون مسموحاً أن نغني لهم القرآن

مصحوباً باستخدام الغيتار والبيانو لمصلحة "الدعوة إلى الإسلام"؟

إذا كان الناس في منطقة معينة سيقبلون الإسلام عندما يرون صورة للنبي

محمد ﷺ فهل سيوافق المسلمون (معاذ الله) على طباعة صورة تخيلية

²⁵⁵ روى ذلك الخلال في الأمر بالمرعوف والنهي عن المنكر 36، وأبو نعيم في الحلية 9/ 146، وابن

الجوزي (244-249) وقال الألباني إسناده صحيح، وكذلك ابن القيم في الإغاثة (1/ 229).

للنبي؟ إذا كان بعض الناس سيقبلون الإسلام إذا أعجبوا برقص وغناء النساء المسلمات فهل علينا حينها أن نرسل مجموعة من الراقصات إلى هؤلاء الناس بهدف الدعوة إلى الإسلام؟ أي نوع من التفكير هذا؟ عندما تصبح أفعال الشر سائدة ومتفشية في العالم لا يجعلها الناس حلاً فحسب، بل هم أيضاً يبدؤون باعتبارها ضرورية للوعظ والتقدم في الإسلام ... في زمن النبي محمد ﷺ وزمن صحابته كان غير المسلمين في العالم مولعين بوسائل الترفيه الموسيقية وغيرها. فقد كان من الممكن جداً ابتكار وسيلة ترفيهية من أجل إيصال رسالة الإسلام إليهم، لكن الصحابة لم يحاولوا تسلية الناس بالدراما والمسرحيات، وبدلاً من ذلك، غزت قلوب الناس من خلال تقديم طابعهم النموذجي. ونتيجة لذلك، لُوِّح الصحابة بعلم التوحيد في كل بقاع الأرض.⁽²⁵⁶⁾

²⁵⁶ القاضي محمد تقي عثمانى، إصلاح المجتمع الإسلامي (باللغة الأردنية) (كراتشي:

مكتبة دار العلوم، 1998).

الصوفية والموسيقا

الحجة: اعتبر معظم علماء الصوفية الاستماع إلى الموسيقا الدينية والغناء

حلالاً، فهل يمكننا الاستماع إلى الموسيقا؟

الرد: هذا ليس صحيحاً. في الواقع، اتخذ الآباء المؤسسون للروحانية

الإسلامية والتصوف موقفاً لا هوادة فيه ضد الموسيقا كونهم خبراء في علم تزكية

القلوب، أدرك علماء الصوفية الأوائل تماماً التأثير المفسد للموسيقا على الروح

البشرية. اعتبرت أقلية صغيرة فقط من بعض الصوفيين المتأخرين الغناء

الإسلامي - دون استخدام الآلات الموسيقية أمراً مسموحاً به، ولكن بشروط

صارمة مرتبطة به. ومع ذلك، فهؤلاء ليسوا سوى أقلية ضئيلة من مجموع

الصوفيين الفعليين. قد نجد الكثير من الصوفيين الزائفين المعاصرين الذين

يعتبرون الموسيقا والغناء مباحين، ولكن فيما يتعلق بعلماء الصوفية وروادهم،

فإنهم يعتبرون الموسيقا حراماً. ورد في الفصل السابق من هذا الكتاب أحكام

علماء المسلمين أمثال حسن البصري وحاترث بن أسد المحاسبي والشيخ

الجنيد البغدادي والشيخ شهاب الدين السهروردي والشيخ أحمد السرهندي فاروقي. يجب أن يكون واضحاً للقارئ أن هؤلاء العلماء اتخذوا موقفاً ضد الموسيقى. ونأمل أن يتضح للقارئ بعد قراءة هذه الأحكام القاطعة من علماء المسلمين أن علماء الصوفية الحقيقيين، الذين كانوا أيضاً خبراء في علم الحديث، اعتبروا أن الموسيقى دائماً محرمة. وما نراه مع الصوفيين المعاصرين من الإنشاد بالآلات الموسيقية والرقص في النشوة، مخالف تماماً للإسلام، ولا أساس لها في ديننا.

الموسيقا والعبادة الإسلامية

الحجة

يمكن استخدام الموسيقا والغناء للتعبير عن حبنا لله، والاستماع إلى الموسيقا الدينية يمكن أن يرفعنا إلى محطات روحية أعلى. ولهذا كان بعض الصوفيين يعتبرون الموسيقا مباحة.

الرد

في الهندوسية والمسيحية والسيخية والأديان الأخرى دخلت الموسيقى في العبادات، لكن لم تدخل في العبادة الإسلامية أبداً. رداً على هذه الحجة، وسيكون من الأنسب الاستشهاد بواحد من أعظم علماء الروحانيات الإسلامية لشرح منزلة الموسيقى في الإسلام.

انتقد الشيخ أحمد السرهندي، في رسالة إلى أحد طلابه، بعض الصوفيين الزائفين الذين كانوا يدمنون الموسيقى والغناء الديني:

"واحسرتاه! في هذه المجموعة من الصوفيين، هناك الكثير ممن يحاولون إيجاد حل لقلقهم في الاستماع إلى الموسيقى الدينية والغناء، ويحاولون العثور على حبيبهم [الله] في أغاني الطرب. لهذا الغرض، جعلوا الموسيقى والرقص طريقتهم مع أنهم استمعوا إلى حديث النبي محمد ﷺ: "إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم." [رواه أم سلمة في الطبراني بإسناد صحيح]... لو كان لديهم أدنى معرفة بحقيقة الصلاة لما انجذبوا إلى الموسيقى والغناء الديني. عندما لم يجدوا طريق الحق، سلكوا طريق الباطل. يا أخي العزيز! تماماً مثل الاختلاف الموجود بين

الصلاة والغناء، يوجد فرق مماثل بين التميز والكمال الذي تحققه الصلاة مقارنة

بالحالات التي يسببها الاستماع إلى الغناء. التلميح يكفي لشخص حكيم." (257)

يقول بعض الناس أنهم يريدون عزف الموسيقى للتعبير عن محبتهم لله.

هل هذه هي الطريقة الوحيدة للتعبير عن حبنا؟ والسؤال الذي يجب طرحه هو:

ما إذا كان أصحاب النبي محمد ﷺ قد عبّروا عن حبهم من خلال عزف

الموسيقا. الجواب لا. كان الصحابة رضي الله عنهم يتلون القرآن، ويتكلمون بذكر الله،

ويقاتلون في سبيل الله، ويتصدقون ويصومون التطوع، ويطعمون الفقراء

والمحتاجين، ويتضرعون في صلاة الليل تعبيراً عن حبهم لله. ولو كان هناك

سبيل أفضل لإرضاء الله لفعله الصحابة.

في الواقع، عرف صحابة النبي صلى الله عليه وسلم التأثير المفسد للموسيقا على العبادة

ولذلك ابتعدوا عنها. أوضح الدكتور محمد إقبال الشاعر الإسلامي في

²⁵⁷ الشيخ أحمد فاروقي السرهندي، ترجمه سيد زوار حسين شاه من الفارسية إلى

الأردية. رسائل مجدد لألف الثانية. كراتشي، إدارة مجددية. رسالة 261

محاضراته الشهيرة أن الروحانية الإسلامية الحقيقية لا تسمح بالموسيقا، وذلك

لمنع فساد التجربة الصوفية مع الموسيقا. (258)

جمع التبرعات في التجمعات الإسلامية من خلال الترفيه

الموسيقا

الحجة

يمكن استخدام الموسيقا "الإسلامية" للترويج لقضية الإسلام النبيلة. يمكن

استخدام الجلسات الترفيهية التي تحتوي على الموسيقا والغناء لجذب

المراهقين والبالغين المسلمين إلى التجمعات والمؤتمرات الإسلامية من أجل

جمع الأموال للمشاريع الإسلامية.

الرد

²⁵⁸ Iqbal, Sir Mohammad (1994). The Reconstruction of Religious Thought in Islam. New Delhi, Kitaab Bhavan.

في الوقت الحاضر، تُعقد التجمعات والمؤتمرات الإسلامية دائماً، ويصاحبها أحياناً ترفيهاً موسيقياً. ينجذب كثير من الناس إلى هذه التجمعات بسبب عامل الترفيه مع أن بعض المسلمين الذين يخشون الله سبحانه وتعالى يذهبون إلى هناك لطلب العلم الإسلامي، وعلماء المسلمين البارزين مدعوون لنشر المعرفة الملتزمة بالإسلام. وفقاً للحديث النبوي الذي سبق ذكره:

إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظّ وافر. (أبو داؤد) (259)

يجب أن نتذكر أنه يجب احترام ورثة الأنبياء، ويجب عدم تلوّث الأعراف الإسلامية بوجود المطربين والكوميديين على المسرح. في القرآن أخبر الله سبحانه تعالى نبيه ﷺ وأتباعه بعبارات واضحة للابتعاد عن أولئك الذين يقدمون الترفيه في الدين، وتذكير الناس بالقرآن كما في التجمعات والمؤتمرات

²⁵⁹ سنن أبي داؤد. كتاب العلم. المجلد. 3، ص. 115. رواه أيضاً في سنن ابن ماجه ومسنده أحمد وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داؤد رقم. 3096.

الإسلامية: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

وَذَكَرَ بِهِ...﴾ (سورة الانعام الاية: 70)

يخبرنا القرآن والسنة أن النبيين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام علموا الناس في الجزيرة العربية كيفية الصلاة وكيفية أداء مناسك الحج. على مدى القرون التالية شهدت المنطقة تماماً الدين الذي جاء به النبي إبراهيم، ثم أدخلوا عليه وسائل الترفيه، وبعد بضعة آلاف من السنين عندما أرسل النبي محمد ﷺ نبياً في تلك المنطقة كانت قد تحولت طقوس الحج إلى مهرجان تجاري. وحل محل الطواف بالكعبة طواف رجال ونساء عراة يصفقون. ويصرخون ويرقصون أثناء الطواف ببيت الله سبحانه وتعالى كما جاء في القرآن: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا

كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (سورة الانفال 35)

ومن هنا استبدلت العبادات بأفعال التسلية. إذا قرأنا عن حياة النبي

محمد ﷺ، سنلاحظ أنه استمتع بوقته مع أهله. في اتباع السنة النبوية، حيث يتم

تشجيع المسلمين على المشاركة في الترفيه مع عائلاتهم. و يتم تشجيعهم على تناول وجباتهم مع العائلة واللعب مع أطفالهم والتنزه مع الأقارب كوسائل ترفيه إسلامية.

من قضايا هذا العصر أن المسلمين لا يقضون الكثير من الوقت مع عائلاتهم. وعندما يكونون في المنزل يمنحون وقتهم للتلفاز الكبلي أو الفضائي؛ إذا كان هناك وقت متبقٍ، فإنهم يقضونه على الإنترنت. إن عالم الواقع الافتراضي أكثر إثارة لهم من قضاء الوقت مع أزواجهم وأطفالهم. حيث يعتقدون أن الترفيه يكمن خارج منازلهم، لكن في الواقع، الترفيه الحقيقي يكمن في عائلاتهم.

يجب أن نتذكر أن الأعراف الإسلامية ليست مراكز ترفيهية فليس لدينا مطربين "إسلاميين" على خشبة المسرح، مسلية لجمهورهم وفي الخارج في الممرات، مع الفتيان والفتيات المسلمات في تجمعات مختلطة يضحكون ويتحدثون، غير مدركين تماماً عن الحياء والعفة في الإسلام. يجب على المسلمين أن يكونوا ذوي هيبة ووقار و قدوة ومثاليين للآخرين وألا يُظهروا أي عبث.

يحتل الإسلام منزلة فريدة بين الديانات الأخرى، في العالم كلها فإن
الإسلام لا يسمح بالمداهنة مع أساليب وعادات العلمانيين والحدائين. حذر
الله سبحانه وتعالى النبي محمد ﷺ المؤمنين الحقيقيين جميعهم فقال في كتابه
العظيم: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيَدَّهِنُونَ﴾ (سورة القلم: 9)

لقد حرم الإسلام بوضوح استخدام الأساليب غير الإسلامية في الدعوة إلى
الإسلام كما قال الله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ (سورة البقرة: 256)

الترفيه المباح في الإسلام

الحجة

نحتاج إلى بعض الترفيه في حياتنا، لذلك نستمع إلى الموسيقى لأنها أكثر وسائل
الترفيه شيوعاً.

الملاذ الأخير الذي يلجأ إليه المسلمون أثناء الدفاع عن الاستمتاع بالموسيقا هو القول: "الاستماع إلى الموسيقا هو مجرد ترفيه، ونحن بحاجة إلى الترفيه في حياتنا". صحيح أننا جميعاً بحاجة إلى الترفيه في حياتنا، ولكن حقيقة الأمر هو أن الاستماع إلى الموسيقا ليس مجرد ترفيه. كما هو موضح في الفصول السابقة، هناك الكثير من الفساد والقذارة التي تأتي مع هذا الترفيه. يشبه حالة الكحول أو القمار (مثل اليانصيب)؛ إنها أيضاً أشكال من الترفيه، ولكن هناك العديد من الأضرار التي تصاحبها. كما أن ضررها أكبر من نفعها (كما جاء في القرآن)، فإن الكحول والقمار محرمة في الإسلام. يجب أن نضع في اعتبارنا أيضاً أن الموسيقا ليست الشكل الوحيد للترفيه المحظور في الإسلام. القمار، وتعاطي المخدرات، وقراءة الأدب المبتذل، واستخدام الحيوانات (الماشية أو الدجاج، على سبيل المثال) كأهداف في الرماية، والرياضات القاسية مثل مصارعة الديوك أو قتال الكلاب كلها أشكال من الترفيه. ومع ذلك، فإن وسائل الترفيه هذه محظورة كلها وفقاً للتعاليم الإسلامية.

الإسلام دين كامل وشامل يعالج جوانب حياتنا كلها، وهذا يشمل حاجتنا إلى التسلية والترويح عن النفس. إنه يوفر لنا وسائل مشروعنة لتلبية احتياجاتنا. يروي الإمام البخاري في الأدب المفرد أن أصحاب الرسول ﷺ كانوا يلقون بالبطيخ فيما بينهم، لكنهم في الجدية أثبتوا أنهم رجال حقيقيين.

نرى في السنة النبوية الشريفة أن الصحابة ﷺ شاركوا في أشكال مختلفة من التسلية واللعب الشرعي. كانوا يمارسون رياضات مثل المشي على الأقدام وسباق الخيل والمصارعة والرماية. أمضوا الوقت في المحادثة الخفيفة. حيث كانت أوقات التسلية مباحة بشرط أن توفر للمشاركة الاسترخاء أو ممارسة الرياضة، وفي نفس الوقت لا تمس بقوانين الإسلام من حيث الملبس، واختلاط الرجال والنساء، والموسيقا، والمقامرة، والمراهنة أو أي شيء آخر.

ومن ثم، فإن الإسلام ليس ضد أشكال الترفيه المشروعنة. ولكنه ليس مع الاستماع إلى الموسيقا والغناء مع الموسيقا لأنه ليس من الترفيه المقبول:

أمثلة للترفيه المسموح به وغير المسموح به	
غير مسموح	مسموح
الاستماع إلى الموسيقى أو الغناء المصحوب بالموسيقا	المشاركة في رياضات مثل المشي وسباق الخيول و المصارعة والسباحة والرماية
شرب الكحول	قضاء الوقت في محادثة خفيفة مع أفراد الأسرة والأصدقاء...
الرقص مع الموسيقى أو رقص مختلط بين الجنسين	الاستماع إلى الشعر الإسلامي دون أي آلات موسيقية في بيئات منفصلة بين الجنسين
لعب الشطرنج	اللعب مع زوجتك وأطفالك
القراءة أو المشاهدة أو الاستماع إلى المواد المبتذلة	الاستماع إلى تلاوة قرآنية جميلة لقراء مختلفين
الرياضات القاسية التي تمارس على الحيوانات مثل مصارعة الثيران والديوك وما شابه ذلك	الذهاب في نزهات مع العائلة أو الأصدقاء والاستمتاع بجمال الطبيعة.
القمار	المشي لمسافات طويلة والإبحار

ملاحظة: سباق الخيل المسموح به لا يتضمن قماراً، ولا اختلاطاً بين الجنسين، ولا كحولاً ولا أنشطة محرمة أخرى.

أمثلة على التجمعات الإسلامية بدون أي ترفيه موسيقي

الحجة

من الصعب جداً إقامة التجمعات الإسلامية دون استخدام أي ترفيه موسيقي. كيف يمكننا جذب الشباب المسلم إلى الأعراف الإسلامية دون أن يكون هناك ترفيه موسيقي؟ الحقيقة هي أن الموسيقى قوة قوية، ونخشى أن التجمعات الإسلامية قد لا تكون فعالة للغاية إذا لم نستخدم الموسيقى "الإسلامية".

الرد:

من الممكن تماماً عقد اجتماعات إسلامية دون استخدام الموسيقى. في الواقع، أثبتت التجمعات الإسلامية الخالية من مثل هذا الترفيه أنها فعالة للغاية ومؤثرة على حياة الحاضرين. وفيما يلي بعض الأمثلة على التجمعات الإسلامية دون أي ترفيه موسيقي:

1. الحج والعمرة (الحج الصغير): في كل عام، يسافر ملايين المسلمين إلى مكة

المكرمة لأداء المناسك المقدسة من الحج والعمرة، و إلى المدينة المنورة

لزيارة المسجد النبوي. حيث يقوم الحجاج جميعهم بزيارة الكعبة المشرفة

ويقومون بشعائر معينة. كما يجتمعون أثناء الحج في وادي عرفة الكبير من الظهر

حتى غروب الشمس للصلاة وتمجيد الله سبحانه وتعالى والاستغفار. ومع كل

مصاعب السفر والاحتفاظ بدرجات الحرارة المرتفعة، فإن تجارب الحج

والعمرة مؤثرة للغاية وتنشط روحياً لدرجة أن معظم المسلمين يعودون إلى

بلادهم قد مروا بتحول روحي كبير. كثير من المسلمين يتوبون بصدق عن

خطاياهم، ولا ينوون ارتكاب تلك الذنوب مرة أخرى ويتعهدون بذلك

ويتمسكوا بصلواتهم الخمس والالتزامات الدينية الأخرى.

2. العمرة في رمضان: أكثر من مليون مسلم ينطلق للعمرة في شهر رمضان

ويجتمعون في مكة المكرمة لحضور صلاة قيام الليل في العشر الأواخر من

رمضان، وخاصة في ليلة السابع والعشرين من رمضان. لكن في تلك التجمعات

الإسلامية المباركة، لا توجد "جلسات ترفيهية". المسلمون لا يجتمعون في هذه

الأوقات للترفيه عن أنفسهم. بل هم يحضرون هذه الاجتماعات بجدية وتواضع.

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أنه قبل بضعة عقود مضت، كان معظم المسلمين الذين يؤدون فريضة الحج أو العمرة من كبار السن الذين يرغبون في أداء هذه الواجبات قبل وفاتهم. ومع ذلك، فإن الوضع اختلف تماماً الآن. في الوقت الحاضر، نسبة كبيرة من الحجاج والمعتمرين هم من الشباب والشابات في الثلاثينيات من العمر، ومع أن سن الشباب هو الوقت الذي يقال أن الناس هم بأمس الحاجة الى الترفيه. يحضّر هؤلاء الرجال والنساء المسلمون هذه التجمعات الإسلامية بأناقة في لباسهم ومظهرهم وإخلاص في عبادتهم. وبالتالي، فإنهم يحصدون ثمار هذه الجماعات على شكل قوة روحية جديدة وحيوية.

3. صلاة الجمعة في يوم الجمعة: هو المثال الثالث عن الاجتماعات الإسلامية

وهو اجتماع أسبوعي للمسلمين لصلاة الجمعة، والذي تسبقه خطبة يؤديها الإمام، فالخطبة هي على غرار خطاب يُلقى في أي مؤتمر إسلامي. هذا الحدث

الذي يعقد كل أسبوع في كل مسجد كبير على وجه هذه الأرض، لا يقل عن مؤتمر أو اتفاقية إسلامية. ومع ذلك، هناك شيء واحد يغيب عنها، وهو عدم حدوث أي جلسة ترفيهية. ومع عدم وجود أي ترفيه في هذه المحافل الأسبوعية، فإن المسلمين - صغاراً وكباراً، ملتزمون وغير ملتزمين يخشعون في صلاتهم. لا تحتوي صلاة الجمعة على وسائل ترفيه موسيقية مثل تلك الموجودة في العديد من تجمعات الكنائس الأسبوعية، ومع ذلك فإن المسلمين (بما في ذلك العديد من الذين لا يؤدون الصلوات الخمس اليومية بانتظام) يحاولون ألا تفوتهم هذه الصلاة المعززة للإيمان.

منهج الإسلام - قضم الشر في مهده

الإسلام دين متوافق تماماً مع الطبيعة البشرية. النهج الإسلامي في التعامل مع الرذيلة والفساد في المجتمع هو القضاء على الشر في مهده. على سبيل المثال، كانت كلمة "أب" تعتبر أحد أسماء الله سبحانه وتعالى في جميع الأديان البدائية تقريباً، وكذلك في المسيحية واليهودية. ومع ذلك، فقد نسخ

النبي محمد ﷺ هذا الاسم الى الله سبحانه وتعالى لندعوه في صلواتنا والسبب واضح أن: الشرك والتجسيم يتسللان إلى عقيدة المسيحية من خلال هذا الباب، وقد جعل اللاهوتيون المسيحيون النبي عيسى ابن الله.

كان نفس الحال مع القمار. كانت الديانات الأخرى متساهلة فيما يتعلق بالمقامرة، واليوم تتم المقامرة حتى داخل الكنائس، تحت اسم "البنغو" (bingo)، لم تكن الموسيقى مختلفة. باستثناء الإسلام، فإن الموسيقى دخلت ديانات العالم كلها تقريباً في بدايتها. في البداية، بدت الترانيم بريئة جداً لأنهم يرتدون ثياب الدين المقدسة. اليوم، عندما خلعت الموسيقى الدينية المزخرفة معطفها، ظهر وحش موسيقا الروك. في المسيحية المبكرة، كانت الموسيقى ممنوعة تماماً، كما هو مذكور في الكتاب المقدس: "أبعد عني ضجيج أغانيك. لأنني لن أسمع لحن عزوفك." (Amos 5:23, King James Version) (اموس 5:2، نسخة الملك جيمس).

[كانت الموسيقى الكمان منحنية وهي عبارة عن آلات وترية مستخدمة خلال السادس عشر حتى الثامن عشر؛ هم مختلفون عن الكمان (محرر)]

أيضاً مذكور في الكتاب المقدس:

وَيْلٌ لِلْقَائِمِينَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ لِيَتَّبِعُوا الْمُسْكِرَ. التي تستمر حتى الليل حتى

يلهبهم الخمر والقيثارة والعود والطبلة. والنايل والخمر في أعيادهم، لكنهم لا

يهتمون بعمل الرب ولا يفكرون في عمل يديه. (Isiah 5:11-12, King James

Version) (إشعيا 5: 11-12، نسخة الملك جيمس)

في المسيحية المبكرة، كان الغناء مع الآلات الموسيقية ممنوعاً تماماً.

الشيء الوحيد المسموح به هو الغناء بالأصوات فقط، بدون أي آلات موسيقية.

ومع ذلك، مع مرور الوقت وتنامي علمنة المجتمعات المسيحية، تسلت

الموسيقا إلى الكنائس.

كتب المفكر البيوريتاني جون ل. جيراردو (John L. Girardeau) عن

إدخال الموسيقا إلى المسيحية:

"علاوة على ذلك، فإنه يستحق دراسة جادة أنه مع الانجراف المتسارع نحو الفساد

في العبادة وكذلك في العقيدة والحكومة، فإن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لم تتبنَّ

هذه الممارسة الفاسدة حتى منتصف القرن الثالث عشر تقريباً." (260)

كان ذلك هو الوقت الذي أعلن فيه مارتن لوثر (Martin Luther)، مثله

مثل المصلحين المسيحيين الآخرين، أن الموسيقى الآلية مسموح بها وحث

أتباعه على استخدامها في خدمة الله:

"أود أن أرى الفنون كلها وخاصة الموسيقى، استخدمت في خدمة من أعطاها

وصنعها." (261)

للأسف، اليوم أصبحت الموسيقى جزءاً مهماً من العبادة في العديد من الكنائس.

²⁶⁰ Girardeau, John L. (1888) Instrumental Music in the Public Worship of the Church, Richmond, VA. Whittet & Shepp. pg. 158-159, quoted in: Baig, Khalid (2008). Slippery Stone: an inquiry into Islam's stance on music. Garden Grove (California), Open Mind Press.

²⁶¹ Luther, Martin (1965) Luther's Works, preface to the Wittenberg Hymnal (1524), 53:316, quoted in: Baig, Khalid (2008). Slippery Stone: an inquiry into Islam's stance on music. Garden Grove (California), Open Mind Press.

إذا كانت هناك فوائد بسيطة في الموسيقى، فإن أضرارها تكون أكثر بكثير

من فوائدها. وحكم القرآن في مثل هذه الأمور واضح، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ

مِنْ نَفْعِهِمَا... ﴿ (سورة البقرة: 219)

يمكن تطبيق نفس الإجراء على أنواع الإدمان كلها بما في ذلك

المخدرات والكحول والمقامرة والموسيقا والتلفاز وإضاعة الوقت في تصفح

الويب والدردشة عبر الإنترنت والكلام الفارغ. ويمكن أيضاً رؤية النهج

الإسلامي (المتمثل في قضم الشر من مهده) في وصايا القرآن بعدم الاقتراب من

الزنا أو حتى الوسائل والطرق المؤدية إليها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ

كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ (سورة الإسراء: 32)

أمرنا الله تعالى أن لا نقرب أي شكلٍ من أشكال العمل الفاضح، سواء كان ذلك

علانية أو سراً:

﴿...وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ...﴾ (سورة الأنعام: 151)

الكتاب المعتدلون في الإسلام لا يدركون ما هي النتيجة النهائية في حال
بدأنا بجعل الأشياء المحرمة مباحة في الإسلام. يمكننا أن نرى الثمار المرة لهذه
الإضافات أو الحذف في الأوامر الإلهية في الأديان الأخرى. جعلت المسيحية
الموسيقا والمقامرة من أجل إظهار تنويرهم؛ اليوم الموسيقا والغناء والرقص
تتم داخل الكنائس باسم الدين. نفس النوع من الرقص يتم باسم الدين في المعابد
الهندوسية.

قد يكون من المفيد للقراء ملاحظة أن بعضاً من أعظم الموسيقيين
دخلوا في مجال الموسيقا من خلال طريق الموسيقا الدينية. كانت المطربة
الموسيقية المصرية أم كلثوم تغني الأغاني الدينية مع والدها عندما كانت طفلة.
فيما بعد أصبحت ملكة الموسيقا العربية. وبشكلٍ مشابه، جاءت بداية إلفيس
بريسلي (Elvis Presley) المبكرة للموسيقا من غناء الإنجيل في الكنيسة
والمدرسة؛ في وقت لاحق، ظهر ملك موسيقا الروك أند رول والبوب.

يعلم الإسلام أنه كلما زاد تعرض الناس للشُرور في المجتمع، أصبحوا أقل حساسية تجاهها. وهكذا، إذا تعرض الأطفال للأغاني الفاسقة والموسيقا الموحية والرقصات المثيرة في طفولتهم، فإن نظرتهم للعالم وللأخلاق الجنسية ستُلطخ. سيتم تدمير استقامتهم الأخلاقية منذ طفولتهم. فالميل الطبيعي (الفطرة) الذي ولدوا عليه، والذي غرسه الله تعالى، سيتشوه. سيفقدون القدرة على التمييز بين الحياء والفساد والأخلاق والفسق والعفة والاختلاط. كَتَبَ ابن القيم في كِتَابِهِ "إعلام الموقعين عن رب العالمين" في منهج الإسلام. هو يرى أنّ بعضهم يعتبر استخدام الدف غير مُحبذ... حتى عند الزواج. وذلك يستند إلى حكم الشريعة الإسلامية المعروف باسم "سُدُّ باب الذرائع"، مما يعني أن بعض الأفعال المباحة محرمة لأنها قد تؤدي إلى باب خفي لإدخال الأعمال المحظورة في المجتمع. وهي مشابهة لفكرة أن تبادل الهدايا بين الناس عمل من أفعال السنة، ولكن يحرم تقديم الهدايا لمسؤول حكومي أو لمن أقرضنا؛ لأن هذا يمهد للرشوة والفوائد الربوية). مما يخلق الفساد في المجتمع. وبالمثل، فإن التحديق في وجه المرأة (التي ليست زوجة الإنسان) ممنوع عن عمد لأنه بهذه

الطريقة تتغذى جرائم الزنا في المجتمع، حتى لو كان هناك من يجادل في أنه

بالنظر إلى الوجوه الجميلة للإناث، بحجة أننا فقط نستمتع بفن الله. (262)

وكذلك قال الإمام ابن تيمية في موازنة أضرار الموسيقى وفوائدها

والموسيقى الدينية والغناء المعلن. كتب الإمام ابن تيمية أضرار الموسيقى أكبر

بكثير من فوائدها، وهي تشبه حالة الخمر والقمار وفيها بعض الفوائد للناس

ولكن أضرار الكحول والقمار هي أكثر بكثير. ولهذا السبب فإن قوانين الشريعة

الإسلامية لم تسمح به. (263)

في الختام، الإسلام حرم الموسيقى وغناءها فهي تقود الإنسان إلى

ارتكاب المعاصي. ومن هنا يتخذ الإسلام إجراءات وقائية بدلاً من تحمل

العواقب. وكشف ابن القيم أن هذا مبني على الفقه الإسلامي في منع المنكر قبل

أن يتجسد. القاعدة الإسلامية، تعطى الأولوية لمنع الضرر حتى تتحقق لدينا

الفوائد المحتملة بناء على هذا.

²⁶² إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين

ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد 2.

²⁶³ شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى (الرياض، مطبعة الرياض 1381هـ)

الموسيقا تخلق الغفلة وتترك ثقباً في روح المرء

الموسيقا بطبيعتها تخلق الغفلة عن ذكر الله سبحانه وتعالى. ولهذا عُرِفَت الآلات الموسيقية في اللغة العربية بالملاهي، أي الآلات التي تمنع ذكر الله سبحانه وتعالى. الموسيقا ليست غذاءً للروح. على العكس من ذلك، فإنها تخلق فجوة في روح المرء. إنه يغمر أذهان المستمع ويأخذه إلى حالة الوهم، بعيداً عن ذكر الله سبحانه وتعالى - مما يجعل المستمع غافلاً عن الغرض من خلقه على هذه الأرض. يقول الله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿٢٢٧﴾ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٨﴾﴾ (سورة الشعراء: 224-227)

من الواضح أن التنعيم والموسيقا مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالشعر، فهما جزءان لا ينفصلان. وقد أوضح الله سبحانه تعالى أن: الذين يتبعون الشعراء هم الأشخاص الذين ضلوا طريقهم. الاستثناء الوحيد الذي قدمه الله سبحانه وتعالى في القرآن هم الشعراء الذين يذكرون الله سبحانه وتعالى كثيراً، ونعلم أن عدداً قليلاً جداً من الشعراء في تاريخ الإسلام يندرجون تحت هذه الفئة. طبعاً لا يوجد اعتراضات قانونية تنص على ممارسة المسلمين فن الشعر من أجل الدفاع عن الإسلام وقيمه.

الشعر المصحوب بآلات موسيقية يأخذ مستمعيه إلى حالة من الغفلة الوهمية ويدعوهم إلى ثقافة المداهنة والليبرالية. حيث أن هناك ارتباطاً واضحاً بين الموسيقى والسلوك، و من ثم الذنب بامتداده وأشكاله، كما يظهر في هذا الكتاب بالأدلة العلمية. بالإضافة إلى ذلك، فإن معظم الأغاني الرقيقة والرومانسية لها كلمات تتأخم الشرك، حيث يتم وضع الشخص الذي هو موضوع الرغبة أو الحب مثلاً أو فوق الله سبحانه وتعالى، وجعل الشخص الذي

يقع في الحب دائماً يفكر في المحبوب فيبتعد عن الله سبحانه وتعالى وذكره.

وهذا يأخذ قلب الإنسان إلى حالة من النفاق.

هناك نوعان من الذاكرة: الذاكرة قصيرة الأمد و الأخرى طويلة الأمد،

والذاكرة قصيرة الأمد مدتها أقصر من الذاكرة طويلة الأمد. إن تحويل الذاكرة

قصيرة الأمد للذاكرة طويلة الأمد (عملية تعرف بالتنسيق) والتي تتطلب إعادة

الاستماع. وهذا يشمل، من بين أمور أخرى، التكرار والقافية والارتباط العاطفي

بالحدث أو الرسالة. (264) إذا نظرنا إلى الأغاني، نجد أن كل هذه العوامل متوفرة

لجعلها جزءاً من الذاكرة طويلة الأمد للإنسان. هناك تكرار في كلمات الأغاني،

وهناك أيضاً القافية. بالإضافة إلى ذلك، تثير الموسيقى المشاعر لدى مستمعيها.

وبالتالي، تصبح الموسيقى والأغاني جزءاً من الذاكرة طويلة الأمد للشخص الذي

ينغمس في الموسيقى. عندما تغمر ذاكرة الإنسان بالموسيقى وكلمات الأغاني،

يصعب عليه التفكير في القرآن ورسالته. ويصعب على مثل هذا الشخص أن

²⁶⁴ Neath I, Surprenant A. Human memory. 2nd ed. Belmont, CA: Wadsworth; 2003.

يذكر الله سبحانه وتعالى كما ورد في القرآن: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ

ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: 41)

أشار الدكتور فيليبس⁽²⁶⁵⁾ (Dr. Bilal Philips) في أحد خطابه العامة

إلى أنه عندما اعتنق الإسلام عام 1971، علم بمنع الموسيقى، فتوقف عن

الاستماع لمجموعته الموسيقية. عندما اعتاد دعوة أصدقائه غير المسلمين إلى

منزله لإخبارهم عن الإسلام، شعر بأنهم يشعرون بعدم الارتياح لإجراء

مناقشات بدون وجود موسيقا في الخلف. وجدوا شيئاً ما خاطئاً:

"في الواقع، هذه هي خدعة المجتمع الغربي. سواء كنت في العمل، أو

تسوق في متجر متعدد الأقسام أو تستخدم دورة مياه، هناك موسيقا

خلفية. إنه يضمن لك الانغماس في الملذات الدنيوية والرغبات المادية

²⁶⁵ الدكتور بلال فيليبس (Dr. Bilal Philips) من الغرب الذي اعتنق الإسلام وعالم إسلامي

بحيث تبعد عن ذكر الله سبحانه وتعالى . إنه يضمن أنه ليس لديك وقت

للتفكير في الغرض من خلقك. "(266)

ومن ناحية أخرى، فإن الله سبحانه وتعالى يجعلنا نفكر من خلال

مخاطبتنا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (سورة

التكوير: 25، 26)

هذا البحث الذي طرحه القرآن يجعلنا نتذكر أن الغرض من خلقنا

وموتنا وحياتنا بعد الموت يختلف عن الغرض الموضح في كلمات الشيطان،

أي الموسيقى. القرآن كلام الله والموسيقا هي كلام الشيطان. الموسيقى هي وهم

من هذا العالم، والتي تشل عقل المرء ولا تسمح له أو لها بالتفكير في السؤال

الأساسي، "فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟".

²⁶⁶ Philips, Dr. Bilal (n.d.). "Silence" (audio speech), Saudi Arabia.

تؤثر الموسيقى في النفس الشهوانية في البشر و ليس في

أرواحهم الملائكية

الآن دعنا نجري فحصاً فلسفياً لفكرة أن الموسيقى هي غذاء للروح

البشرية. أول شيء، نحن نعرف أن البشر هي كائنات مصنوعة من شيئين: التراب

والروح. وقد ورد في مواضع مختلفة من القرآن أن أجسادنا مصنوعة من تراب

هذه الأرض قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ

تَنْتَشِرُونَ﴾ (سورة الروم: 20)

و أيضا قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُرُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُرُ

سَلْجِدِينَ﴾ (سورة ص: 73)

هذه النفس الموجودة خاصة بالبشر فقط ولا يشاركونها مع الكائنات

الحية الأخرى على هذا الكوكب. يشير الله سبحانه وتعالى إلى الطبيعة

المزدوجة للإنسان عندما يصف خلق آدم عليه السلام: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا

مَنْعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ أَتَّكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾

(سورة ص: 75)

إن جسد الإنسان مكون من مقومات الدنيا، لكن الروح ينفخها ملاك في الجسد. يتكون الإنسان من جسد ونفس؛ هو أو هي في نفس الوقت كائن مادي وروح. يمتلك جسم الإنسان رغبات مشابهة لرغبات الحيوانات (مثل الجوع والعطش والجنس)، بينما تسعى النفس البشرية إلى تحقيق الرغبات السماوية. هذا يرجع إلى وجود الروح التي يعتبر الإنسان من أفضل خلق الله سبحانه وتعالى وهكذا، فإن البشر هم مزيج من عنصر سماوي (الروح) وعنصر أرضي (الجسد أو اللحم).

يصنف علماء الإسلام تصنيفاً ثانياً لا يمتلك الإنسان بموجبه الروح فحسب، بل النفس أيضاً، وهي نوع الروح الموجودة في الحيوانات كما في البشر. ومن ثم، فإن البشر لديهم روحان، أو قوى روحية مماثلة لهذه الطبيعة المزدوجة.

كتب الشيخ شاه ولي الله الدهلوي في كتابه الشهير "حجة الله البالغة"

أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى البشر نوعين من القوى. قوة واحدة ترجع إلى

الروح الملائكية العليا الموجودة فقط في البشر؛ وهي تحت الإنسان على التقرب

من الله عز وجل وإقامة الحسنات. والقوة الأخرى ترجع إلى الروح الدنيوية أو

الحيوانية أو الوحشية، التي تحثهم على القيام بأفعال لا تستحق أن يكونوا بشراً.

هاتان القوتان دائماً في صراع في الإنسان. (267)

ورد في القرآن أن الله سبحانه وتعالى قد خلق كل شيء في أزواج: ﴿وَمِنْ

كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ (سورة الذاريات: 49)

لقد منح الله للبشر طبيعة ثنائية، ليس فقط فيما يتعلق بالجسد والروح ولكن

أيضاً فيما يتعلق بزواج من النفوس (ملائكي وجسدي).

كتب سيد محمد النقيب العطاس (مفكر إسلامي معاصر) في وصفه

للطبيعة الثنائية للإنسان:

²⁶⁷ شاه ولي الله محدث الدهلوي، حجة الله البالغة. كراتشي، دار الإشارات، 1995.

"للإنسان أيضاً روحان (نفسان) تماثل طبيعته المزدوجة: الأولى هي النفس العليا العقلانية (النفس الناطقة) و الثانية هي النفس الدنيوية (النفس الحيوانية). عندما أعلن الله للإنسان حقيقة رغبته، فإن الروح العقلانية هي التي تعرف الله. ولكي يفهم الإنسان بعهدته مع الله ويؤكد استمرار العهد في داخله ويفعله بجوارحه يجب على الروح العقلانية أن تؤكد سيادتها وأن تمارس سلطتها على النفس الحيوانية التي يجب أن تخضع لها".⁽²⁶⁸⁾

لا تتأثر الروح الملائكية للإنسان بالموسيقا (أو تتأثر سلباً، إن وجدت). إذا كانت الموسيقا تؤثر فقط على الروح الملائكية في البشر، فإن الحيوانات ستبقى غير متأثرة بالموسيقا، لكننا نعلم من التجربة اليومية والملاحظة أن هذا ليس هو الحال. عندما تغني للإبل الأغاني، فإنها تتأثر بشدة بحيث تبدأ في الجري بسرعة، وتحمل أعباءً ثقيلة، حتى تسقط في حالة من الإرهاق.

²⁶⁸ Al-Attas, Muhammad Al Naquib (2002). Islam and Secularism. Delhi, New Crescent Publishing Company Co.

تنتج البقرة المزيد من الحليب إذا سمعت الموسيقى أثناء حلبها. بعض أصحاب مزارع الخنازير يعزفون الموسيقى في مزارعهم لأنه من خلال تجربتهم فإنَّ الخنازير تأكل المزيد من الطعام وتصبح أكثر بدانة عندما تستمع إلى الموسيقى. عندما يتم عزف الفلوت أمام ثعبان، فإنه يصبح مفتوناً بالصوت. فما يتم تنشيطه وإثارة حماسه من خلال الاستماع إلى الأغاني والموسيقى هو الروح الحيوانية (الجسدية)، وليس الروح البشرية أو الروح الملائكية. ودليل ذلك عند علماء الإسلام هو تأثيرها في الحيوانات والطيور. (269)

علاج المرض: سماع تلاوة القرآن

قد يسأل الناس: تركنا الاستماع إلى الموسيقى، فماذا نستبدلها؟ "في الواقع، الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم هو أفضل بديل وحل لهذه المشكلة. كما تم توضيحه في الأقسام السابقة.

²⁶⁹ ابن القيم الجوزية "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان".

في عصر الإلكترونيات اليوم يمكن اعتبار الموسيقى بمنزلة "مخدر إلكتروني" (Plug-in drug). يرتبط الإدمان باستخدام أي من المخدرات، والموسيقى ليست استثناء. عندما نتوقف عن الاستماع إلى الموسيقى، قد نعاني من أعراض انسحاب، لكن الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم يوفر لنا العلاج. يجب أن نتذكر أن للبشر طبيعة ثنائية: عنصر أرضي بالإضافة إلى عنصر سماوي. إن الروح الملائكية المتمركزة في القلب هي في بحث مستمر عن السلام والسكينة. عندما يستمع الناس إلى الموسيقى، التي لا يُقصد بها أن تكون غذاءً للروح، فإنها تحافظ فقط على أرواحهم مشغولة انشغالاً مؤقتاً. بمجرد انتهاء الموسيقى أو الأغنية، قد يغلب عليهم الشعور بالفراغ.

الطمأنينة الحقيقية للنفس الملائكية تأتي من الاستماع إلى كتاب الله سبحانه وتعالى -القرآن الكريم- الذي له أصل سماوي، على غرار روحنا. إن الاستماع إلى الموسيقى يوهم الشخص ويغلق قدراته التأملية، بينما الاستماع إلى القرآن يجعل الشخص يفكر في الغرض من خلقه. جعل الله سبحانه وتعالى قلوبنا لذكره فقط حيث أن تلاوة القرآن لها قدرة على شفاء قلوب المدمنين على

الموسيقا لأن القرآن شفاء لأمراض القلب كما ذكر الله تعالى في كتابه: ﴿وَنُنَزِّلُ

مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ...﴾ (سورة الأَسْرَاءِ: 82)

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ

وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس 57)

صرح الشيخ أنور شاه كشميري (عالم الحديث الإسلامي الشهير في

الهند) بما يأتي في هذه المسألة:

"الشخص الذي تغمره الموسيقا والغناء يصعب عليه ترك الموسيقا. فكما لاحظت

المغنين أنهم يطلبون أغنية على الدوام، فإذا رغب هؤلاء في الامتناع عن الموسيقا،

فقد يجب عليهم تلاوة القرآن كثيراً والتعمق فيه لدرجة ارتباط سكيبتهم

بالقرآن." (270)

²⁷⁰ فتح الباري على شرح صحيح البخاري، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري

الهندي ثم الديوبندي (ت ١٣٥٣ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان. المجلد 4.

جمال تلاوة القرآن هو أن القراء والمستمعين لا يملون منه أبداً. التلاوة المستمرة لها تزيّد من حلاوتها، وتكرارها يزيّد من حبه لها. لا تتمتع الموسيقى والغناء بهذه الصفة. سرعان ما يشعر الناس بالملل بعد الاستماع إلى نوع معين من الأغاني أو الموسيقى، ثم يبحثون عن فنّانين وأغانٍ أخرى، وهذا هو سبب استمرار إنتاج الموسيقى. من ناحية أخرى، لم يمل أي مسلم من القرآن. لا يفقد عذوبته وطراوته. كما قال رسول الله ﷺ:

"ولا يَخْلُقُ عن كثرة الرّدِّ، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُديّ إلى صراط مستقيم." (271)

إن أسمى تعبير عن "اللحن" في الإسلام هو تلاوة القرآن، والتي لها آثار كبيرة في مستمعيها. وتعليقاً على تلاوة القرآن كتبت لويزا يونغ (Louisa Young)، الصحفية والكاتبة البريطانية وهي ليست مسلمة:

²⁷¹ الراوي: علي بن أبي طالب، المحدث: ابن تيمية، المصدر: درء تعارض العقل والنقل الصفحة

أو الرقم: 268 / 5، خلاصة حكم المحدث: [له] طرق

"النبض البسيط، دقات القلب، هو الإيقاع المتكرر الذي يقود ويدفع التأمل -
الرحلة إلى القلب - في جميع الأديان ... أحد الشعائر الإسلامية هي تلاوة القرآن،
غالباً ما تمت مقارنة الإيقاع المتدفق والمنوم للكلمات العربية بنبضات القلب.
الحزن الناجم عن الانفصال عن الله يهدأ بذكر الله: " ألا بذكر الله تطمئن القلوب "
وهذا التذكر هو ذكر، وتكرار ذهني ولفظي لآية من القرآن أو بأحد من أسماء الله
الحسنى." (272)

وصف المفكر الإنجليزي البارز الذي اعتنق الإسلام محمد مرمدوك
بيكثال (Mohammad Marmaduke Pickthall)، في ترجمته الإنجليزية
الشهيرة للقرآن الكريم، تلاوة القرآن بأنها "الإيقاع أو الانسجام الفذّ، التي يحرك
صوتها رجلاً إلى البكاء والنشوة". (273)

"The recitation of the Qur'an is the inimitable symphony the very sound of
which move men to tears and ecstasy."

²⁷² Young, Louisa (2003). The Book Of The Heart. New York, Doubleday.

²⁷³ Pickthall, Mohammad Marmaduke (1996). The Meaning of the
Glorious Qur'an: Text & Explanatory Translation (ed. By Arafat K. El
Ashi). Maryland, Amana Publications.

في مدح إيقاع القرآن الجميل وبلاغته، كتب البروفيسور أ. ج. أربيري

(A. J. Arberry)، وهو مفكر ومؤرخ بريطاني آخر، في ترجمته للقرآن:

"في جعل المحاولة الحالية ... لإنتاج شيء يمكن قبوله على أنه صدى مهما كان

خافتا للبلادة السامية للقرآن العربي، كنت أبذل قصارى جهدي لدراسة الإيقاعات

المعقدة والمتنوعة الغنية التي تشكل - بصرف النظر عن الرسالة نفسها - ادعاء

القرآن الذي لا يمكن إنكاره بأنه من بين أعظم الروائع الأدبية للبشرية." (274)

يقول مالك بن نبي (Malik Bennabi)، المفكر الجزائري المسلم

الشهير، ما يأتي عن تأثير الإيقاع الذي لا مثيل له للآيات القرآنية في الناس في عهد

النبي محمد ﷺ:

"وهناك شهادات سجلتها لنا السيرة في ذلك العصر، تقدم لنا معلومات واسعة عن

التأثير الغلاب الذي كان لآيات القرآن على النفس البشرية. فعمر ﷺ يتحول إلى

الإسلام بفعل هذا التأثير، على حين قد عبر الوليد بن المغيرة - الذي كان مثالا في

الفصاحة والفخر الأدبي - عن رأيه في (سحر القرآن) بقول: "والله لقد سمعت

²⁷⁴ Arberry, Arthur John (1996). The Qur'an Interpreted: A Translation
New York, Touchstone.

كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة،

وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق؛ وإنه يعلو ولا يعلى عليه". قال ذلك رداً على

أبي جهل الذي سأله عن رأيه فيما سمع من (محمد ﷺ). "(275)

جبير بن مطعم قبل دخوله الإسلام وكان مشركاً من مكة جاء لزيارة

المدينة. في هذا الحديث يحكي جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في

المغرب بسورة الطور، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآيات: ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ

أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ

عندهم خزائن ربك أَمْ هُمُ الْمَصِيطُونَ ﴿٣٧﴾ [الطور: 35 - 37]، قال جبير

بن مطعم رضي الله عنه: «كاد قلبي أن يطير»، يعني: قارب قلبي أن يخرج من مكانه؛ لما

تضمنته الآيات من بليغ الحجة. وقد كان جبير بن مطعم رضي الله عنه قدم على النبي

صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في فداء الأسارى، في العام الثاني من الهجرة، وكان إذ ذاك

²⁷⁵ Bennabi, Malik (2001). *The Qur'anic Phenomenon: An Essay of a Theory on the Qur'an*. Trans. El-Mesawi, Mohamed El-Tahir. Kuala Lumpur, Islamic Book Trust.

مُشْرِكًا، وكان سماعُه هذه الآياتِ من هذه السُّورةِ من جملةِ ما حمّله على

الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ بَعْدُ. (البخاري)(276)

تلاوة القرآن لها آثار عميقة على مستمعيها، يصف تشارلز لوغاي إيتون

(Charles le Gai Eaton)، الدبلوماسي البريطاني السابق الذي اعتنق الإسلام

في عام 1959، هذه النوعية من التلاوة القرآنية:

"بالنسبة للمستمع، فإن الصوت لتلاوة القرآن - وبالنسبة للقارئ النص - لهما تأثير

تحويلي عميق. ... يمكن القول أن هناك تأثيراً على مناطق الشخصية المخفية

عملياً عن الفكر أو السيطرة الواعية ... لأن القرآن هو الكلمة الإلهية (التي أنشأنا

بها أنفسنا) قادر على ملء كل شق في كيانتنا، وبمعنى ما، لاستبدال الحطام الذي كان

يملاً ذلك الفضاء سابقاً بشيء من أصل سماوي." (277)

²⁷⁶ صحيح البخاري. كتاب التفسير، سورة الطور، رقم 4525، المجلد 6، حديث #

²⁷⁷ Eaton, Charles Le Gai (1985). Islam and the Destiny of Man. New York, The Islamic Texts Society.

قلب الإنسان وجسده مطمئن ومستجيب لتلاوة القرآن كما وصفته
 بالتفصيل في كتابي الآخر "القلب الذكي، القلب النقي" (278) إن الاستماع إلى
 الكلمات الجميلة للقرآن التي يتم ترديدها بصوت جميل تُحدث آثارًا عميقة في
 مستمعيه. وقد وصف القرآن آثار التلاوة على المؤمنين: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ
 الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَدِّدًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ
 جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ
 يُضَلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ (سورة الزمر: 23)

وبالمثل، ذكر الله تعالى أيضًا: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ
 خَشِيْعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
 يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (سورة الحشر: 21)

²⁷⁸ القلب الذكي، القلب النقي: دراسة في القلب على أساس القرآن والسنة والأبحاث

العلمية الحديثة، د. جوهر مشتاق، الترجمة الى العربية: الأستاذ محمود الدعبول، 2023

وفي تعليقه على هذه الآية كتب القاضي عياض:

"وهذا يدل على أنها تنفرد بها. بل إنها تستطيع حتى أن تضبط من لا يفهم معانيها ولا يعرف تفسيرها. كان هذا متعلقاً بنصراني مرّ بقرائها فتوقف وبكى. وسئل: لماذا تبكي؟ قال: لأنها كسرت قلبي ولجمال ترتيبها. وقد استحوذ هذا الرعب على كثيرين قبل الإسلام وبعده. ومنهم من أسلم فور سماعه، مؤمناً به، ومنهم من رفضه." (279)

وقد ذكر القاضي عياض هذه الكلمات قبل نحو تسعمائة عام.

في الآونة الأخيرة، ظهرت آثار التلاوة القرآنية في أجسامنا من خلال تجارب علمية منفصلة أجراها عالمين مسلمين في جزأين مختلفين من العالم. أجريت دراسة واحدة في عام 1984، وما زالت التجارب جارية في عيادات أكبر (Akbar Clinics)، بنما سيتي، فلوريدا (Panama City)

²⁷⁹ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت

٥٤٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

(Florida في الولايات المتحدة يقوم بها الدكتور أحمد القاضي (Ahmed

(Elkadi)، الذي يستخدم أكثر الأدوات تطوراً في بحثه.

في سلسلة التجارب التي أجراها ونشرها الدكتور القاضي، أُسمعت

ثلاث مجموعات من المتطوعين المسلمين الذين يفهمون اللغة العربية،

والمسلمين الذين لا يفهمون اللغة العربية، وغير المسلمين الذين لا يفهمون

اللغة العربية - إلى تلاوة القرآن أثناء المعايير العضوية، مثل معدل ضربات

القلب (heart rate reduction) وضغط الدم (blood pressure) وتوتر

العضلات (smooth muscle relaxation).

وأظهرت نتائج دراسته بوضوح شديد أن الاستماع إلى تلاوة القرآن

أدى إلى استرخاء العضلات الملساء، وانخفاض معدل ضربات القلب،

وجميع التغيرات العضوية التي تشير إلى التخلص من التوتر والقلق. ظهرت

هذه التأثيرات بين المسلمين وغير المسلمين بغير فرق بينهم بمعزل عما إذا

كانوا يفهمون اللغة العربية أم لا. وقد لوحظ أنه عندما يتم تلاوة آيات تعد

بالمكافآت (آيات الترغيب)، كان هناك تأثير أكبر في انخفاض التوتر على

المستمعين وتسببت تلك الآيات في مزيد من الهدوء و السكينة في دقات قلبهم ، بينما لم يكن للاستماع إلى تلاوة آيات الوعيد بالعقاب (آيات ترهيب) تأثيراً في تقليل الضغط على المستمعين. توضح هذه الدراسة الآثار المفيدة لتلاوة القرآن على قلب الإنسان وجسمه. (280)

أجرى الدكتور محمد خير الإرجسوسي دراسة علمية مماثلة وهو بحثه لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الخرطوم، السودان، تحت إشراف عالم النفس الإسلامي المشهور عالمياً الدكتور مالك بدري (Malik Badri). كان موضوع هذه الدراسة مرضى يعانون من ارتفاع ضغط الدم بسبب أنماط الحياة المجهددة أو لأسباب أخرى. كما أظهرت نتائج هذه الدراسة أن الاستماع لتلاوة القرآن ساهم مساهمة كبيرة في خفض ضغط الدم لدى المرضى. في بعض الحالات، أخبرهم أطباؤهم بالتوقف عن تناول أدويتهم لأن قراءات

²⁸⁰ Elkadi, Ahmed "Health and Healing in the Qur'an" in Athar, Shahid, M.D., Ed. (1993). Islamic Perspectives in Medicine - A Survey of Islamic Medicine: Achievements & Contemporary Issues. Indianapolis, American Trust Publications.

ضغط الدم عادت إلى المستويات الطبيعية.⁽²⁸¹⁾ تدعم نتائج هذه الأبحاث نتائج البحث الذي يجري في عيادات أكبر (Akbar Clinics) في الولايات المتحدة.

على نفس المنوال، قال الدكتور محمد عثمان نجاتي، أحد أشهر علماء النفس الإسلاميين المعاصرين عن أهمية تلاوة القرآن، بناءً على تجربته السريرية مع المرضى :

"إن تلاوة القرآن ليست فقط أفضل علاج للقلق والانفعالات الذهنية بسبب الشعور بالذنب، ولكنها أيضاً أفضل علاج للناس جميعهم للاضطرابات النفسية والعقلية وكذلك الاكتئاب العقلي. عالج النبي ﷺ عصاب الناس بالقرآن." ⁽²⁸²⁾

ليس من المستغرب إذن أن نلاحظ أن أصحاب النبي محمد ﷺ كانوا يقرؤون القرآن بأصوات جميلة. أكد النبي ﷺ في أحاديث مختلفة أن تلاوة القرآن يجب أن تتم بأفضل صوت طبيعي ممكن. قال النبي ﷺ:

²⁸¹ Badri, Malik (2000). Contemplation: An Islamic Psychospiritual Study. London, The International Institute of Islamic Thought.

²⁸² كتاب الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، دار الشروق

«زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» (سنن أبي داود) (283)

وفي حديث آخر عن النبي ﷺ قال:

" ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن". (رواه البخاري) (284)

قال البراء بن عازب في أحد الأحاديث:

☆ كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَاطِنَيْنِ فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ
فَجَعَلَتْ تَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ
فَقَالَ: تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنْزَلَتْ لِلْقُرْآنِ ☆. (مسلم) (285)

يمكننا أن نفهم بسهولة من المناقشة أعلاه أنه إذا حصلنا على هذه
الفوائد من مجرد الاستماع إلى القرآن، فستكون هناك فوائد أكثر عندما نطبق
القرآن على حياتنا. لا ينبغي أن نختصر القرآن في كونه مجرد كتاب احتفالي،
يستخدم في المناسبات الخاصة لنيل البركات ولكن لا يستخدم رمزاً

283 سنن أبي داود. المجلد. 1، ص. 548. ورواه ابن ماجة والدارمي وابن حبان وصححه

الألباني في صحيح سنن أبي داود، ج 1 ص 275. رقم 1303.

284 صحيح البخاري. كتاب التوحيد المجلد. 8، حديث # 7527، ص. 623.

285 صحيح مسلم. كتاب فضائل القرآن، المجلد. 2، ص. 276.

لحياتنا. اعتاد أصحاب النبي محمد ﷺ على تطبيق كل آية من آيات القرآن

عليهم نحن أيضاً بحاجة لفهم القرآن والالتزام به في حياتنا.

أخيراً، يجب أن نتذكر أن تلاوة القرآن ليست فقط إرضاءً جمالياً

لطبيعتنا وإنما هي سكينة للقلوب، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ

قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (سورة الرعد: 28)

ولقد صدق من قال:

حب الكتاب وحب ألحان الغناء في قلب عبد ليس يجتمعان

ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بأوامر الرحمن

وللهو خفَّ عليهم لما رأوا ما فيه من طرب ومن ألحان

الفصل 7

الموسيقا والمجتمع

"إحدى الطرق السريعة لتدمير المجتمع هي من خلال الموسيقا."

(فلاديمير لينين ١٨٧٠-١٩٢٤ م)

كلما تقدم المرض، كانت جذوره أعمق في الجسم. الموسيقا مثل هذا المرض، هاجمت الأمة الإسلامية بعد انتهاء حكم الخلفاء الراشدين. في ذلك الوقت، كان الجهاز المناعي للأمة الإسلامية قويا، لذلك فإن مرض الموسيقا والغناء أثر فقط على جزء صغير من الأمة. لكن اليوم، بعد 1400 عام عندما أصاب نظام الدفاع عن جسد المسلمين الوهن، انتشر هذا المرض في جسم المسلمين أغلبهم (باستثناء أقلية من المسلمين أصحاب التقوى). واليوم،

أصبح الكثير من المسلمين مدمنين على الموسيقى فلا يستطيعون العيش بدونها
"تسلية". يريدون تسلية أنفسهم بالموسيقا حتى الموت.

في الماضي القريب، ظلّ المسلمون محتلون من قِبَلِ القوى الإمبريالية
الأوروبية لحوالي 200 عام .

الآن، ومع أن الدول الإسلامية تحرّرت سياسياً، فإن تأثير صدمة ما
بعد الاستعمار لم يتلاش من عقول الكثير من السكان المسلمين.

اليوم، وصل التدهور الأخلاقي للمسلمين إلى درجة أنهم يعتبرون
الاستماع إلى الموسيقا "مباحاً"، ويصفون المسلمين الذين يعتبرون الموسيقا
حراماً بأنهم "متطرفين" أو "متعصبين".

هؤلاء المسلمين الذين يعتبرون الموسيقا حراماً هم في الواقع
وسطيون ملتزمون (ليسوا متطرفين). كتب د. محمد إقبال عن مثل هذه الحالة في
إحدى قصائده كما يأتي :

"ما كان غير مناسب أصبح شيئاً فشيئاً ملائماً،

فلقد تغير ضمير الأمم إلى العبودية".

السبب الوحيد الذي يجعل المسلمين يعتبرون الموسيقى مسموحاً بها في الإسلام يرجع إلى وجود الموسيقى في كل مكان في المجتمع الحديث. في مثل هذه الظروف، يُمارس السلوك المنحرف في المجتمع لدرجة أن الناس يحاولون اعتباره طبيعياً. قدرتهم على التمييز بين الصواب والخطأ أصبحت أقل حساسية بسبب التأثير القوي لبيئتهم. يجب أن نتذكر أن الكثرة لا تعني بالضرورة الصواب. في القرآن يقول الله سبحانه وتعالى لنا: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ (سورة المائدة: 100)

﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا

الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ (سورة الأنعام: 116)

واليوم، يحاول بعض المسلمين إثبات أن الاستماع إلى الموسيقى هو في

الواقع جزء من الإسلام وهو فعل فضيل.

وصف النبي الكريم ﷺ - بسبب رؤيته النبوية العميقة - مثل هذه

الظاهرة من تغيير معايير الخير والشر كما جاء في حديثه ﷺ:

كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وإن ذلك لكائنٌ يا رسول الله قال: نعم والذي نفسي بيده وأشدُّ منه سيكونُ قالوا وما أشدُّ منه يا رسول الله؟ قال: كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروفٍ ولم تنهوا عن منكرٍ قالوا وكائنٌ ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشدُّ منه سيكونُ قالوا وما أشدُّ منه؟ قال: كيف أنتم إذا رأيتم المعروفَ منكراً والمنكرَ معروفاً قالوا وكائنٌ ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشدُّ منه سيكونُ أقالوا وما أشدُّ منه؟ والذي نفسي بيده وأشدُّ منه سيكونُ أيقولُ الله تعالى: بي حلفتُ لأتحننَّ لهم فتنةً يصيرُ الحلِيمُ فيها حيرانَ . (عن ابي امامه الباهلي) (286)

286 تخريج الإحياء للعراقي (الصفحة أو الرقم : 2 / 380)، شيخ علي متقي الهندي. "كنز العمال

في سنن الأقوال والأفعال". المجلد. 3، ص. 688 حديث رقم 8468. وهذا الحديث أيضا رواه

ابن أبي الدنيا البغدادي في كتابه "كتاب أمر بالمعروف ونهي عن المنكر" و أبو يعلى الموصلي في

مسند أبي يعلى بسند فيه بعض الضعف.

هناك فهم اجتماعي عميق للمجتمعات الإنسانية في هذا الحديث.
الرسول ﷺ كان مدرکاً تماماً لحقیقة ذلك في المجتمعات البشرية التي لا تتبع
الوحي الإلهي، معيار الانحراف والمعیار نسبي ويعتمد على ما یعتقده أفراد
المجتمع في ذلك العصر بالتحديد. الانحراف في علم الاجتماع لا یعنی نفس ما
یعنيه في القرآن. وفقاً لعلم الاجتماع، الأفعال التي تسمى للقواعد "التقليدية"
منحرفة. وبالمثل، فإن القواعد هي الطرق العادية للتصرف في المجتمع. ومع
ذلك، فإن معايير الانحراف (الخطأ) والصواب (الصحيح) نسيان حسب علم
الاجتماع. عندما يسود الخير في المجتمع يعتبر هو القاعدة وفي هذه الحالة الشر
هو الانحراف.

إن الأفعال التي تسمى إلى الأعراف "التقليدية" (الطرق العادية
للتصرف في المجتمع) منحرفة، لكن معايير الانحراف (الخطأ) والمعیار
(الصواب) نسبية. بمعنى آخر، عندما يسود الخير في المجتمع، فإنه يُعتبر
القاعدة، ويُعتبر الشر منحرفاً؛ على التقيض.. إذا أصبح الشر هو الممارسة
الأساسية في المجتمع، فإنه يعتبر هو الأساس في ذلك المجتمع، والخير يعتبر

منحرفاً. لكن في الحقيقة، رُغم ذلك يقدم القرآن والسنة المعايير المطلقة للصواب والخطأ.

في هذا الحديث، كان النبي محمد ﷺ يخبر أصحابه أنه سيأتي وقت ينقلب فيه المعيار الفعلي للخير والشر في المجتمع رأساً على عقب. لقد تعودت قلوب المسلمين على المجتمع المنحرف، لدرجة أن أي عمل من أعمال الصلاح سوف يُنظر إليه على أنه انحراف. وهذا يحدث في المجتمعات الإسلامية اليوم. وذلك لأن بعض المسلمين لم يلتفتوا للمعيار المطلق للصواب والخطأ المعطى لهم في القرآن بسبب انتشار الموسيقى في المجتمع، يعتقد الكثير من المسلمين أن الاستماع إلى الموسيقى والأغاني وتشغيلها ليس خطيئة.

ووفقاً للحديث المذكور أعلاه، يقوم بعض المسلمين بمحاولات ميؤوسة لاستخدام القرآن لإثبات أن الموسيقى جائزة في الإسلام. من المؤسف أن بعض المسلمين الحدائين لا يترددون حتى في الاستشهاد بالكتب المقدسة للأديان الأخرى وذلك لخدمة هدفهم الخاص في إثبات أن الموسيقى مسموح بها في الإسلام. فعن أبي سعيد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:

لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وذراعًا بذراع، حتَّى لو سَلَكَوا جُحْرًا

صَبَّ لَسَلَكَتُمُوهُ؛ قلنا: يا رسول الله؛ اليهودُ والنصارى؟ قال النبي ﷺ:

فَمَنْ؟! (رواه مسلم) (287)

علاوة على ذلك، نجد أن العالم بأسره مهووس بنسخة شيطانية من

الحرية - مفهوم الحرية الذي يجب أن يكون فيه كل الناس أحراراً في فعل أو

قول أي شيء يرغبون فيه، دون أي اهتمام بالتأثير على الأفراد الآخرين، أو على

أسرهم، أو على المجتمع عموماً. وفي العديد من المدارس والجامعات،

نلاحظ أنه يتم تشجيع المفهوم المتطرف للاستقلال وحرية التعبير والتفكير

العلماني. إن فكرة الحرية غير المقيدة بالضمير الاجتماعي أو الأخلاقي، ("إنها

حياتي، سأفعل ما أريد")، هي الفكرة الأساسية السائدة لموسيقا اليوم. يتم

استخدامه وسيلةً للتنقيب عن أيديولوجيات (نظريات) مخالفة تماماً للشريعة

والقيم الإسلامية في أذهان المسلمين. يجب أن نحاول تجنب تقليد تلك القيم

287 صحيح مسلم، كتاب العلم، المجلد. 6، ص. 270

الغريبة التي تتعارض مع ديننا. وقد حذرنا الرسول ﷺ من التشبه بغير المسلمين

بقوله: **من تشبهَ بقومٍ فهو منهم**. (سنن أبي داؤد) (288)

وتعليقاً على هذا الحديث، كتب محمد أسد، وهو نمساوي شهير

اعتنق الإسلام، في كتابه "الإسلام عند مفترق الطرق":

"هذا الحديث المعروف ليس فقط تلميحاً أخلاقياً، ولكنه أيضاً بيان موضوعي

يوضح حتمية ذوبان المسلمين بحضارة غير إسلامية يقلدونها في مظهرها

الخارجي." (289)

الموسيقا وتاريخ حياة الأمم

إذا نظرنا إلى أثر الموسيقا في المجتمعات المختلفة على مدار التاريخ،

فسوف نلاحظ أن الموسيقا والغناء يشكلان أحد أقدم الأسلحة وأكثرها تقليدية

للشيطان ضد البشر. عندما أمر الله الشيطان بالسجود أمام النبي آدم عليه السلام،

²⁸⁸ سنن أبي داود. كتاب اللباس. المجلد. 3، ص. 241 - وروي أيضاً في مسند أحمد.

والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع المجلد. 2، ص. 1058

²⁸⁹ Asad, Muhammad (1991). Islam at the Crossroads. Lahore, Sh. Muhammad Ashraf Publishers.

فرفض: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ

ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ (سورة الإسراء: 61)

ثم طلب الشيطان من الله سبحانه وتعالى أن ينظره ويقيه حياً إلى يوم

الدين ليغوي كل بني آدم إلا القليل: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ

جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٢﴾ وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ

وَأَجَلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا

يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٣﴾ (سورة الإسراء: 63، 64)

هذه الآية الأخيرة هي واحدة من الآيات التي استشهد بها الإمام

القرطبي في تفسيره دليلاً على تحريم الموسيقى. يعرف طالب التاريخ جيداً أن

هناك علاقة عميقة بين الموسيقى وتاريخ حياة الأمم. و يخبرنا التاريخ أن هناك

تناسباً طردياً بين تدهور الأمة وانتشار الفن والموسيقى البذيئة في المجتمع. كما

قال فلاديمير لينين Vladimir Lenin، الذي كان أحد مؤسسي الشيوعية، أول

ديكتاتور في الاتحاد السوفيتي وأحد أعظم خبراء التاريخ في التخريب والثورة:

"إحدى الطرق السريعة لتدمير المجتمع هي من خلال الموسيقى."⁽²⁹⁰⁾

وكتب الشاعر المسلم الدكتور محمد إقبال، في وصفه لتاريخ حياة

الأمم والعوامل التي أدت إلى انحطاطها:

"إن حياة الأمم وتاريخها يظهر أنه عندما يبدأ مد الحياة في أمة ما بالانحسار، يُصبح

الانحطاط ذاته مصدر إلهام يلهم شعراءها وفلاسفتها وقديسيها ورجال دولتها

ويحولهم إلى فئة من الرسل تتمثل خدمتهم الوحيدة في التمجد بقوة للفن أو

المنطق المُعْري، وكل ما هو حقير وقبيح في حياة شعبهم."⁽²⁹¹⁾

أحد الموسيقيين المسلمين المعاصرين أخبر جمهوره مؤخراً أن

القيثارة (guitar) اخترعها مسلمون في إسبانيا، في الواقع ليس من الواضح ما إذا

كان هذا صحيحاً أم لا، ولكن حتى إذا افترضنا أنه صحيح تاريخياً فعلينا أن

نرى ما حدث للمسلمين في إسبانيا، بعد حكم إسبانيا لمدة 800 عام، عانى

²⁹⁰ Noeble, David A. (1974). The Marxist Minstrels: A Handbook on Communist Subversion of Music. American Christian College Press.

²⁹¹ Iqbal, Dr. Sir Muhammad (1980). Islam and Ahmadism. Lahore, Sh. Muhammad Ashraf.

هؤلاء المسلمون من هزيمة مذلة ومذبحة ونزوح جماعي من إسبانيا لدرجة أن التاريخ الإسلامي يمكن أن يقدم أمثلة قليلة جداً لمثل هذه الكارثة. نسيّ مسلمو إسبانيا الغرض من خلقهم، لقد تخلوا عن أسلوب حياة الصحابة وانغمسوا انغماساً كبيراً في الموسيقى والترفيه. ونتيجة لذلك، دفع هؤلاء المسلمون ثمنًا باهظاً لعدم اكتراثهم وانغماسهم في الموسيقى عندما ذبحهم مسيحيو إسبانيا. واليوم المسلمون في إسبانيا هم في الغالب من التاريخ وأصبحوا درساً للأجيال اللاحقة من المسلمين.

عندما يبدأ سقوط أمة، فإن الأمر يشبه سفينة غارقة ضخمة مثل سفينة تيتانيك (Titanic ship)، حيث تستمر الفرقة في عزف الأغاني أثناء غرقه، لأن الأشخاص الذين يعزفون الموسيقى في حالة توهم. والسؤال الذي يجب طرحه هو: "هل يبدو من المناسب أن ترقص مجموعة من الناس على سطح سفينة تغرق؟" أي شخص لديه عقل سليم سوف يفاجأ برؤية ذلك!.

لسوء الحظ، تخبرنا دراسة التاريخ أيضاً أن الناس لا يتعلمون من الماضي بل إنهم يميلون إلى أن يخدعهم الشيطان مراراً، ويرتكبون نفس

الأخطاء. ولهذا السبب قال الفيلسوف الأمريكي الإسباني جورج سانتايانا (George Santayana) في اقتباسه المشهور: "أولئك الذين لا يتذكرون الماضي محكوم عليهم بتكراره."

"Those who do not remember the past are condemned to repeat it."

مناظرة في البلاط الملكي في مدينة دلهي – من هي أفضل

راقصة؟

في عام 1739 م، حاصر نادر شاه دُراني ملك الأفغان مدينة دلهي التي كانت عاصمة إمبراطورية المغول المسلمة. بينما كانت العاصمة تحت الحصار، كان هناك نقاش يدور حول قضية "مهمة للغاية" في البلاط الملكي لمحمد شاه رانجيلا ملك المغول في ذلك الوقت. كان السؤال هو:

"ما إذا كانت المطربة جادان باي هي أفضل راقصة، أم أنها امرأة أخرى تدعى

كاملا ديفي."

كانت النخبة الحاكمة وأفراد المجتمع مهوسين بالموسيقا والغناء لدرجة أنهم لم يدركوا حتى أن الموت كان يحوم فوق رؤوسهم. عندما غزا الملك نادر شاه مدينة دلهي بعد أيام قليلة من الحصار، قتل جنوده آلاف المسلمين في دلهي واغتصبوا مئات النساء المسلمات. (292)

ولع الإمبراطور واجد علي شاه بالموسيقا

كان واجد علي شاه (1827-1887 م) حاكماً مسلماً لولاية العود في الهند. كان مغرمًا جدًا بالموسيقا والرقص، اعتاد العزف على الدف أو الطبلية اليدوية بيديه؛ و فقط عندما يتعب يعطيها لرئيس وزرائه نقي علي ليعزف عليها. (293) وليس أسوأ من حاكم يضع السيف بعيداً ويمسك بالطبول اليدوية بدلاً من ذلك. ففي 31 يناير 1856 ميلادي. غزا البريطانيون ولاية العود في الهند، وتم إرسال واجد علي شاه إلى السجن، حيث كان لديه الكثير من الوقت للعزف على الآلات الموسيقية والغناء والرقص. وقد قال شاعر عربي بحقه:

²⁹² Ahmed, Dr. Shabbir. Dastak (in Urdu). Florida.

²⁹³ مولانا أبو كلام آزاد، غبار الخاطر (عواطف القلب) (لاهور: دار النشر الإسلامية، 1982)

إِذَا كَانَ رَبُّ الْبَيْتِ بِالْذَّفِّ مَوْلِعًا * * * فَشِيمَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ كُلِّهِمُ الرِّقْصُ

دروس من سير المطربين والموسيقيين الذين ماتوا دون

توبة

عندما ننظر إلى حياة المطربين والممثلين والفنانين، نلاحظ أنه في كثير من الحالات، تمتلئ حياتهم بالفساد الذي يفوق خيالنا بكثير، حيث تشمل أنماط حياتهم المدمرة للذات تعاطي المخدرات، والإباحية الجنسية، وإدمان الكحول، ومذهب المتعة، والعصيان، والفوضوية.

كثير منهم يموتون في ظروف غير سارة. ولكن في الحقيقة ينتحر العديد منهم أو يتوفون بأعمار مبكرة بسبب الحوادث الناجمة التي تحدث أثناء وجودهم تحت تأثير المخدرات. إنهم يعيشون أسوأ الأحوال، منحطون إلى مرتبة البهائم، لأن الله تعالى ورسوله ﷺ قد لعنوا تلك المهن.

انتحر الرسام الهولندي فان جوخ (Van Gogh) لأن الفن الذي كرس حياته له لا يمنحه أي سعادة حقيقية أو سلام عقلي. اشتهر مايكل أنجلو (Michael Angelo) في منزل البابا بالفاتيكان بحبه للرجال. تتجلى النزعة الجنسية المثلية لمايكل أنجلو في شعره.

اعتبر الفيلسوف والشاعر الألماني فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche) أن الموسيقى ضرورية جداً لحياة الإنسان لدرجة أنها يمكن أن تجعل الحياة تستحق العيش. لقد اعتبر الموسيقا محاولة لإعطاء الشكل والجمال للقوى الفوضوية المظلمة في الروح لجعلها تخدم غرضاً أعلى.⁽²⁹⁴⁾ أحب نيتشه الموسيقا لدرجة أنه جعلها معادلة للدين. من ناحية أخرى، كره نيتشه الله لدرجة أنه أعلن أن "الله قد مات"⁽²⁹⁵⁾. حقيقة الأمر هي أن الله لا يزال حياً، وأنه سبحانه وتعالى الأول والآخر. مع ذلك، توفي نيتشه عام 1900 م بعدما جُنَّ طوال السنوات العشر الأخيرة من حياته.

²⁹⁴ Nietzsche, Friederich (1967). *The Birth of Tragedy and The Case of Wagner*. New York, Vintage Books.

²⁹⁵ Nietzsche, Friederich (1995). *Thus Spoke Zarathustra: A Book for All and None*. New York, Modern Library.

كان عبقرِيُّ الموسيقا لودفيج فان بيتهوفن (Ludwig van Beethoven) سيء الخُلُق لدرجة أن الناس لم يتمكنوا من تحمل سلوكه الوقح. كان لديه العديد من العلاقات الجنسية مع النساء، لكن لم ينجح أي منها، ولم يتزوج قط. دفعته المشاكل في حياته إلى التفكير في الانتحار.

توفي الملحن الكلاسيكي موزارت (Mozart) مبكراً عن عمر يناهز خمسة وثلاثين عاماً. يمكن رؤية اليأس والاضطراب العاطفي في حياة العبقرى الموسيقي إلفيس بريسلي (Elvis Presley) من حقيقة أنه مات نتيجة جرعة زائدة من الأدوية. توفي العديد من نجوم الموسيقا الآخرين بسبب تعاطي المخدرات، بما في ذلك برائن جونز (Brian Jones) من فرقة رولينج ستونز، دينيس ويلسون (Dennis Wilson) من بيتش بويز، سيد فيشوس (Sid Vicious) سيكس بيستولز، جيمي هندريكس (Jimi Hendrix)، جيم موريسون (Jim Morrison)، المغني الشعبي تيم هاردين (Tim Harden) ومغني موسيقا الروك فرانكي لايمن (Frankie Lyman).

وبالمثل، مات العديد من مطربي الموسيقى التقليدية في البلدان الإسلامية بسبب الإفراط في تناول الكحول. لماذا هو كذلك؟ إن السبب في الوفيات المأساوية المبكرة لكثير من المطربين والفنانين هو أن الله ورسوله ﷺ قد حرما كل هذه المهن التي تنشر الرذيلة والفساد في المجتمع. يخبرنا القرآن عن مصير هؤلاء الأشخاص بعبارات واضحة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النور 19)

الأشخاص الذين ينخرطون في زرع بذور الفساد من خلال الفن والموسيقى المغريين يؤذون أنفسهم في نهاية المطاف فقط. اختاروا أن ينسوا خالقهم وربهم، فنسوا أنفسهم من خلال انغماسهم في الجنس والمخدرات وموسيقى الروك أند رول قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة الحشر: 19)

الفصل 8

لا يزال باب التوبة مفتوحاً - قصص

ملهمة من التاريخ

إذا نظرنا إلى أسلوب القرآن فإننا نلاحظ أن إحدى الطرق التي يقدم بها رسالته هي سرد القصص الحقيقية، فالقرآن نفسه رواية. وأحد أسباب ذلك هو أن القصة يمكن أن تنقل الرسالة بشكل سهل، في حين قد يكون من الصعب نقل نفس الرسالة على شكل عرض جاف. يحتاج البشر إلى قصص يمكنهم من خلالها استخلاص المعاني لحياتهم. وسبب آخر هو أن القصة جزء من التاريخ، والقرآن يخبرنا أن نتعلم من التاريخ. قال تعالى: ﴿فَأَقْصصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ (سورة الأعراف: 176)

في هذا الفصل سنتحدث عن بعض القصص الواقعية الملهمة التي لها علاقة بالموسيقا. وقد ذُكرت قصص الاهتداء والإحياء الأخلاقي لتوضح أنها تبعاً للتعاليم الإسلامية. لم يفت الأوان بعد لإصلاح طريقنا فباب التوبة مفتوح على مصراعيه حتى نصل لسكرات الموت. كما قال النبي ﷺ:

إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِغْهُ. (الترمذي) (296)

إذا ارتكب شخص ما سيئات ومن تاب بصدق وغير حياته إلى الأفضل فإن وعد الله له أن يرحمه و يغفر له. إن تاريخنا حافل بأمثلة لامعة لمن تابوا بصدق إلى الله خالقهم (كما سيظهر في هذا الفصل).

إن التوبة من أنبل الطاعات وأحبها إلى الله، فهو يحب الذين تابوا ومن حبه لخليقته أنه يمتحنهم بالخطايا ومن ثم يغدق عليهم من بركاته ونعمه بعد توبتهم. يأمر الله تعالى البشر بالتوبة في عدة مواضع من القرآن قال تعالى: ﴿قُلْ

²⁹⁶ عن عبدالله بن عمر، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الرقم: 3537،

خلاصة حكم المحدث: حسن

يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ (سُورَةُ الزُّمَرِ: 53)

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ

رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

يَوْمَ لَا تُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿٨﴾ (سُورَةُ التَّحْرِيمِ: 8)

التوبة الحقيقية تحوّل المذنب إلى عالم قصة زازان

التابعي

يروى الشيخ عبد القادر الجيلاني حادثةً مثيرةً وقعت في عهد عبد الله بن مسعود

رضي الله عنه الصحابي الجليل:

ذات يوم مرَّ عبد الله بن مسعود ببلدة بالقرب من مدينة الكوفة. وفي أحد المنازل كان هناك تجمع للفاسدين المنشغلين بشرب الكحول في السهرة وكان هناك موسيقيٌّ يدعى زازان يعزف على الناي ويغني بصوته الجميل. فلما سمع عبد الله بن مسعود صوته قال: يا له من صوت عذب، أتمنى لو استعمل هذا الصوت في تلاوة القرآن، ومن ثم وضع عبدالله عباءة على رأسه ومضى. سمع زازان كلام ابن مسعود وسأل أصدقاءه في السهرة: من ذلك الشخص؟ فقالوا له: هذا الشخص من أشهر صحابة النبي محمد ﷺ، وقال ذلك لأنه سمع صوتك. عند سماع ذلك دخل زازان في حالة روحية غريبة وكسر آلاته الموسيقية كلها وتوجه مباشرة إلى عبد الله ابن مسعود، وراح يبكي. عانقه ابن مسعود ثم قال: لماذا لا أحب من يحب الله وتاب من العزف على آلاته الموسيقية؟

بعد توبته، أصبح زازان تلميذاً لعبد الله ابن مسعود وتعلم منه القرآن
والعلم الإسلامي. وأصبح فيما بعد عالماً إسلامياً ومرجعاً لعصره في العلوم
الإسلامية. (297)

نقطة تحول في حياة النابغة الإمام المحدث مالك بن أنس

ينتمي الإمام مالك إلى عائلة من العلماء. كان والده أنس عالماً
إسلامياً، وكذلك ثلاثة من أعمامه. عندما كان طفلاً، كان الإمام مالك يلعب مع
حَمَامٍ يريه. كان لديه صوت جميل وكان مصدر إلهامه ليصبح مغنياً عندما
يكبر. ومع ذلك، كانت هناك نقطة تحول في حياته. كان أخوه الأكبر النضر بن
أنس عالماً إسلامياً عظيماً ذائع الصيت في المدينة المنورة. في ذلك الوقت لم
يكن أحد يعرف الإمام مالك. ذات يوم وجّه أنس (والد الإمام مالك) سؤالاً في
الفقه الإسلامي إلى ولديه النضر ومالك. لم يستطع الإمام مالك الإجابة عن

²⁹⁷ عبد القادر الجيلاني، غنية الطالبين (كراتشي: أكاديمية نفيس، 1989). وأيضاً موفق

الدين ابن قدامة، كتاب التوابين (كراتشي: دار الإشعاع، 1999).

السؤال، لكن النضر أجاب عليه أجابة صحيحة. فقال أبوه لمالك: "لقد أهلكك اللعب بالحمام"، ثم روى الإمام مالك هذه الواقعة، فقال لما سمع ذلك الرد. فغضب واشتعل غيرة من أخيه وإحساسه بالمنافسة.

ذهب إلى ابن هرمز ودرس معه العلوم الإسلامية لمدة سبع سنوات. كانت هناك حادثة أخرى ساهمت بالتساوي كذلك في تحول حياة الإمام مالك. وعندما كان صغيراً أخبر والدته عن طموحه في أن يصبح مغنياً في المستقبل. فلم تؤنبه والدته، ولكن بلطف شديد ومحبة قالت له: "يا بني، ما عندك مظهر مطرب، فلا يمكنك أن تصبح مغنياً". وعند سماع ذلك، قرر الإمام مالك أن يدرس العلوم الإسلامية ليصبح عالماً إسلامياً. (298)

²⁹⁸ د. هشام العوضي، قرص صوتي مضغوط للأئمة الأربعة العظماء (كاليفورنيا: الصحوة،

نصيحة عمر بن عبد العزيز لتعليم أبنائه

يعتبر الخليفة المسلم عمر بن عبد العزيز (المتوفى 101 هـ) الخليفة الراشد الخامس، لإحساسه بالعدل والخوف من الله. لم يكن متديناً جداً في حياته المبكرة لأنه ولد في عائلة ملكية. كانت البيئة التي نشأ فيها مليئة بالموسيقا والغناء وكان بإمكانه الوصول إلى ملذات الحياة كلها التي يمكن أن يتخيلها الإنسان. لم يستطع أحد في العائلة المالكة أن ينافس عمر في لباسه الأنيق، وعندما عُيِّن حاكماً للمدينة المنورة عام 87 هـ، كان هناك ثلاثون من الإبل لحمل متعلقاته الشخصية.

وعندما عُيِّن خليفةً للأمة الإسلامية عام 99 هـ، أثبت هذا الحدث أنه نقطة تحول رئيسية في حياته حيث تخلى عن الحياة الفخمة التي انغمس فيها وأصبح مثلاً للحاكم المتواضع التقي الخائف والعدل. وقد عبرت تقواه الحدود الإسلامية فعندما مات دفع له ملك روما المسيحي جزيّة وقد وصفه بأنه

الشخص الذي يمثل تجسيداً ليسوع المسيح. حين قال هذه الكلمات كانت الدموع تنهمر من عيني ملك روما. (299)

بسبب نشأته في عائلة ملكية كان الخليفة عمر عبد العزيز مدركاً تماماً للأضرار والآثار الضارة للموسيقا والغناء. ولما أرسل أبناءه إلى معلمهم، كتب له عمر رسالة نصح، أكد فيها:

"المفهوم الأول الذي تريد غرسه في هؤلاء الأطفال من خلال تعليمك هو كره آلات الموسيقى. بداية الآلات الموسيقية من الشيطان ونهايتها غضب من الله سمعت من علماء موثوقين أن الذهاب إلى الأماكن التي تحوي آلات موسيقية، والاستماع إلى الأغاني والغرم بها ينبئ النفاق في القلب، تماماً كما ينبئ الماء العشب. أقسم أنه من الأسهل على الشخص ألا يذهب إلى مثل هذه الأماكن ويكون في مأمن من التلوث بها مقارنة بكون النفاق قوياً في قلبه (ثم محاولة إيجاد علاج لها)". (300)

299 آباد شاه بوري، النجوم الساطعة للوعظ والصبر (باللغة الأردنية) (لاهور: منشورات البدار، 1991).

300 تفسير الدر المشثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر الجلال السيوطي، دار الفكر، بيروت

لم تقتصر أوامر عمر عبد العزيز على أبنائه. كما وجّه نفسه الأوامر لرعاياه المسلمين.

أرسل أمرا إلى جميع ولاة بلده:

"هؤلاء غير العرب يرفهون عن أنفسهم بتلك الأشياء التي زينها الشيطان في عيونهم. عليك أن تمنع رعاياك المسلمين من هذه الأشياء. والله الآن حان الوقت على الناس أن يوقفوا هذه الأمور بعد معرفة الوصايا من كتاب الله لذلك يجب أن تمنعهم من الانغماس في الأنشطة التافهة والموسيقا والغناء، إذا لم ينتهوا، يمكنك أن تعاقبهم." (301)

³⁰¹ أبو عبد الله محمد بن سعد، كتاب في طبقات الكبير (نيودلهي: كتاب بهافان)

الدكتور بلال فيليبس - رحلته من عازف الغيتار في ملهى

ليلي في تورنتو إلى الدكتوراه في الفقه الإسلامي

يقول الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً

نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم مِّن جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ... ﴿ (سورة التحريم: 8)

باب التوبة مفتوح للجميع. هناك بعض الأفراد الذين يقومون بالتوبة

النصوحة الصادقة، والدكتور بلال فيليبس (Bilal Philips) من كندا هو أحد

الأمثلة على ذلك. بعد اعتناقه الإسلام عام 1971، ذهب إلى المملكة العربية

السعودية وحصل على بكالوريوس الآداب في أصول الدين من الجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1979، ثم ماجستير الآداب في الفقه الإسلامي

من جامعة الرياض. بعد تدريس مادة الدراسات الإسلامية لطلاب المدارس

الثانوية في الرياض من 1979 إلى 1987، التحق بجامعة ويلز وأكمل درجة

الدكتوراه في الدراسات الإسلامية هناك.

في إحدى محاضراته، طلبت مجموعة من الشباب من الدكتور فيليبس التعليق على مكانة الموسيقى في الإسلام وإعطاء مثال شخصي عن كيفية مشاركته في الموسيقى في الماضي وكيف توقف. أخبرهم الدكتور فيليبس أنه لم يكن يستمع إلى الموسيقى فحسب، بل كان يعزف أيضاً أنواعاً مختلفة من موسيقى الروك، خلال السبعينيات، كان يعزف على الجيتار و يغني مع مجموعة في ملهى ليلي في تورنتو (Toronto Night Club). وبعد أن أسلم، لم يخبره أحد على الفور عن تحريم الموسيقى في الإسلام، فاستمر في العزف في النوادي الليلية في تورنتو (Toronto) وفانكوفر (Vancouver). قال الدكتور فيليبس للشباب المسلم:

"بعد إسلامي وجدت نفسي في الملهى الليلي كما لو كنت في عالم مختلف. كان الأعضاء الآخرون جميعهم في مجموعتي الموسيقية يتعاطون المخدرات، وفي الملهى الليلي كان الجميع "منتشياً" بشيء ما، وكنت الوحيد الذي كان عاقلاً هناك. لم يكن من الممكن أن أكون جزءاً منه، لذلك قررت بنفسني إيقافه. لقد بعثُ

كل أجهزتي وتسجيلاتي ، وبعد ذلك اكتشفت من خلال الدراسات أنه وفقاً للتعاليم

الإسلامية، فإن الموسيقى حرام" (302)

ذُكر الدكتور بلال فيليبس الشباب المسلم بأن للموسيقى تأثيراً قوياً جداً على مستمعيها يمكن أن يكون ساحقاً ومدمراً. وتأثيرها قوي فالناس يمكن أن يتذكروا فورياً أغنية سمعوها منذ عدة سنوات. الأغنية بأكملها لا تزال موجودة، بكل كلماتها، لأنها أخذت مكانة في قلب مستمعيها. في النهاية، الموسيقى والغناء تفسد القلب. ويصبح من الصعب للغاية على مستمعيها أن يتدبر القرآن، لأن القرآن والموسيقى لا يمكن أن يتعايشا ويشغلان نفس المكان.

وأكد د. فيليبس أيضاً أن تأثيرات الموسيقى على مستمعيها يمكن أن تكون دقيقة جداً وبطيئة. يعتقد الناس أن الموسيقى لا تؤثر عليهم لأنهم يستمعون إلى الموسيقى فقط أثناء الدراسة أو للتسلية، ولكن إذا وصلنا تغذية البيانات إلى أي نظام، تبدأ التأثيرات في الظهور، وإن كان ذلك ببطء. نصح الدكتور فيليبس الشباب المسلم بالحفاظ على رفقة الأتقياء، لأنه يمكننا بسهولة أن ننجذب مرة

³⁰² Philips, Dr. Bilal (n.d.). Discussion with Youth (audio speech), Riyadh.

أخرى إلى الحياة الفاسدة إذا كنا نتسكع مع أشخاص يستمعون إلى الموسيقى طوال الوقت. وقال أيضاً:

"فابتعاد المسلم عنها يعني التخلص من التسجيلات والأقراص المدمجة، لأنك لا تستطيع أن تحتفظ بهذه الأشياء حولك وتقول: سوف أتوقف، لأنه في أي وقت تشعر بالرغبة، يمكنك الاستماع إليها. حاول إزالة المنتجات الظاهرة، والتي يمكن أن تقع بفخها." (303)

المغنيات المصريات يلجأن إلى الدين في التوبة

يبدو عالم الموسيقى والإعلام مبهرًا للغاية وجذابًا من الخارج. الشهرة والسحر المرتبطان بهذا العالم، والمنافسة لتحقيقهما، يمكن أن تجعل الشخص يفقد عقله. يتم تصوير صناعات الموسيقى والأفلام على أنها جميلة وجذابة من خلال القوة المغرية لوسائل الإعلام، لكنها مظلمة للغاية عند رؤيتها من الداخل. غالبًا ما لا يتم التعرف على الجانب الكئيب والمحبط من هذا المجال لأن العديد من الذين يدخلون هذا الثقب الأسود يضيعون ولا يعودون أبدًا. ومع

³⁰³ المرجع نفسه.

ذلك، هناك بعض النفوس المباركة التي تمكنت من الهروب من ظلمة صناعة الموسيقى وقررت أن تعيش حياة المسلمين الحقيقيين. في الآونة الأخيرة حدثت ظاهرة في مصر، حيث ظهر عدد متزايد من المشاهير في البرامج التلفزيونية والإذاعية معلنين قرارهم بترك الشهرة وراءهم والتفرغ لله.

ومن بين هؤلاء النجمات المصرية سحر حمدي، التي ابتعدت عن الأضواء وقررت أن تعيش حياة هادئة وسلمية كـ "عودة إلى الله" بعد أن كانت راقصة. جاء قرار حمدي بالانسحاب من صناعة الموسيقى نتيجة معركة بين طرفين وصراع داخلي لا نهاية له أدى بها إلى تحول أخلاقي وجسدي كامل.

سحر حمدي ليست الوحيدة التي ودعت الموسيقى. في الثمانينات، اندلعت موجة دينية حيث انسحب العديد من المطربين والممثلين من أعمال الموسيقى والأفلام وأصبحوا مسلمين متدينين. وكان من بين النساء اللواتي تبنَ

إلى الله، النجمة حنا ثروت، والمغنية ياسمين الخيام، والراقصة الشعبية زيزي

مصطفى، والراقصتان هالة الصافي وسحر حمدي.⁽³⁰⁴⁾

هؤلاء الممثلات والمغنيات والراقصات السينمائيات في مصر جعلوا

من العرف أنه كلما تابت امرأة أخرى من وسائل الإعلام وانضمت إليهن،

ينظمون برنامجاً على شرف الوافد الجديد، حيث يتلون القرآن الكريم معاً

ويرحبون بالضيف الجديد في دائرتهم. كل هؤلاء النساء يستمعن جماعياً إلى

محاضرات علماء الإسلام المختلفين لاكتساب التعاليم الإسلامية.⁽³⁰⁵⁾

يعود قرار هذا الجيل من المشاهير بالتخلي عن الأوساط الفنية

وتكريس حياتهم لخدمة الإسلام جزئياً إلى تأثير شيخ مصر الشهير محمد متولي

الشعراوي. وحث الشعراوي في محاضراته هؤلاء النساء على ترك حياتهن

المهنية والتركيز أكثر على عبادة الله.

³⁰⁴ Said, Summer (August 2006, Rajab 1427). Egyptian Celebrities Turn to Religion. Young Muslim Digest (http://www.youngmuslimdigest.com/ymdaug06/islam_aug06.html)

³⁰⁵ ملك عباس أختراعوان، "ممثلات ومغنيات أفلام في ظل القرآن" مطبوعه لاهور: دار أذان السحر، (2006).

قائمة النجوم الذين تركوا صناعة الترفيه لحياة أكثر تقوى لم تقتصر على المطربات المصريات. المطربتان اللبنايتان عروبة ونهاد فتوحه من بين أولئك الذين تركوا مهنة الموسيقى واعتمدوا الحياة الإسلامية. سُئلت المطربة المخضرمة ياسمين الخيام عما إذا كانت متفاجئة لأن الكثير منهم اتخذوا قرار التوبة في فترة قصيرة فقط. فأجابت بصوت غارق في الإيمان: "تفاجأ إذا ترك الطفل حضن أمه في حالة غضب، ولكن إذا عاد الطفل نفسه إلى حجر أمه، فلماذا نندهش؟! "(306)

معظم المشاهير الذين أصبحوا متدينين لم يعودوا للظهور على الملأ. إنهم يبقون بعيداً عن دائرة الضوء، وبدلاً من ذلك يكرسون حياتهم ووقتهم لإلقاء المحاضرات وتعليم الآخرين الإسلام.

306 المرجع نفسه.

جنيد جمشيد - نجم البوب السابق - يختار الطريق إلى

الله

جنيد جمشيد، من مواليد 1964، مغني بوب باكستاني سابق شهير، كان المغني الرئيسي لأول فرقة بوب باكستانية على الإطلاق، العلامات الحيوية (Vital Signs)، والتي بلغت ذروتها في عام 1987 بإصدار أغنيها المميزة (قلبي قلبي باكستان). وعندما تفرقت الفرقة عام 1995، واصل جنيد مسيرته المهنية بمفرده. في الواقع، كان جنيد جمشيد أول نجم بوب على الساحة الموسيقية الباكستانية. في ذروة حياته المهنية، أدار ظهره لعالم التالوق وكرس نفسه للإسلام. في عام 2003، أنهى حياته المهنية ليعيش حياة روحانية أكثر. يستذكر جنيد نقطة التحول في حياته في بحثه عن السلام الداخلي، والتي كانت في أكتوبر 1997

عندما ذهب مع صديق لدعوة الآخرين إلى الإسلام. كان هذا هو الوقت الذي

أدرك فيه الخطأ الكبير الذي حدث طوال حياته وأنه بحاجة إلى التغيير.⁽³⁰⁷⁾

استغرق الأمر خمس سنوات أخرى قبل أن يستنتج جمشيد أن حياته

المهنية لا تتوافق مع الإسلام. في 14 أغسطس 2003، ودع أخيراً عالم موسيقا

البوب، لكنه كان قراراً صعباً على جمشيد لأن الموسيقا لم تكن شغفه فحسب،

بل كانت أيضاً حياته المهنية ومصدر رزقه الوحيد. أيا كان، إيمانه القوي بالله

سبحانه وتعالى أنقذه. بعد الشروع في رحلته إلى التنوير الديني وترك مجال

الموسيقا، أطلق جمشيد سلسلة محلات أزياء ناجحة للغاية تحت مسمى اسمه.

في عشر مدن ضمن باكستان، يمكن للمستهلكين التسوق في محلات جنيد

جمشيد للملابس التقليدية والأحذية والعطور الخالية من الكحول. في فترة زمنية

قصيرة جداً تبلغ عامين ونصف، نمت أعماله بسرعة فائقة مع أن جمشيد لم يكن

لديه خلفية في العمل.

³⁰⁷ Gohir, Shaista (April 09, 2005). Junaid Jamshed: From Pop Stardom to the Path of Allah. See also: <https://www.last.fm/music/Junaid+Jamshed/+wiki>

عندما أعلن جمشيد قراره بالابتعاد عن صناعة الموسيقى، كانت هناك صرخة شديدة. صُدم عالم الموسيقى بعد انتشار الخبر عبر المحطات والصحف. وحزن جمهوره على فقدان مطربهم المفضل. وبكلمات جنيد جمشيد:

"في البداية اعتقد معظم الناس أنني مجنون. كان من الصعب عليهم تحمل ذلك، لأنني كنت أخبرهم أن كل شيء فعلته لم يكن صحيحًا." (308)

شوهد الآن بلحية طويلة ويرتدي (السروال و قميص) الزي الباكستاني التقليدي، جمشيد له مظهر عالم إسلامي، وفي الواقع يتقدم بسرعة في هذا الاتجاه. يشرح لماذا كان من الضروري ترك موسيقا البوب فقال:

"الإسلام لا يسمح بالموسيقا، وخاصة الطريقة التي تتم بها هذه الأيام، والمال الذي تجنيه منها حرام (غير مسموح به). لم يكن هذا نوع الحياة الذي أردت أن أعيشه.... ويقول عن اليوم الذي أعلن فيه انتهاء مسيرته

³⁰⁸ ملك عباس أختَر أعوان، "ممثلات ومغنيات أفلام في ظل القرآن" مطبوعه لاهور: دار أذان السحر، (2006).

المهنية في موسيقا البوب: كنت حزيناً للغاية لأن الموسيقا كانت تسير
في دمي وتحت بشرتي والشيء الوحيد الذي اعتدت العيش عليه. لكنني
أردت أيضاً أن أرضي الله، فأنا لا أريد أن أكون شخصاً كُتب في صحيفة
أعماله السيئة. (309)

في مقابلة أخرى مع ملك أختير عباس أعوان، رئيس تحرير "مجلة
خواتين"، أعرب جمشيد عن مشاعر الذنب التي كان يشعر بها عندما كان في ذروة
مسيرته الموسيقية، فقال:

"عندما كنت أعني على المسرح كنت أعتقد أن الفتاة التي ترقص أمامي هي بالتأكيد
أخت أو ابنة لشخص ما، فماذا أفعل بهؤلاء البنات اللوتي من أمة النبي محمد ﷺ؟
فهؤلاء الفتيات لن يلدن شخصيات مثل محمد بن قاسم وصلاح الدين الأيوبي.
إن أمتنا الإسلامية اليوم لا تحتاج إلى مطربين وموسيقيين. بدلاً من ذلك، تحتاج
أمتنا المسلمة إلى قادة عظماء مثل محمد بن قاسم وخالد بن الوليد وضرار بن

309 المرجع نفسه.

الأزور وأبو عبدة بن الجراح. تولد مثل هذه الشخصيات العظيمة من رحم الأتقياء

والأمهات الخائفات من الله اللواتي يحافظن على الحياء والعفة." (310)

تخلى جنيد جمشيد عن مسيرته الموسيقية في ذروة الشهرة ليتبع اتجاهها

جديداً في الحياة. قبل ذلك، كانت الموسيقا هي شغفه. الآن الإسلام هو حياته.

إنه مكرس تماماً لنشر رسالة الإسلام للإنسانية، وقد أوضح أنه لا يندم على

قراره:

"في بداية حياتي كنت أدعو الناس إلى شيء مخالف لدين الله. والآن أدعوهم إلى

الله. كما ذكر في القرآن العظيم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا

وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة فصلت)

أنا لا أفتقد أسلوب حياتي السابق في عرض الأعمال. حياتي الجديدة بسيطة ونقية.

لدي قناعة قوية بأننا إذا أدخلنا في حياتنا وصايا الله والطريقة التي يؤدي بها نبيه

الحبيب ﷺ، يمكن أن تصبح حياتنا سعيدة حتى في هذا العالم. الحياة في هذه الدنيا

مؤقتة. نحتاج جميعاً إلى إدراك ذلك قبل فوات الأوان." (311)

310 المرجع نفسه.

311 المرجع نفسه.

الشيخ يوسف إستس – من أعمال الموسيقى إلى الدعوة

الإسلامية

مسلم أمريكي، ولد الشيخ يوسف إستس الذي اعتنق الإسلام في عائلة مسيحية متدينة للغاية في منطقة الغرب الأوسط من الولايات المتحدة. قامت عائلته وأسلافه ببناء العديد من الكنائس والمدارس في أنحاء الولايات المتحدة كلها في عام 1949، بينما كان في المدرسة الابتدائية، انتقلت عائلته إلى هيوستن، تكساس. خلال شبابه، أصبح مهتماً جداً بأنواع الموسيقى المختلفة، وخاصة الموسيقى الإنجيلية والكلاسيكية. ولأن عائلته بأكملها كانت متدينة وموسيقية، فقد تبع ذلك أنه أيضاً سيبدأ دراسته في كلا المجالين. في العديد من الكنائس التي انضم إليها على مر السنين، كان من المنطقي أن يُمنح دور وزير الموسيقى. لكونه موسيقياً موهوباً بسبب تعليمه وخبرته، بدأ الشيخ يوسف إستس تدريس الآلات الموسيقية على لوحة المفاتيح في عام 1960. وبحلول عام 1963،

امتلكت استوديوهاته الخاصة في لوريل بولاية ماريلاند، والتي تسمى (استديوهات استس الموسيقية). امتلك الشيخ إستس ووالده أعمالاً أخرى، بما في ذلك شركة (Estes Music Company) و (Estes Piano & Organ Co)، اعتاد هو ووالده إنشاء متاجر الموسيقى والبرامج التلفزيونية والإذاعية والترفيه في الهواء الطلق من أجل المتعة والربح، ولكن كان هدفهم الأساسي هو بيع أدوات الموسيقى في أنحاء البلاد كلها. كان أيضاً عضواً في NAAMM (الرابطة الوطنية لمصنعي الموسيقى الأمريكيين).⁽³¹²⁾

كان استس يعمل في صناعة الموسيقى لسنوات عديدة. ثم في عام 1991، أتاحت له الفرصة لاستقبال رجل الأعمال العربي اسمه محمد المصري، ضيفاً في منزله. محمد بينما كان ضيفاً في بيت الشيخ إستس الذي كان لديه الكثير من الشكوك حول الإسلام التي عَلمها عن طريق وسائل الإعلام، ولكن محمد المصري وضح كل الشكوك، وأخيراً الشيخ إستس اعتنق الإسلام مع زوجته وأطفاله وآبائه، وبعد أن أصبح مسلماً، درس العلوم الإسلامية بجد،

³¹² الشيخ يوسف إستس، رسالة بريد إلكتروني إلى المؤلف، 2006.

في الوقت الحاضر، هو المرجع الإسلامي الوطني للمسلمين الأمريكيين، برعاية العديد من المنظمات في واشنطن العاصمة، مع التركيز خاصة على المؤسسات العسكرية، والدراسات الجامعية والسجون، وقد سافر حول العالم لينشر رسالة الإسلام.

الفصل 9

الخاتمة

والآن وقد شارف هذا الكتاب على الاكتمال، أمل أن تكون الحجج المقدمة للقراء من القرآن والأحاديث وأحكام علماء الإسلام كلها تثبت أن الموسيقى حرام في الإسلام إلا في ظروف محدودة. موضوع الموسيقى ليست قضية خلافية في الإسلام. إذا كانت هناك أقلية قليلة من العلماء تسمح بالاستماع إلى الموسيقى، فهذا لا يجعل هذا الاختلاف في الرأي مقبولاً. والفرق المقبول هو المكان الذي يوجد فيه مجال للاجتهاد، وهذا يحدث فقط عندما يكون اختلاف الرأي كبيراً، ومن الواضح أن هذا ليس هو الحال بالنسبة للموسيقى، حيث اتفق العلماء جميعهم تقريباً عبر التاريخ الإسلامي على أن الاستماع إلى الموسيقى حرام. ويجب التأكيد هنا أيضاً على أننا ناقش العلماء بصيغة الجمع والإجماع عصمة.

ومن المهم أيضاً أن نفهم أنه من الممكن للعلماء الأفراد أن يخطئوا، لكن ليس جمهور العلماء معاً. بمجرد أن نفهم هذه الحقيقة، لا ينبغي أن نتساءل لماذا يعارض أحد العلماء مثل هذه الغالبية العظمى من العلماء. السؤال الأهم الذي يجب طرحه هو: كيف يمكن أن يخطئ الغالبية العظمى من علماء الإسلام في تحريم الآلات الموسيقية؟ يجب أن نعرف أن العديد من العلماء أجمعوا بشأن تحريم الآلات الموسيقية. وأعرب بعض العلماء الإسلاميين أن الاستماع إلى الآلات الموسيقية تنبت النفاق في القلب. وكما ذكر سابقاً أن الإمام مالك. سئل عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال:

"إنما يفعلُه عندنا الفساق"

ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن الإمام مالك عاش منذ عام 93 إلى 179 هجري في المدينة المنورة، مسكن صحابة النبي ﷺ. وهذا يعني أن رأي

الإمام مالك هو في الواقع رأي المدينة. الذي يعكس توافق آراء المدينة

(الصحابة)، وبالتالي يكون هذا الإجماع مصدراً للتشريع. (313)

وقد تبين في هذا الكتاب أن الموسيقى تضلل الناس وتشتت انتباههم عن

الله سبحانه وتعالى. لهذا السبب، الإسلام قد يحظر ليس فقط عزف الموسيقى

ولكن أيضاً الاستماع إليها. وهو ما يشبه حظر الكحول والمخدرات، مما يؤثر

أيضاً على الفكر والعقل. صنع الموسيقى مثل المسكر من خلال جعل الشخص

ينسى محيطه ويصبح غير مدرك لما يحدث. إن انتشار الموسيقى والغناء على

هذا النطاق الواسع من علامات قيام الساعة.

تعمل الموسيقى حاجزاً بين الله سبحانه وتعالى والبشر. ونتيجة لذلك

ينسى الناس خالقهم والغرض الحقيقي من حياتهم في هذا العالم وهو مذكور

بوضوح في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

﴿الذاريات: 56﴾

313 هيثم بن جواد الحداد، "الموسيقى: مسألة خلاف بسيطة؟"

النفاق والرذيلة والإهمال ومجموعة من الشرور الأخرى يمكن أن
تنبت في قلوب أولئك الذين يستمعون إلى الموسيقى والغناء. ينتج عن هذا أولاً
قلب مريض وفي النهاية قلب متوفٍ روحياً. الموسيقى ليست غذاءً للروح.
بالعكس، هي سرطان للروح. يستهلك الاستماع للموسيقى والغناء الوقت
والمال والطاقة، ويخلق الصدأ في نفوس المستمعين. تثير الموسيقى المشاعر في
مستمعيها، وتفتح الباب للإغراءات، وتقودهم إلى الخطيئة، وتثير غرائزهم
الحيوانية، وتبلد روحانياتهم. والأسوأ من ذلك كله، أنها تربك أذهانهم وتحولهم
عن التفكير في الأسئلة المهمة حقاً عن وجودهم.

أظهر هذا الكتاب أيضاً بتفصيل كبير أن كلمات الموسيقى تفعل أكثر
بكثير من "أن تدخل من أذن وتخرج من الأخرى". كما يمكن للموسيقى أن تأخذ
الناس إلى مرحلة يتوقف فيها عقلهم عن العمل تماماً، حيث يصبحون عبيداً
لمشاعرهم. إنها تخلق اختلالاً في كليات الإنسان، وتقيد التطور الروحي، وتدمر
القيم الأخلاقية. وهي بمنزلة سلم إلى الزنا وتعاطي المخدرات لأنها تجعل
العار والحياء يختفيان لدى مستمعيها.

تكمّن قوة الموسيقى في قدرتها على تجاوز العقل، والتغلغل مباشرة في
العواطف والعقل الباطن، للتلاعب بمشاعر الشخص، و تجعل العواطف
مهيمنة على العقل. فلها القدرة على التأثير على الحالة المزاجية، وتذكيرنا
بلحظات معينة و تنقل المعلومات بعناصر دلالية وعاطفية.

في بعض الحالات، يزعم الناس أن علاقتهم بالموسيقى أهم بكثير من
علاقتهم بأي إنسان آخر.⁽³¹⁴⁾ يوضح البحث العلمي الاجتماعي المقدم في هذا
الكتاب أن للموسيقى تأثيراً مهيماً على النظرة العالمية والسلوك الجنسي
والعنيف للشباب. يبدو أن هناك علاقة بين الرسائل التي تصل إلى المراهقين
والشباب من الموسيقى والطريقة التي يرون بها العالم من حولهم. في الواقع،
يمكن للموسيقى أن تؤثر على أنماط حياتهم، وتطورهم النفسي الجنسي،
والأزياء، والثقافة، والعلاقات مع والديهم. تشجع الموسيقى الفتيات والفتيان
على العيش في عالم الأحلام من الرومانسية، مما يشلهم ويمنعهم من مواجهة
تحديات الحياة الحقيقية.

³¹⁴ Sloboda, J. A. (1992) Empirical studies of emotional response to music. In: Cognitive Bases of Musical Behaviour. M. R. Jones & S. Holleran (Eds.). Washington DC: American Psychological Association

حتى لو كان غالبية الناس في المجتمع يرتكبون شرًا، فإن هذا لا يسوغ هذا الفعل الشرير ويحلله وقد أقنعت هذه الحقيقة العديد من الموسيقيين والمغنيين البارزين في العصر الحالي، ممن اعتنقوا الإسلام، بترك هذه المهنة الفاسدة، كما هو موضح في الفصل السابق.

نحن المسلمين، أنعم الله علينا بتلاوة القرآن، وهو بديل أفضل من الموسيقى. لا نحتاج إلى الضلال بحثًا عن الأشياء التي قد تهدئ قلوبنا لأننا نعلم أن قراءة القرآن والاستماع إليه يمكن أن يهدئ قلوبنا. عندما نستمع إلى تلاوة القرآن، لن نشعر بالفراغ بعد ذلك. الجزء الأخير من هذا الكتاب مخصص للمسلمين المنغمسين في الموسيقى ولكنهم قد يرغبون في تصحيح أنفسهم والتطور روحانيًا. حالتهم ليس ميؤوس منها. باب التوبة إلى الله مفتوح دائمًا. يمكنهم أن يتوبوا بصدق إلى الله من خلال البدء في اتباع وصاياه اتباعًا كليًا، وفي نهاية المطاف قد يصبحون أمثلة متألفة للتقوى والروحانية للأجيال اللاحقة.

أود أن أنهي هذا الكتاب بهذه الكلمات الافتتاحية من أخت مسلمة

اعتنقت الإسلام، إيفون ريدلي (Yvonne Ridley):

"بصراحة تامة، لا أعرف حقًا كيف يمكن لأي شخص في الأمة الإسلامية أن يترك الحقّ ويصرخ بفرح في قباب المتعة عندما يكون هناك الكثير من الوحشية والمعاناة في العالم اليوم. الدم يجري كالأنهار من عروق إخواننا وأخواتنا من أنحاء العالم الإسلامي كلّها. الصراخ والهتاف بأسماء أبطال الموسيقى يغرق الصرخات القادمة من زنانات أوزبكستان حيث يتم غلي الأخوة والأخوات أحياء في أوعية من الماء. كم من الناس سيفقزون صعوداً وهبوطاً ويلوحون بأذرعهم في الهواء، ويصرخون بشدة من أجل العدالة لأقاربنا في كشمير وأفغانستان والشيشان وفلسطين والعراق [و سوريا]....
يا أيها المسلمون، استيقظوا! الأمة تنزف. إنه نزيف. لا تسمع ما هو حرام.

استمع إلى آلام عائلتك العالمية".⁽³¹⁵⁾

³¹⁵ Ridley, Yvonne (April 24, 2006) "Pop Culture in the Name of Islam".
Article ID: 1261 (<http://www.islamicawakening.com>)